إقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الطيبات والخبائث في ضوء القرآن الكريم
"دراسة موضوعية"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: **اسم الطالبة: إسـراء كمـال الحـاج**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ: 2015/1/12**

الجامعة الإسلامية بغزة

عمادة الدراسات العليا

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

الطيبات والخبائث في ضوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

إعداد الطالبة

إسراء كمال الحاج

إشراف الدكتور

محمود هاشم عنبر

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1435هـ - 2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

ج س غ/35/
الرقم Ref 2014/09/17م
التاريخ Date .....

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **اسراء كمال محمد الحاج** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الطيبات والخبائث في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأربعاء 22 ذو القعدة 1435هـ، الموافق 2014/09/17م الساعة العاشرة صباحاً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. محمود هاشم عنبر	**مشرفاً ورئيساً**	.....
د. وليد محمد العامودي	**مناقشاً داخلياً**	.....
د. عبد الرحمن يوسف الجمل	**مناقشاً خارجياً**	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

شئون البحث العلمي والدراسات العليا
Research & Graduate Affairs

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ
لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

[سورة النور: آية 26]

هي مسحة من أمل وحب وإقرار إن للنجاح شركاء لابد من ذكرهم واستحضارهم في هذه السطور القليلة التي لا تكتمل رسالتي إلا بهم ولا معنى للإنجاز بلا استحضار لفضائلهم وعظيم الامتنان تجاههم وأبدأ هؤلاء

- بسيد الرجال... من كلل العرق جبينه.. من زرع فيَّ حبَّ العلم وعزَّز فيَّ الطموح وشاركني في البدايات والنهايات ..نبع العطاء الذي زرع الأخلاق بداخلي وعلمني طرق الإرتقاء..إلى المربى الفاضل والوالد المعلم أبي..إنني أفتخر بك أمام جميع هؤلاء البشر..أرفع رأسي أمامهم وأقول إنك أبي..أبي الحبيب .. أنت الأب الذي يشار إليه بالبنان ويفتخر به بين الأنام فهنيئاً لي بك أيها الأب العظيم.

- إلى الزهرة التي لا تذبل ..إلى الحضن الدافئ..ونبع الحنان والحب اللامتناهي..إلى من تعجز الكلمات عن وصفها..فأنت النور الذي يضيء حياتي .. يا من أنت أغلى من نفسي التي بين جوانحي.. وأحبّ إليّ من روحي التي تسري في جسدي...إلى أمي الحبيبة...يا زهرة الحياة ونورها...جزاك الله خيراً.. وأمدَّ في عمرك بالصالحات .

- إلى الذين زرعوا الورد في طريقي...رفيقات دربي..شقائق النعمان ... أخواتي الحبيبات إخلاص ونور وإيمان وأسماء وإسلام .

- إلى أخوي الحبيبين ... سندي وعوني بعد الله عزَّ وجل في هذه الحياة .. محمد وعبدالله.

- إلى مقلتي الاثنتين .. وفلذة كبدي.. ومعنى حياتي ووجودي..ولديَّ الحبيبين مالك وعبدالله..يا من كنتما خير سند ومعين لي...يامن حفظتما بعضاً من أسماء كتبي التي كنت أدرسها.. ورافقتماني طوال فترة دراستي وكتابتي بدعواتكما الصادقة الجميلة التي كانت تخرج من أفواهكما البريئة..هئنذا أحقق ما كنت أرنو إليه منذ زمن بعيد..وأنتما خير شاهد على ذلك.. ولعلكما اليوم لا تدركان معنى ما أقول ولكني على يقين كبير..بأنه سيأتي اليوم الذي أجدكما فيه تحملان راية العلم من بعدي.

- إلى جدتي الغالية على قلبي الحاجة أم جمال...حفظها الله ورعاها وختم بالصالحات أعمالها.

- إلى أعمامي وعماتي...إلى أخوالي وخالاتي.

- إلى جسر العطاء والمحبة..إلى اللواتي زانو حياتي بالأمل والبهجة والابتسامة ..إلى صديقاتي الحبيبات.

- إلى روح جدي الطاهرة أبو جمال الذي كان يشاركني نجاحاتي منذ نعومة أظفاري..ولم يألُ جهدا في تشجيعي ودعمي لأكون الأفضل.

- وإلى روح جدي أبو عمر وجدتي أم عمر.... أسكنهم الله فسيح جناته.

- إلى روح أستاذتي الفاضلة التي تعلمت منها أسمى المعاني وأرقاها..من علمتني أن أصدح بالحق..ومن نهلت من معين علمها الصافي .. من كانت وفاتها سبباً وحافزاً قوياً لأن أجدَّ وأجتهد في كتابة رسالتي ... إلى روح أستاذتي الطاهرة..الأستاذة بثينة الدجني.

- ومسك الختام إلى من شحذ همتي ومن كان عوناً وسنداً لي حتى النهاية إلى رفيق دربي الطويل..والمشوار الصعب .. من صبر عليَّ شهوراً وليالي طويلة..تحمَّل فيها انشغالي واعتكافي على البحث والدراسة .. من إذا تأملته استشعرت كرم ربي ومنّه وعطائه إذ منحني إياه زوجاً .. إلى زوجي الحبيب..من سار معي نحو الحلم والتقدم والنجاح..خطوة بخطوة.. طريقنا واحد.. ومساره طويل.. ومازال أمامنا المزيد لنقدمه.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع

❁❁❁❁❁

❁❁❁❁

❁❁❁

❁❁

❁

شكر وتقدير

انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ ...لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ... ﴾ [إبراهيم: 7]، وقول الرسول ﷺ: " **لا يشكر الله من لا يشكر الناس**"[1] ...

أتوجه إلى الله ﷻ بالشكر على ما أتم علي من إتمام هذه الرسالة، وأسأله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وفي مقام رد الفضل لأهله والاعتراف بمقدار الامتنان لكل توجيه وإرشاد، لابد من شكر موفور لا يبدأ باليوم ولا ينتهي بانتهاء المناقشة، فإنني أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى فضيلة الدكتور/ محمود هاشم عنبر "رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن" على ما حظيت به من إشرافه، وتوجيهاته القيمة، ونصائحه السديدة، وما قدمه لي من إرشاد وإفهام لكل مبهم، وتبيين لكل مشكل، وصبره على كثير تساؤلاتي، كما أتقدم بالشكر الوافر والتقدير السابغ إلى أستاذي الكريمين عضوي لجنة المناقشة.

فضيلة الدكتور/ عبدالرحمن الجمل حفظه الله

وفضيلة الدكتور/ وليد العامودي حفظه الله

كما وأسجل شكري إلى ثلاث دوائر:

أولاً: أتقدم بخالص شكري وعرفاني إلى جميع أساتذتي في قسم التفسير وعلوم القرآن على ما بذلوه من جهد وعطاء ونصح وإرشاد خلال سنوات الدراسة، وأخص بالذكر منهم، الدكتور زكريا الزميلي، والدكتور عبدالسلام اللوح، والدكتور رياض قاسم، والدكتور جمال الهوبي فجزاهم الله عني خير الجزاء.

ثانياً: الشكر موصول لكل من ساهم في وضع اللبنة الأولى في هذا الصرح المنيف وأخص هنا بالذكر كلية أصول الدين بهيئتها التدريسية والإدارية، لاسيما **عميد الكلية الدكتور عماد الشنطي والدكتور يحيى الدجنى** الذي كان من أوائل المشجعين لي للإلتحاق ببرنامج الماجستير.

ثالثاً: كما وأسجل شكري إلى بيرحاء العلم، وواحة البحث جامعتي الرائدة التي تلقفتني وطموحي منذ كنت في السنة الأولى للبكالوريس ثم في الدبلوم واليوم في إنجاز رسالة الماجستير.

---

(1) أبو داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ص(872) حديث رقم (4811)، صحيح انظر الألباني: صحيح سنن أبي داود(182/3) حديث (4811).

كما وأتقدم بخالص حبي وتقديري وشكري إلى أخواتي جميعاً خاصة أسماء وإسلام لما قدمنه لي من عون ومساعدة طوال فترة الدراسة، وإلى كل من كان له فضل علي منذ نعومة أظفاري حتى يومنا هذا...

وأخيراً لا يفوتني هنا من حثني في يوم قريب لأسلك واثقة هذا الطريق إلى معالي النائب الوزير/ فتحي حماد حفظه الله ورعاه، ولأن الرسالة لم تكن تخرج إلى حيز النور، وتنجز وتخرج بالتنسيق الأمثل أشكر الأخ/ محمد عطوة، وكذلك الأستاذ/ هاني الصوص"أبو خليل"، على جهدهما في إخراج الرسالة بهذا الشكل.

والله الموفق والمعين.

الباحثة

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أحل لعباده الطيبات، وحرم عليهم الخبائث ،والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ،خاطبه ربه فقال :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون:51] ثم أما بعد،،

فإنَّ القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة، ودستور هداية أبدية، أكرم الله به الأمة الإسلامية خاصة، والإنسانية والبشرية عامَّة، فما في الكون من خير إلا وأرشدنا ودلَّنا القرآن عليه، وما فيه من شر إلا نهانا وحذرنا منه، وإنَّ من عظيم وكمال نعمة الله على البشرية أن أباح لهم الطيبات التي تسعد بها نفوسهم، وتسكن بها قلوبهم، وترتقي بها أرواحهم وبشريتهم، وتصح بها صحتهم، وتسلم بها من الأمراض أعضاؤهم، كما بيَّن الله لعباده ما حرَّم عليهم من الخبائث وهو كل ما يؤذيهم في أبدانهم، ويلفظه إسلامهم، وتأباه فطرهم السويّة، وتترفع عنه أذواقهم الأبية، فلم يكتب الله لهذا الدين الكمال ويتمَّ على المؤمنين النعمة؛ إلا بعد أن اكتملت تعاليم الدين، وعلم المؤمنون والتزموا بما أحل لهم وحرَّم عليهم، ونظراً لأن العالم اليوم أصبح قرية صغيرة بفضل ما وصل إليه العلم من تكنولوجيا وتقنيات، ونتيجة لاختلاط الكثير من المسلمين بالمجتمعات الغربية بسبب علاقات العمل والمصاهرة والسياحة والتجارة تساهل كثير من المسلمين في قضية الحلال والحرام في الأطعمة والأشربة بما تشمله من طيب وخبيث، ونتيجة لما يَرِدُ إلى عالمنا الإسلامي من الغرب ما اختلط الحرام منه بالحلال فقد رأت الباحثة أن تتطرق إلى هذا الموضوع المهم لتعرض للمؤمنين ما أُحل لهم من الطيبات، وما حُرِّم عليهم من الخبائث، وذلك بأسلوب يُظهر روعة التكاليف القرآنية وشموليتها، وعجز القوانين الوضعية مهما بلغت، حيث اختارت الباحثة موضوعاً بعنوان:

الطيبات والخبائث في ضوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

حيث تناولت الباحثة هذا الموضوع في إطار دراسة تفسيرية موضوعية محكَّمة وفق الخطة التالية:

أولاً: أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال عدة نقاط أذكر أهمها فيما يلي: -

1. إن علم التفسير الموضوعي من أشرف العلوم لأنه يتعلق بكلام الله تعالى.
2. التفكر في طيبات الله التي أحل لعباده وبيان فضله سبحانه في إباحتها لهم واستشعار عظيم نعم الله على عباده.

3. إدراك المقاصد التي أرادها الله تعالى من خلال تحريم الخبائث.
4. الخلوص إلى حجم التفضيل من الله بما أحل لعباده بما يتكفل لهم بالخير، ويدفع عنهم كلَّ أذىً وشر.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

لاختيار الموضوع أسباب عديدة أذكر منها:

1. خدمة كتاب الله تعالى ،وذلك من خلال البحث في موضوع من موضوعاته.
2. افتقار المكتبة الإسلامية إلى موضوع قرآني محكم يتناول موضوع الطيبات والخبائث من جميع أطرافه وزواياه.
3. حاجة المؤمنين لمعرفة ما أُحل لهم من الطيبات الدنيوية، وما أُعد لهم من الطيبات الأخروية.
4. بيان بعض نعم الله سبحانه وتعالى على عباده بإحلاله الطيبات لهم وتحريمه الخبائث عليهم.

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته.

للبحث أهداف عديدة وغايات سامية أذكر منها:

1. ابتغاء الأجر والثواب من الله عزَّ وجلَّ في الدنيا والآخرة.
2. إبراز دور القرآن الكريم وعنايته في إظهار نعم الله تعالى على عباده.
3. بيان عظمة القرآن الكريم في إظهار الطيبات والخبائث.
4. بيان عظمة القرآن الكريم وشموله لكل نواحي الحياة الإنسانية من خلال تطرقه لكل ما يحتاجه المرء في حياته من طيبات وما يتوجب عليه تركه من الخبائث.
5. إثراء المكتبة الإسلامية ببحث قرآني يتناول موضوع الطيبات والخبائث في إطار دراسة تفسيرية موضوعية محكمة.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع على الدراسات السابقة في هذا الموضوع تبين للباحثة أن هذا الموضوع لم تتناوله رسالة علمية محكَّمة ولا دراسة تفسيرية موضوعية متخصصة، ومن خلال مراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية تسلمت الباحثة رداً من المركز بأن هذا البحث لا تتوفر حوله معلومات في قاعدة الرسائل الجامعية.

خامساً: منهج البحث:

اعتمدت الباحثة المنهج الاستقرائي حسب خطوات التفسير الموضوعي، وذلك كما يلي:

1. جمع الآيات القرآنية التي ستتناول موضوع الدراسة من جميع جوانبها.
2. فرز الآيات وعنونتها بوضع الآيات التي تتحدث عن عنوان معين على حدة، مع وضع عنوان مناسب لها.
3. تقسيم البحث إلى فصول ومباحث ومطالب انطلاقاً من الآيات القرآنية وبما يتلاءم مع عنوان البحث.
4. كتابة الآيات مدار البحث بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم رحمهما الله، وعزوها إلى سورها وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن تجنباً لإثقال الحواشي.
5. تفسير الآيات من كتب التفسير القديمة والحديثة تفسيراً اجمالياً بما يجعل الدراسة تفسيرية حسب منهج التفسير الموضوعي.
6. ذكر أسباب نزول الآيات ومناسباتها إن وجد.
7. الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث، وعزوها إلى مصادرها مع ذكر حكم العلماء عليها ما أمكن.
8. عمل تراجم للأعلام المغمورين وكذلك البلدان والأماكن غير المشهورة.
9. توثيق النصوص المنقولة في الهامش حسب الأصول، وذلك بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف وترك البيانات التفصيلية لفهرس المصادر والمراجع، مع تحري الأمانة العلمية في النقل والتوثيق.
10. توضيح الكلمات الغريبة من خلال المعاجم اللُغوية.
11. عمل خاتمة للبحث تشمل أهمّ النتائج والتوصيات.
12. إعداد مجموعة من الفهارس لخدمة البحث وهي:
    - فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
    - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
    - فهرس الأعلام المترجم لهم.
    - فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

13. كتابة ملخص للبحث باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية.

سادساً: خطة الدراسة:

وقد اشتملت خطة الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة

المقدمة وتشمل على:-

1. أهمية الدراسة.
2. أسباب اختيار الموضوع.
3. أهداف البحث وغاياته.
4. الدراسات السابقة.
5. منهج البحث.
6. خطة الدراسة.

التمهيد

الطيبات والخبائث بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

وفيه:

أولاً: معنى الطيبات لغةً واصطلاحاً.

ثانيا: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية.

ثالثا: معنى الخبائث لغةً واصطلاحاً.

رابعا: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية.

"الفصل الأول"

"الطيبات والخبائث في السياق القرآن"

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الطيبات في السياق القرآني

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الطيبات في الآيات المكية.

المطلب الثاني: الطيبات في الآيات المدنية.

المبحث الثاني: الخبائث في السياق القرآني

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الخبائث في الآيات المكية.

المطلب الثاني: الخبائث في الآيات المدنية.

المبحث الثالث: دراسة موضوعات الطيبات والخبائث في الآيات المكية والمدنية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دراسة موضوعات الطيبات في الآيات المكية والمدنية.

المطلب الثاني: دراسة موضوعات الخبائث في الآيات المكية والمدنية.

"الفصل الثاني"

"أقسام الطيبات في القرآن الكريم"

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الطيبات الدنيوية

وفيه أحد عشر مطلباً:

المطلب الأول: الرزق الطيب والنفقة الطيبة.

المطلب الثاني: القول الطيب والكلمة الطيبة.

المطلب الثالث: الأكل الطيب.

المطلب الرابع: الغنائم الطيبة

المطلب الخامس: الذرية الطيبة

المطلب السادس: الحياة الطيبة

المطلب السابع: الشجرة الطيبة

المطلب الثامن: البلدة الطيبة

المطلب التاسع: التحية الطيبة

المطلب العاشر: الصعيد الطيب

المطلب الحادي عشر: الريح الطيبة

المبحث الثاني: الطيبات الأخروية.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: المساكن الطيبة.

المطلب الثاني: طعام أهل الجنة.

المطلب الثالث: شراب أهل الجنة.

المطلب الرابع: نساء أهل الجنة.

المطلب الخامس:مجالس أهل الجنة.

المطلب السادس:لباس أهل الجنة.

"الفصل الثالث"

" الخبائث في السياق القرآني واقترانها بالطيبات"

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أنواع الخبائث في السياق القرآني.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: النفقة الخبيثة.

المطلب الثاني: الأعمال الخبيثة.

المطلب الثالث: البلد الخبيث.

المطلب الرابع: الكلمة الخبيثة والشجرة الخبيثة.

المبحث الثاني: نظرات قرآنية إلى الخبائث والطيبات

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: التمييز بين الخبيث والطيب.

المطلب الثاني: تحليل الطيبات وتحريم الخبائث.

المطلب الثالث: النهي عن تبديل الخبيث بالطيب.

المطلب الرابع: لا يستوي الخبيث والطيب.

المطلب الخامس: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات.

المطلب السادس: الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات

الخاتمة.

الفهارس العامة، وتشمل:

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

التمهيد

الطيبات والخبائث بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

وفيه:

أولاً: معنى الطيبات لغةً واصطلاحاً.

ثانياً: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية.

ثالثاً: معنى الخبائث لغةً واصطلاحاً.

رابعاً: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية.

التمهيد

الطيبات والخبائث بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

أولاً: معنى الطيبات لغةً واصطلاحاً

1. معنى الطيبات لغةً:

معنى الطيبات عند ابن فارس [1]

"(طيب) الطاء والياء والباء أصل واحد صحيح يدل على خلاف الخبيث، من ذلك الطيب: ضد الخبيث، يقال سبيٌ طيبةٌ، أي طيب، والاستطابة: الاستنجاء؛ لأن الرجل يطيب نفسه مما عليه من الخبث بالاستنجاء، والأطيبان: الأكل والنكاح، وطَيْبَة مدينة الرسول ﷺ، ويقال: هذا طعام طيب مطيبةٌ للنفس، والطيب: الحلال، والطاب: الطيب"[2]

معنى الطيبات عند ابن منظور[3]

يقال: أرض طيبة للتي تصلح للنبات؛ وريح طيبة إذا كانت لينة ليست بشديدة؛ وطعمة طيبة إذا كانت حلالاً؛ وامرأة طيبة إذا كانت حصاناً عفيفة، ومنه قوله تعالى: ﴿ ...وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ... ﴾ [النور: 26]، وكلمة طيبة إذا لم يكن فيها مكروه؛ وبلدة طيبة أي آمنة كثيرة الخير، ومنه قول الله تعالى: ﴿ ...بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴾ [سبأ: 15]، ونكهة طيبة إذا لم يكن فيها نتن، ونفس طيبة بما قدر لها أي راضية، وحنطة طيبة أي متوسطة في الجودة، وتربة طيبة أي طاهرة، ومنه قوله تعالى: ﴿ ... فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ... ﴾ [المائدة: 6]، وزبون طيب أي سهل في مبايعته؛ وسبي طيب إذا لم يكن عن غدر ولا نقض عهد؛ وطعام طيب للذي يستلذ الآكل طعمه، وقوله ﷻ: ﴿ ... طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: 73]؛ معناه كنتم طيبين في الدنيا فادخلوها، والطاب: الطيب ، يقالان جميعاً، وشيء طاب أي طيب، إما أن يكون فاعلاً ذهبت عينه، وإما أن يكون فعلاً، والكلمة الطيبة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، توفي عام 395هـ، من تصانيفه المجمل، والصاحبي في علم العربية، وجامع التأويل في تفسير القران . انظر(الأعلام)، للزركلي، 193/1

(2) "معجم مقاييس اللغة"، ج435/3

(3) ابن منظور الانصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب) : الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر وخدم في ديوان الانشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس،توفي عام630هـ،انظر (الأعلام) للزركلي، 108/7

والطيبات في التحيات أي الطيبات من الصلاة والدعاء والكلام مصروفات إلى الله تعالى، وفلان طيب الإزار إذا كان عفيفاً، والطيبات في اللغة بمعنى الحلال، وفي التنزيل العزيز يقول المولى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون: 51] أي كلوا من الحلال، وكل مأكول حلال مستطاب.[1]

معنى الخبائث عند الأصبهاني :[2]

الطيب من الإنسان: من تعرى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال، وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال، وإياهم قصد بقول الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ... ﴾ [النحل: 32].[3]

إن المتتبع لأمهات كتب اللغة والمعاجم العربية يجد أنها تجمع على معان مشتركة للفظة الطيبات ويتفرد بعضها بذكر معاني أخرى، فمن خلال المعاني اللغوية السابقة يتبين للباحثة أن الطيبات في اللغة تأتي بمعنى الحلال والرضا والطهارة واليسر والتساهل والمستلذات، كما أن الطيبات ما كانت ضد الخبيث، والإنسان الطيب هو من تخلى عن قبائح الأعمال وتخلق بعظائم الأخلاق.

2. معنى الطيبات اصطلاحاً:

تعددت المعاني الاصطلاحية للطيبات عند علماء التفسير وذلك على النحو التالي:

1- وردت بمعنى الحلال، وهي المستلذات مما أحله الله لعباده.[4]

2- والطيبات من الطعام هي المتناولة بحكم العقل والشرع من حيثما يسوغ تناوله في وقت ما يحتاج إليه، غير مسرفٍ فيه ولا مشتغل به عمَّا خلقنا لأجله [5]

(1) انظر: لسان العرب (ج3/ص2731/2734).

(2) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصبهاني المعروف بالراغب أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان،سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي عام502هـ،انظر: الأعلام للزركلي (ج2/ص255).

(3) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ج 1،ص 527، 528).

(4) انظر: (جامع البيان في تأول آي القرآن) (ج2،ص 101)، (الجامع لأحكام القرآن ج1،ص 408)، الدر المنثور (ج1،ص 406) (إرشاد العقل السليم) (ج1،ص 104).

(5) انظر: تفسير الراغب للأصفهاني (ج1،ص 200).

وترى الباحثة أن التعريفات السابقة ليست ضابطة ولا حاصرة، وقد اجتهدت الباحثة في وضع تعريف للطيبات تراه حاصراً وضابطاً، وهو (كل شيء تستطيبه النفس وتشتهيه وتميل إليه مما أحله الله، وليس فيه أي ضرر على الإنسان لا في دينه ولافي نفسه ولا في ماله ولا في عرضه).

ثانياً: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية:

إنَّ الناظر في المعاني اللغوية والاصطلاحية للطيبات لا يجد فارقاً كبيراً، بل كلا المعنيين متقاربان، بيد أنَّ الباحثة تلاحظ أنَّ المعاني اللغوية أشمل من المعاني الاصطلاحية وأن المعاني الاصطلاحية جزءٌ منها.

ثالثاً: معنى الخبائث لغةً واصطلاحاً:

1. معنى الخبائث لغةً:

معنى الخبائث عند ابن فارس:

(خَبُثَ) الخاء والباء والثاء أصل واحد يدل على خلاف الطيب، يقال خبيث، أي ليس بطيب، وأخبث، إذا كان أصحابه خبثاء، ومن ذلك التعوذ من الخبيث المخبث، فالخبيث في نفسه، والمخبث الذي أصحابه وأعوانه خبثاء. [1]

معنى الخبائث عند ابن منظور

الخبيث: ضد الطيب من الرزق والولد والناس، وخبث الرجل خبثاً، فهو خبيث أي خَبٌّ رديءٌ، والمخبِث الذي يعلم الناس الخبث، وأجاز بعضهم أن يقال للذي ينسب الناس إلى الخبث، والمخبث الذي أصحابه وأعوانه خبثاء، والخابث: الرديء من كل شيء فاسد، يقال: هو خبيث الطعم، وخبيث اللون، وخبيث الفعل، والحرام البحت يسمى: خبيثاً، مثل الزنا، والمال الحرام، والدم، وما أشبهها مما حرمه الله تعالى، ويقال في الشيء الكريه الطعم والخبث بفتحتين: النجس، والخبثة: الزنية، وهو ابن خبثة لابن الزنية. [2]

معنى الخبائث عند الأصفهاني:

يقول الأصبهاني في معنى الخبائث (الخُبْثُ والخَبِيثُ: ما يكره رداءة وخساسة، محسوساً كان أو معقولاً) [3]

---

(1) انظر: (مقاييس اللغة)، (ج2، ص238).
(2) انظر: (لسان العرب)، (ج2، ص141).
(3) (مفردات ألفاظ القرآن) (ج2/ص272-273).

فمن خلال المعاني اللغوية السابقة يتبين للباحثة أن الخبائث في اللغة جمع خبيث والخبيث يأتي ضد الطيب وهو بمعنى الرديء والفاسد والحرام كالزنا والربا والمال الحرام وغيره من المحرمات كما يطلق الخبيث على كريه الطعم والرائحة وعلى كل نجس أيضاً.

2. معنى الخبائث اصطلاحاً:

تقاربت التعريفات الاصطلاحية للفظة الخبائث عند علماء التفسير القدامى، وذلك على النحو التالي:

1- بمعنى الرديء وهو ضد الطيب.[1]

2- وقد زاد بعضهم على كلمة الرديء وقال الخسيس والحرام. [2]

أما بالنسبة للمحدثين من علماء التفسير فقد تنوعت تفسيراتهم للخبائث:

1- فعرف الطاهر بن عاشور الخبائث بقوله: الخبيث ما أضر، أو كان وخيم العاقبة، أو كان مستقذراً لا يقبله العقلاء كالنجاسة" [3]

2- وقال الزحيلي:" الخبائث كل ما تستخبثه النفوس الكريمة السليمة كالميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما يؤخذ من الأموال بغير حق كالربا والرشوة والغصب والخيانة وكل ذلك ضار بمصلحة الإنسان أو بمصلحة المجتمع" [4]

وعرفها الزحيلي أيضا بقوله "ما تأباه النفوس كالميتة والخنزير والدم المسفوح وما يؤخذ من الأموال بغير حق كالربا والرشوة والغصب والخيانة" [5]

وبعد استعراض الباحثة لأقوال علماء التفسير القدامى منهم والمحدثين وتعريفاتهم للفظة الخبائث في الإصطلاح ترى أنَّ التعريف الضابط والحاصر هو التعريف الأول للزحيلي حيث ترى الباحثة بأنه تعريف جامع مانع.

(1) انظر جامع البيان في تأويل آي القرآن (ج2/ص101)، الجامع لأحكام القرآن(ج1/ص408)، الدر المنثور(ج1/ص406)، فتح القدير(ج2/ص80)، صفوة التفاسير (ج1/ص52).
(2) انظر: إرشاد العقل السليم (ج1/ص104)، مفاتح الغيب، للرازي (ج7/ص53).
(3) التحرير والتنوير(ج9/ص135)
(4) الوسيط (ج1/ص735)
(5) التفسير المنير (ج9/ص121)

رابعاً: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية:

إن الناظر في المعنيين اللغوي والاصطلاحي للخبائث لا يجد فارقاً كبيراً وواضحاً بينهما بل يجد كلا المعنيين متقاربين إلا أن المعنى الاصطلاحي تناول الخبائث بنظرة شمولية أما المعنى اللغوي ففيه الإيجاز والإجمال.

الفصل الأول"

"الطيبات والخبائث في السياق القرآني"

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الطيبات ومشتقاتها في السياق القرآني

المبحث الثاني: الخبائث ومشتقاتها في السياق القرآني

المبحث الثالث: دراسة موضوعات الطيبات والخبائث في الآيات المكية والمدنية.

المبحث الأول

الطيبات ومشتقاتها في السياق القرآني

وردت لفظة الطيبات ومشتقاتها في السياق القرآني في تسعة وأربعين موضعاً من كتاب الله موزعة على ست وأربعين آية وثلاث وعشرين سورة وذلك بين المكية والمدنية.

أولاً: الطيبات ومشتقاتها في الآيات المكية:

وردت لفظة الطيبات ومشتقاتها في الآيات المكية في واحد وعشرين مرة موزعة على عشرين آية، وفي ثلاث عشرة سورة، وذلك على النحو التالي:

الرقم	الآية القرآنية	اسم السورة	رقم الآية
.1	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ... ﴾	الاعراف	32
.2	﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ... ﴾	الاعراف	58
.3	﴿ ... وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ... ﴾	الاعراف	157
.4	﴿ ... ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ... ﴾	الاعراف	160
.5	﴿ ...حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا ﴾	يونس	22
.6	﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ... ﴾	يونس	93
.7	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ... ﴾	ابراهيم	24
.8	﴿ ... كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ... ﴾	ابراهيم	24
.9	﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ... ﴾	النحل	32
.10	﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ... ﴾	النحل	72

الرقم	الآية القرآنية	اسم السورة	رقم الآية
11.	﴿ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ... ﴾	النحل	97
12.	﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ... ﴾	النحل	114
13.	﴿ ...وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ... ﴾	الاسراء	70
14.	﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ ... ﴾	طه	81
15.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ... ﴾	المؤمنون	51
16.	﴿ ...ۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴾	سبأ	15
17.	﴿ ...إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ... ﴾	فاطر	10
18.	﴿ ...وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾	الزمر	73
19.	﴿ ...وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ... ﴾	غافر	64
20.	﴿ ...وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	الجاثية	16
21.	﴿ ...أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا ... ﴾	الاحقاف	20

ثانياً: الطيبات ومشتقاتها في الآيات المدنية:

وردت لفظة الطيبات ومشتقاتها في الآيات المدنية في ثمانية وعشرين مرة موزعة على ستة وعشرين موضع، وفي عشر سور، وذلك على النحو التالي:

الرقم	الآية القرآنية	اسم السورة	رقم الآية
1	﴿ ...وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ ... ﴾	البقرة	57
2	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ... ﴾	البقرة	168

الرقم	الآية القرآنية	اسم السورة	رقم الآية
3	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ ... ﴾	البقرة	172
4	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ... ﴾	البقرة	267
5	﴿ ... قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾	ال عمران	38
6	﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ... ﴾	ال عمران	179
7	﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ ... ﴾	النساء	2
8	﴿ ... فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ ... ﴾	النساء	3
9	﴿ ... فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾	النساء	4
10	﴿ ... فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ ... ﴾	النساء	43
11	﴿ ... فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ... ﴾	النساء	160
12	﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ... ﴾	المائدة	4
13	﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ ... ﴾	المائدة	5
14	﴿ ... صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ ... ﴾	المائدة	6
15	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ... ﴾	المائدة	87
16	﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ ... ﴾	المائدة	88
17	﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ ... ﴾	المائدة	100

الرقم	الآية القرآنية	اسم السورة	رقم الآية
18	﴿ ... فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	الانفال	26
19	﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ ... ﴾	الانفال	37
20	﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ... ﴾	الأنفال	69
21	﴿ ... وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ... ﴾	التوبة	72
22	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾	الرعد	29
23	﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾	الحج	24
24	﴿ ... ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ ... ﴾	النور	26
25	﴿ ... وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ... ﴾	النور	26
26	﴿ ... وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ ... ﴾	النور	26
27	﴿ ... فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ... ﴾	النور	61
28	﴿ ... وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾	الصف	12

المبحث الثاني

الخبائث ومشتقاتها في السياق القرآني

وردت لفظة الخبائث ومشتقاتها في السياق القرآني في ثلاثة عشر موضعاً من كتاب الله موزعة على عشر آيات وتسع سور بين المكية والمدنية.

أولاً: الخبائث ومشتقاتها في الآيات المكية:

وردت لفظة الخبائث ومشتقاتها في الآيات المكية في خمسة مواضع موزعة على أربع آيات، في ثلاث سور، وذلك على النحو التالي:

الرقم	الآية القرآنية	اسم السورة	رقم الآية
1	﴿ ... وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ ... ﴾	الاعراف	58
2	﴿ ... وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ... ﴾	الاعراف	157
3	﴿ ... وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ ... ﴾	ابراهيم	26
4	﴿ ... كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾	ابراهيم	26
5	﴿ ... وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَآئِثَ ... ﴾	الانبياء	74

ثانيا: الخبائث ومشتقاتها في الآيات المدنية

وردت لفظة الخبائث ومشتقاتها في الآيات المدنية في ثمانية مواضع موزعة على ست آيات، في ست سور، وذلك على النحو التالي:

الرقم	الآية القرآنية	اسم السورة	رقم الآية
1	﴿ ... وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ ... ﴾	البقرة	267
2	﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ ... ﴾	ال عمران	179

الرقم	الآية القرآنية	اسم السورة	رقم الآية
3	﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ ... ﴾	النساء	2
4	﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ... ﴾	المائدة	100
5	﴿ ...وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ ... ﴾	المائدة	100
6	﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ... ﴾	الانفال	37
7	﴿ ... وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا ... ﴾	الانفال	37
8	﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ ... ﴾	النور	26

المبحث الثالث
دراسة موضوعات الطيبات والخبائث في الآيات المكية والمدنية

أولاً: دراسة حول ورود لفظة الطيبات في السياق القرآني:

1-ورود لفظة الطيبات في الآيات المكية:

تتبعت الباحثة لفظة الطيبات في الآيات المكية فلاحظت أنها وردت في سياق الموضوعات الآتية:

- وردت لفظة الطيبات في الآيات المكية في سياق الحديث عن الطيبات من الرزق التي كان أهل مكة قد حرموها على أنفسهم وقد أحلها الله سبحانه وتعالى لعباده،حيث جاء الخطاب للنبي ﷺ من الله بأن يسألهم ويقول لهم: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ... ﴾ [الأعراف:32]
- كما وردت لفظة الطيبات في السياق القرآني المكي في معرض الامتنان على بني اسرائيل الذين منَّ الله ﷻ عليهم بالنعم الكثيرة والآلاء العظيمة كإنزال المن والسلوى عليهم وأكل الطيبات من الرزق وفي ذلك يقول سبحانه ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ ... ﴾ **[الأعراف:160]** ويقول أيضاً ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ... ﴾ [يونس:93]
- كما وردت لفظة الطيبات في السياق القرآني المكي في معرض الحديث عن الحياة الطيبة مبينة أن هذه الحياة لن ينعم بها إلا أصحاب الأعمال الصالحة ذكوراً وإناثاً وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ... ﴾ [النحل:97]
- كما وردت لفظة الطيبات أيضاً في سياق الحديث عن طعام الرسل وكيف أن الله تعالى أمرهم بالأكل من الطيبات وعمل الصالحات ليكونوا بذلك قدوة لأقوامهم وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ... ﴾ [المؤمنون:51]

- ومن باب استنهاض الهمم وترويض النفوس على انتقاء الكلمة الطيبة والأحاديث الحسنة نجد الآيات المكية تبين بأن الكلم الطيب يصعد إلى الله والعمل الصالح يرفعه وفي ذلك يقول سبحانه :﴿ ... إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ... ﴾ [فاطر:10]

2- ورود لفظة الطيبات في الآيات المدنية

- وردت لفظة الطيبات في سياق الآيات المدنية في معرض الأمر الإلهي للناس بلا استثناء أن يأكلوا من الحلال الطيب وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا** ... ﴾ [البقرة: 168]
- كما وردت لفظة الطيبات في سياق الحديث عن الطهارة البديلة للماء عند فقده وتعذر الحصول عليه وهي التيمم وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ ... **فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ** ... ﴾ [المائدة: 6]
- كما وردت لفظة الطيبات في سياق معادلة ربانية تبين أن التكافؤ في الزواج هو مطلب رباني وهو سبيل لبناء حياة سعيدة حيث يبين الله سبحانه أن الطيبين لا يتزوجون إلا طيبات وأن الطيبات لا يتزوجن إلا طيبين، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ ... **وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ** ... ﴾ [النور : 26]
- كما وردت لفظة الطيبات في سياق الحديث عن النفقة الطيبة وفي ذلك خطاب للمؤمنين في المجتمع المدني: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ** ... ﴾ [البقرة : 267]
- كما جاءت لفظة الطيبات أيضاً في سياق ضرب المثل مبيناً سبحانه وتعالى أن الكلمة الطيبة كمثل الشجرة الطيبة من حيث إن الكلمة الطيبة تثمر علاقات وتواصل ومودة بين أبناء المجتمع الواحد كمثل الشجرة الطيبة الثابتة والمثمرة والتي تنتشر فروعها عالياً في السماء.
- وفي ذلك يقول **تعالى:** ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** ﴾ [إبراهيم: 24]

- ومن أجل استنهاض الهمم على الأعمال الصالحة والتنافس على ميادين الخير تحدث الله سبحانه و تعالى عن المساكن التي أعدت في الجنة للمتقين فوصفها بأنها مساكن طيبة تتناسب مع طيب نفوس أصحابها ونقاء سريرتهم وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ... ﴾ [التوبة: 72]
- كما وردت لفظة الطيبات في سياق علاج قضية اجتماعية خطيرة كانت سائدة شائعة في الجاهلية وهي استضعاف اليتامى وتبديل حقوقهم الطيبة بأموال خبيثة فجاءت الآية الكريمة تحذر من ذلك حيث يقول سبحانه : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ ... ﴾ [النساء: 2]
- كما بينت الآيات المدنية بأن الخبيث و الطيب لا يستويان رغم كثرة الخبيث لينفر النفوس من الخبيث ولو كان كثيراً ويرغبهم بالطيب ولو كان قليلاً،وفي ذلك يقول سبحانه:**﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبتك كثرة الخبيث﴾**.
- كما تحدثت الآيات المدنية التي وردت لفظة الطيبات في سياقها عن ظلم الذين هادوا وكيف كان ظلمهم وصدهم عن سبيل الله سبباً في تحريم الله عليهم طيبات كانت قد أحلت لهم وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ ... ﴾ [النساء: 160]
- كما وردت لفظة الطيبات في سياق حث المؤمنين في المجتمع المدني على التزام التحية الطيبة التي تبعث السلام بين المؤمنين وتنشر المحبة بينهم وفي ذلك يقول سبحانه ﴿ ... فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ ... ﴾ [النور: 61]
- كما وردت أيضاً في سياق الحديث عن الذرية الطيبة التي تعد من نعم الله العظيمة حيث كانت مطلباً لنبي من أنبياء الله وهو زكريا عليه السلام في سياق دعائه لربه قائلاً ﴿ ... قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: 38]

دراسة وتحقيق :

بعد أن تتبعت الباحثة ورود لفظة الطيبات في سياق الآيات المكية والمدنية والموضوعات التي وردت في معرض الحديث عنها خرجت الباحثة بالفوائد الآتية :

أولاً: الآيات المكية :

1- ناسب ورود لفظة الطيبات في العهد المكي في سياق الحديث عن الطيبات من الرزق كون أن الكثير من الناس في الجاهلية كانوا قد حرموا على أنفسهم أموراً لم يحرمها الله سبحانه وتعالى عليهم من أجل استئصال تلك الافكار المعشعشة في عقولهم والمستقرة في قلوبهم والتي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، وليظهر لهم منذ بداية الدعوة أنهم مدعوون إلى دين يوسع عليهم أرزاقهم بعد أن كانوا يعيشون في ضيق الجاهلية وبراثنها.

2- كما ناسب الحديث في العهد المكي عن الحياة الطيبة التي تتوفر لأصحابها بالتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، ترغيباً لهم في حياة أفضل من حياة الجاهلية وواقع يختلف عن واقعهم الذي كانت تنتشر فيه الخبائث والمنكرات كالخمر والزنى ووأد البنات بالإضافة إلى تخليصهم من تلك الحياة المضطربة التي كانت تشتعل فيها الحروب لأقل الأسباب وأتفهها.

3- كما ناسب الحديث العهد المكي عن الكلم الطيب لإلغاء تلك الأقوال الجاهلية والكلمات النابية التي كان يتبادلها الجاهليون في نواديهم المنكرة ومجالسهم الهابطة كمجالس الزنى والرقص وشرب الخمر وليبين أن هذا الدين يحرص على الكلمة الطيبة التي كانت توحد ولا تفرق والتي تحبب ولا تبغض، تلك الكلمات التي تستحق أن تصعد الى رب الأرض والسماوات وترتقي بصاحبها إلى الملأ الأعلى لترسم له مقعده وتؤسس له مكانه في جنة عرضها السماوات والأرض.

4- كما ناسب في العهد المكي أن يذكر القران الكريم بني اسرائيل بنعم الله عليهم لإحراجهم وليكون ذلك مدعاة لإيمانهم بالخالق المنعم واتباع الرسول المبعوث خاصة وأن اليهود كانوا يترددون بين الحين والآخر على مكة لتحريض زعمائها على استئصال الدعوة الاسلامية في مهدها ووأدها في بداية ولادتها.

ثانياً – الآيات المدنية

وأما في العهد المدني فقد اختلفت الموضوعات التي وردت لفظة الطيبات في سياقها بما يتناسب مع طبيعة الدعوة في المدينة وحاجة المدعوين حيث تتبعت الباحثة الآيات والموضوعات التي اشتملت عليها وخرجت بالفوائد الآتية:

1- ناسب في العهد المدني أن تتحدث الآيات المدنية حول الصعيد الطيب الطاهر المطهر والذي يعد بديلاً عن الماء للطهارة من الحدث الأصغر والأكبر حيث أصبح المجتمع المدني مجتمعاً

إيمانياً لا يمكن أن تتعطل فيه أهم عبادة بعد الشهادتين وأول عمل يسأل عنه العبد يوم القيامة بسبب فقد الماء أو تعذر الوصول إليه أو استعماله .

2- كما ناسب الحديث في العهد المدني عن المساكن الطيبة في جنات عدن من أجل أن يتنافس ذلك المجتمع الإيماني على أبواب الخير وليتمكنوا من الوصول إلى هذه المساكن ويتزاحموا على أعلاها درجة وأقربها منزلة من حبيبهم ونبيهم محمد ﷺ.

3- كما ناسب في العهد المدني كشف اللثام عن اليهود اللئام الذين كانوا يتربعون على أرض المدينة المنورة بغرض الإفساد بين العرب قبل قدوم النبي ﷺ مدعين أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن النار لن تمسهم فجاءت الآيات المدنية تكشف عن نواياهم وسوء سريرتهم وظلمهم لأنفسهم وغيرهم وعقاب الله لهم بتحريم بعض ما أحل لهم عليهم .

4- كما ناسب الحديث في العهد المدني عن النفقة الطيبة حيث إن الزكاة من ناحية عملية لم تفرض على المؤمنين إلا في المدينة المنورة بعد أن أصبح المجتمع المدني مجتمعاً إيمانياً قادراً على أن يجود بأمواله في وجوه الخير وفي أبواب رضا الله سبحانه .

5- كما ناسب الحديث عن التحية الطيبة في المرحلة المدنية حيث إن من متطلبات تلك المرحلة أن يبقى المجتمع متماسكاً متراصاً متحاباً كالجسد الواحد، والتحية الطيبة وسيلة من وسائل التحابب بين أفراد المجتمع وعامل من عوامل بقائه وتماسكه.

6- كما جاء الحديث في العهد المدني عن حماية أموال اليتامى من التغيير والتبديل كما كان يحدث في الجاهلية لتظهر روعة الإسلام الذي يضع ضمن أولوياته حماية أموال الفقراء والضعفاء بخلاف الأنظمة القديمة والجاهلية التي تسقط هؤلاء من خارطة الوجود وتسلب حقوقهم وتهضم أطيب أموالهم وقد ناسب ورود ذلك في العهد المدني في ظل وجود دولة قادرة على حماية الحقوق وإحقاق الحق لأصحابه والضرب على أيدي الطغاة والظالمين والمتغطرسين.

وبعد هذه الدراسة تخرج الباحثة بنتيجة هامة وهي أن لفظة الطيبات قد وردت في العهدين المكي والمدني في سياق آيات تشتمل على موضوعات تناسب كل مرحلة من مراحل الدعوة وتتناغم مع مصالح وأحوال المدعوين .

ثانياً: دراسة حول ورود لفظة الخبائث في السياق القرآني

1. ورود لفظة الخبائث في الآيات المكية:

تتبعت الباحثة لفظة الخبائث ومشتقاتها في الآيات المكية فلاحظت أنها وردت في سياق الموضوعات التالية :

- وردت لفظة الخبائث في العهد المكي في معرض الحديث عن إحلال الطيبات وتحريم الخبائث وذلك لتنقية المجتمع الإسلامي الجديد من مخلفات الجاهلية والخبائث التي أحلها الناس لأنفسهم بدل الطيبات وفي ذلك يقول سبحانه ﴿ ... وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ... ﴾ [الأعراف:157]
- كما وردت في معرض الحديث عن الكلمة الخبيثة التي لا تنتج إلا شراً كالشجرة الخبيثة التي لا تنتج إلا نكداً ، وفي ذلك يقول ﷻ:﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴾ [إبراهيم: 26] ، ويقول أيضاً ﴿ ... وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ ... ﴾ [الأعراف: 58].

2. ورود لفظة الخبائث في الآيات المدنية :

تتبعت الباحثة لفظة الخبائث ومشتقاتها في الآيات المدنية فلاحظت أنها وردت في سياق الموضوعات التالية :

- نهت الآيات المدنية عن النفقة من المال الخبيث على اعتبار ما بينته بعض الأحاديث النبوية بأن الصدقة أول ما تقع فهي تقع بيد الله والله طيب لا يقبل إلا طيباً، وفي ذلك يقول ﷻ:﴿ ... وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ ﴾ [البقرة :267].
- كما نهت الآيات المدنية عن تبديل المال الطيب لليتامى بأموال خبيثة لأن في ذلك عبئاً لهم واستضعافاً لأحوالهم وفي ذلك يقول تعالى:﴿ ... وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ ... ﴾[النساء: 2]
- كما بينت الآيات المدنية بأن الله لم يذر المؤمنين على ماهم عليه حتى يميز بين الخبيث والطيب وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ ... ﴾ [آل عمران:179]

- كما تتحدث الآيات المكية عن عدم استواء الخبيث والطيب حتى وإن كثر الخبيث وقل الطيب وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ... ﴾ [المائدة: 100] .
- وعلى صعيد الحياة الزوجية تبين الآيات المدنية أن الخبيثات للخبيثين والخبيثين للخبيثات ، فكل يتزوج ما يليق به وما يناسب حقيقته وواقعه .

دراسة وتحقيق

بعد أن تتبعت الباحثة ورود لفظة الخبائث ومشتقاتها في سياق الآيات المكية والمدنية والموضوعات التي وردت في معرض الحديث عنها خرجت بالفوائد الآتية :

أولاً : الآيات المكية

1- ناسب في العهد المكي أن يبين الله سبحانه وتعالى للمؤمنين ما أحلَّ لهم من الطيبات وما حرم عليهم من الخبائث ، خاصة وأن القوم الذين آمنوا في العهد المكي كانوا قريبي عهد بالجاهلية وما زالت الخبائث يتناولها المشركون بين ظهرانيهم كالميتة والدم ولحم الخنزير وغيرها فكان لا بد من تطهير نفوسهم وتنزيهها والإرتقاء بها عن أفعال الجاهلية وعاداتها .

2- كما ناسب التنفير من الكلمات الخبيثة في العهد المكي للإعلان بأن الإسلام لا يقبل من أتباعه إلا أن يتفوهوا بالكلمات الطيبات لتبقى ألسنتهم طاهرة وأنفاسهم نقية .

ثانياً : الآيات المدنية

1- ناسب أن يؤكد الله في المجتمع المدني على النفقة الطيبة وينهي عن النفقة الخبيثة ليربي النفوس المؤمنة على بذل أطيب المال وإنفاق المال المحبوب إلى النفس كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ... ﴾ [آل عمران: 92]

2- كما ناسب الآيات المدنية أن تحافظ على حقوق اليتامى وأموالهم وعدم تبديل الخبيث بالطيب ليعلن أمام الناس أن حقبة الإستضعاف قد انتهت وأن دين الإسلام دين يحمي الفقراء ويرحم الضعفاء .

3- كما ناسب أن تتحدث الآيات المدنية عن الأسس الصحيحة للزواج بشكل ضمني مبينة أنَّ الخبيثات للخبيثين والخبيثين للخبيثات من أجل بناء بيت مسلم قائم على تقوى الله سبحانه

وبالتالي مجتمع نقي إذ أنه لا يقوم للمجتمع قائمة لو تكونت لبناته من الطيبين والخبيثين وعندئذ ستختلط الأخلاق الفاضلة بالسيئة ولا يكون ذلك المجتمع الفاضل الذي تكون حول النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذي يعد أفضل مجتمع افرزته البشرية على مر التاريخ .

وبهذا يتبين **للباحثة** بعد هذه الدراسة وهذا التحقيق أن لفظة الخبائث قد وردت في سياقها المناسب وفي معرض الحديث عن الموضوعات المناسبة سواء في العهد المكي أو المدني .

"الفصل الثاني"

"أقسام الطيبات في القرآن الكريم"

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الطيبات الدنيوية

المبحث الثاني: الطيبات الأخروية.

المبحث الأول
الطيبات الدنيوية

وفيه أحد عشر مطلباً:

المطلب الأول: الرزق الطيب والنفقة الطيبة

المطلب الثاني: القول الطيب

المطلب الثالث: الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة

المطلب الرابع: الأكل الطيب

المطلب الخامس: الغنائم الطيبة

المطلب السادس: الذرية الطيبة

المطلب السابع: الحياة الطيبة

المطلب الثامن: البلد الطيب

المطلب التاسع: التحية الطيبة

المطلب العاشر: الصعيد الطيب

المطلب الحادي عشر: الريح الطيبة

المبحث الأول
الطيبات الدنيوية

إنَّ الناظر في آيات القرآن الكريم يجد أنَّ كثيراً منها تناول موضوع الطيبات بشيء من التفصيل للتذكير بنعم الله المتتالية على عموم خلقه مؤمنهم وكافرهم، وقد تنوعت هذه الطيبات لتشمل كلَّ جزء من حياة المرء لعله يصل من خلالها إلى مراد الله تعالى من خلقه فيكون إما من الفائزين أو من الخاسرين.

وقد بينت الباحثة وفصلت أنواع الطيبات خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الرزق الطيب والنفقة الطيبة

أفاض القرآن الكريم في حديثه عن الرزق الطيب والنفقة الطيبة، وقد ورد ذلك في آيات عديدة .

أولاً:الرزق الطيب

تحدث القرآن الكريم عن الرزق الطيب وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 57] وقوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: 160]

قال الرازي في تفسيره للآية: يعتبر هذا الإنعام السابع الذي ذكره الله تعالى لبني اسرائيل، وقد ذكر الله تعالى الآيتين السابقتين في سورتي البقرة والأعراف بنفس الألفاظ، والمعنى: (وظللنا) وجعلنا الغمام تظلكم، وذلك في التيه حيث سخر الله لهم السحاب يرافقهم ويسير معهم يظلهم من الشمس أينما ساروا ، وينزل عليهم المن وهو التَّرَنْجَبِينُ [1]، مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صَاعٌ، ويبعث الله إليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه، (كُلُوا) على إرادة القول، (وما ظلمونا) يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم أو بأن أخذوا أَزْيَدَ مما أَطْلَقَ لهم في أخذه أو بأن سألوا غير ذلك الجنس فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه. [2]

---

(1) الترنجبين: بتشديد الراء وتسكين النون، ويقال: الطرنجبين بالطاء: طل ينزل من السماء وهو ندى شبيه بالعسل جامد متحبب، انظر:(إيجاز البيان عن معاني القرآن)، النيسابوري(97/1).

(2) انظر:(مفاتح الغيب)،(ج3/ص521)

وذهب الواحدي في تفسيره إلى القول بأن سترناكم من حر الشمس في التيه بالسحاب الرقيق، وأنزلنا عليكم الطُّرَنْجبين الذي كان يقع على أشجارهم بالأسحار، والسلوى وهي طير أمثال السُّمانى وقلنا لهم كلوا من حلالات ما رزقناكم من الطيبات الكثيرة ، وفعلهم هذا الذي فعلوه بإبائهم على موسى عليه السلام دخول قرية الجبارين لم يكن ظلماً لنا، ولكنهم ظلموا أنفسهم حين تركوا أمرنا فحبسناهم في التيه. (1)

وقال أبو السعود في معنى الآية: أي جعلنا الغمام تُلقي عليكم ظلَّها، وذلك أنه تعالى سخر لهم السحابَ يسير بسيرهم وهم في التيه، يُظلهم من الشمس ويقيهم حرها ، وينزل بالليل عمودٌ من نار يسيرون في ضوئه وثيابُهم لا تتسخ ولا تَبْلى، وأنزلنا عليكم الترنجبين والسمانى ، وقيل كان ينزل عليهم المنُّ مثلَ الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسانٍ صاعٌ وتبعَثُ الجَنوبُ عليهم السمانى فيذبح الرجلُ منه ما يكفيه. (2)

ولقد حكى القرآن الكريم صورة أخرى من صور الرزق الطيب وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر:64]

هذا تنبيه من الله تعالى على آيات وعبر، متى تأملها العاقل أدته إلى توحيد الله والإقرار بربوبيته، حيث بين تعالى نعمته في أن جعل الْأَرْضَ قَراراً ومهاداً للعباد، وَالسَّماءَ بِناءً وسقفاً، والمراد بالطَّيِّباتِ المستلذات طعماً ولباساً ومكاسب وغير ذلك، ومتى جاء ذكر الطَّيِّباتِ بقرينة رَزَقَكُمْ ونحوها فهو المستلذ، ومتى جاء بقرينة تحليل أو تحريم كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ... ﴾ [الأعراف: 32] وكما قال الله تعالى: ﴿ ... وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ... ﴾ [الأعراف: 157] فالطيبات في مثل هذه المواضع: الحلال، وعلى هذا النظر يخرج مذهب مالك رحمه الله في الطيبات والخبائث، وقول الشافعي رحمه الله: إن الطيبات هي المستلذات، والخبائث هي المستقذرات ضعيف ينكسر بمستلذات محرمة ومستقذرات محللة لا رد له في صدرها، وأما حيث وقعت الطيبات مع الرزق فإنما هي تعديد نعمة فيما يستحسنه البشر، لاسيما هذه الآية التي هي مخاطبة للكفار.(3)

(1) انظر:(الوجيز)،(ج1/ص170)

(2) انظر:(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، (ج1/ص103-104)

(3) انظر:(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، ابن عطية الأندلسي المحاربي، (ج4/ص566-567)

وقال البيضاوي في تفسيره:" الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء استدلال ثان بأفعال أخر مخصوصة، وصوركم فأحسن صوركم بأن خلقكم منتصبي القامة بادي البشرة متناسبي الأعضاء، والتخطيطات متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات، ورزقكم من الطيبات اللذائذ. ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ،فإنَّ كلَّ ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال.

هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية، لا إله إلا هو ،إذ لا موجد سواه ولا موجود يساويه أو يدانيه في ذاته وصفاته، فادعوه فاعبدوه، مخلصين له الدين أي الطاعة من الشرك والرياء، الحمد لله رب العالمين قائلين له."[1]

أما القاسمي فقد فسر الآية بقوله: الله الذي جعل لكم الأرض قراراً أي تستقرون عليها وتسكنون فوقها وتكون مستقراً لكم، والسماء بناءً أي مبنية مرفوعة فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم وقوام دنياكم، وصوركم فأحسن صوركم بحيث يجعل كل عضو في مكان يليق به ويؤدي وظيفته المناسبة له، ليتم الانتفاع بها، فتستدلوا بذلك على كمال حكمته ورزقكم من الطيبات أي لذيذات المطاعم والمشارب لتشكروه وحده ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين أي الذي لا تصلح الربوبية إلا له.[2]

ومن الآيات التي تحدثت عن الرزق الطيب أيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:26]

ذكر ابن الجوزي في تفسيره، عن ابن عباس قال: نزلت في المهاجرين خاصة، كانت عِدَّتُهم قليلةً، وهم مقهورون في أرض مكة، يخافون أن يستلبهم المشركون، والمراد بالناس قيل ثلاثة أقوال:

الأول: أنهم أهل مكة.

والثاني: فارس والروم .

والثالث: أنهم المشركون الذين حضروا بدراً، والمسلمون قليلون يومئذ، (وأيدكم بنصره) أي قواكم بالملائكة يوم بدر، (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ) فيها قولان:

(1) (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، (62/5)
(2) انظر: (محاسن التأويل)، (318/8)

أحدهما: أنها الغنائم التي أحلَّها لهم، قاله السدي[1].

والثاني: أنها الخيرات التي مكّنهم منها، ذكره الماوردي.[2]

فمن خلال تأمل **الباحثة** للآية الكريمة ترى أنه يمكن الجمع بين هذين القولين حيث إن الطيبات الواردة في الآية هي الخيرات التي مكَّن الله المسلمين من جمعها وهي ذاتها تتضمن الغنائم التى أحلها الله للمسلمين يومئذ، والله أعلى وأعلم.

أما الشوكاني فقد ذكر في تفسيره، أنَّ الخطاب في هذه الآية للمهاجرين، أي اذكروا وقت قلتكم أيها المسلمون، والأرض هي أرض مكة، والخطف الأخذ بسرعة، والمراد بالناس مشركو قريش، وقيل فارس والروم، فآواكم وضمكم الله إلى المدينة وأيدكم وقواكم بالنصر في مواطن الحرب التي منها بدر، أو قواكم بالملائكة، ورزقكم من الطيبات التي من جملتها الغنائم لعلكم تشكرون.[3]

ومن خلال دراسة **الباحثة** للآية الكريمة والإطلاع على آراء المفسرين بما أتيح لها من تفاسير يتضح أن المراد بالناس في الآية الكريمة هم المشركون وهي تشمل مشركي مكة إذ لم يكن عدو للمسلمين في ذلك الوقت إلا مشركو قريش، إذ هم أقرب الأعداء وأشد وطأة عليهم من غيرهم، كما أن إطلاق لفظة الناس على المشركين بشكل عام تشمل كل مشرك سواء كان في مكة، أو في فارس والروم، أو أي مشرك إلى يوم القيامة فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والخطاب في القران الكريم صالح لكل زمان ومكان.

ومن الآيات التي تحدثت عن الرزق الطيب أيضًا قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الجاثية:16]

(1) السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الإمام المفسر أبو محمد الحجازي (طبقات ابن سعد ج6/ص323) السدي بضم السين منسوبٌ إلى السدة وهي حفة في باب مسجد الجامع بالكوفة، كان يسكنها إسماعيل السدي فنسب إليها، (جامع الأصول في أحاديث الرسول) ابن الأثير ج12/ص492 لقب السدي لأنه كان يجلس في المدينة في موضوع يقال له السد والمشهور بهذه النسبة إسماعيل بن عبد الرحمن أبي دؤيب،توفي عام127هـ (الأنساب المعاني ج109/7) / تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام دكتور بشار معروف ج3/ص371.

(2) انظر : (زاد المسير في علم التفسير)، (ج2/ص202)

(3) انظر:(فتح القدير)، ج2/ص344

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ آتينا يا محمد بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ، والمراد به التوراة والإنجيل، والحُكْمَ يعني الفهم بالكتاب الذي أنزل عليهم، والعلم بالسنن التي لم تنزل فى الكتاب، وجعلنا منهم أنبياء ورسُلاً إلى الخلق، وأطعمناهم رزقاً طيباً مباحاً لهم، ومن ذلك ما أطعمهم من المنّ والسلوى، وفضلناهم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في ناحيتهم بمصر والشام. (1)

وذكر الداعية الشهيد سيد قطب كلاماً طيباً في معنى الآية حيث قال: "كانت القيادة– قبل الإسلام– لبني إسرائيل الذين كانوا أصحاب عقيدة السماء التي اختارها الله لتلك الفترة من التاريخ، فكان فيهم التوراة، وكان فيهم الحكم لإقامة الشريعة، وكان فيهم النبوة بعد رسالة موسى وكتابه للقيام على الشريعة والكتاب، وكثر فيهم الأنبياء وتتابعوا فترة طويلة نسبياً في التاريخ، ورزقهم من الطيبات، فكانت مملكتهم ونبواتهم في الأرض المقدسة، الطيبة، الكثيرة الخيرات بين النيل والفرات، وكان تفضيلهم على أهل زمانهم بطبيعة الحال وكان مظهر هذا التفضيل الأول اختيارهم للقيادة بشريعة الله وإيتاءهم الكتاب والحكم والنبوة." (2)

ثانيا: النفقة الطيبة

تحدث القرآن الكريم عن النفقة الطيبة في آية واحدة وذلك في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: 267]

أسباب نزول الآية:

ورد في نزول هذه الآية الكريمة عدة أسباب:

1- عن البراء قال: "نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، وكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان الناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو[3] فيه

(1) انظر:(جامع البيان في تأويل القرآن)، الطبري، (ج22/ص69)

(2) (في ظلال القرآن)، (3228/5).

(3) القنو: عذق النخلة بما فيه من الرطب وهو العرجون، والجمع قنوان وإقناء، والقنو من التمر كالعنقود من العنب، (مشارق الأنوار على صحاح الآثار)، عياض السبتي، ج2/ص187، (النهاية في غريب الحديث والأثر)، ابن الأثير ج4/ص116، (ديوان امرئ القيس) امرؤ القيس1/ص43.

الشيص[1] والحشف[2] وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**﴾.[3]

2- عن سهل بن حنيف[4] قال: "كان الناس يَتَيَمّمُون شر ثمارهم يخرجونها من الصدقة، فنزلت: ﴿ **وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ**﴾.[5]

3- وعن جابر قال: "أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر، فجاء رجل بتمر رديء فنزل القرآن﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**﴾"[6]

وتباينت آراء العلماء في تفسيرهم للآية، فقال النسفي في تفسيره: يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة في أموال التجارة، ومما أخرجنا لكم من الأرض من الحب والثمر والمعادن وغيرها، ولا تقصدوا المال الرديء وتخصونه بالإنفاق، ولا تيمموا الخبيث منفقين أي مقدرين النفقة، وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه، وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه، واعلموا أَنَّ الله غَنِيٌّ عن صدقاتكم، حَمِيدٌ مستحق للحمد أو محمود.[7]

---

(1) الشيص: شيصاء التمر رديئه،الشاصي:الذي اذا قطعت قوائمه ارتفعت مفاصله،والشيص التمر الذي لا يشتد نواه، وأشاصت النخلة يبس ثمرها.(مختار الصحاح)، الرازي ج1/ص171، (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير) الحموي، ج1/ص329، (المحيط في اللغة) ابن عباد ج2/ص174، (الحيوان) الجاحظ ج3/ص11.

(2) الحشف: الحشف بِفَتْح الْحَاء هُوَ دنيه وَمَا يبس مِنْهُ قبل نضجه مِمَّا لَا طعم لَهُ، وهو اليابس الفاسد من التمر، الذي لا حلاوة فيه. انظر(زكاة الخارج من الأرض) القحطاني، (مجمل اللغة) ابن فارس، (تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم) الحميدي، (مشارق الأنوار على صحاح الآثار) السبتي، (جمهرة اللغة) الأزدي.

(3) الحاكم (ج2/ص385) في صحيحه. وقال عنه صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه.

(4) سهل بن حنيف بن واهب –أبو ثابت– الأنصاري الأوسي، صحابي جليل، روي عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في غزاة فمر بنهر فاغتسل فيه، وكان رجلاً حسن الجسم فمر به رجل من الأنصار فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة وتعجب من خلقته فلبط به فصرع فحمل إلى النبي ﷺ محموما، فسأله فأخبره فقال رسول الله ﷺ: ما يمنع أحدكم إذا رأى من أخيه ما يعجبه في نفسه أو في ماله فليبرك عليه فإن العين حق ، توفي سنة 38هـ. انظر ترجمته في: ((الإصابة)): (ج4/ص 273–274) ، ((أسد الغابة)) : (ج2/ ص318) ، ((سير أعلام النبلاء)) : (ج2/ص 325– 329) .

(5) أبو داود (1607) في الزكاة، الحاكم (ج1/ص559)، قال الذهبي: حديث صحيح على شرط البخاري.

(6) أسباب النزول، للإمام السيوطي، ص: 77

(7) انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، (ج1/ص220)

وقال أبو بكر الجزائري في تفسيره: خاطب الله عباده هنا في هذه الآية بنداء المؤمنين بعد أن رغبهم بالإنفاق في الآية السابقة، وأمرهم بإخراج زكاة أموالهم من أفضل ما يكسبون، ومما أخرج لهم من الأرض من الحبوب والثمار، كما أن ما يكسبونه يشمل النقدين والماشية من إبل وبقر وغنم، ونهاهم عن التصدق بالمال الرديء، فلا ينبغي لهم أن ينفقوا الرديء فأنتم لو أعطيتموه في حق لكم ما كنتم لتقبلوه لولا أنكم تتساهلون في أخذه وتغضون الطرف فيه، وهذا تربية وتأديب من الله تعالى وتقويم لسلوكهم، وأعلمهم أخيراً أنه تعالى غني عن خلقه ونفقاتهم فلم يأمرهم بالزكاة والصدقات لحاجة به، وإنما أمرهم بذلك لإكمالهم وإسعادهم، وأنه تعالى حميد محمود بماله من إنعام على سائر خلقه. (1)

أما الزحيلي فيقول: يعتبر المال أمانة في عنق صاحبه، وكما أن الحصول على المال ليس بالأمر الهين اليسير، كذلك إنفاقه ليس سهلاً على النفس حيث يعتبر المال محبوب النفس ومعشوقها،وهنا أمر الله تعالى عباده أن ينفقوا من جياد أموالهم،ونهاهم أن يتعمدوا الخبيث أو الخاسر أو الفاسد، فلا يصح للمتصدق سواء في الزكاة المفروضة أم في التطوعات المالية أن يتعمد إعطاء الفقير الخبيث الرديء، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وليس من الأدب أو الإحسان أن يجعل الإنسان لله ما يكره من المال، فهذا نهي عن تعمد الصدقة من الخبيث دون الطيب. وكما قال تعالى:﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾ [آل عمران: 92].(2)

المطلب الثاني: القول الطيب

إن الكلم الحسن، والقول الطيب من أعظم أسباب كثرة الحسنات ورفعة الدرجات، وحط الخطيئات، وعلو المنزلة عند رب الأرض والسموات، يقول رب البريات: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [الحج: 24]

يقول الرازي في تفسيره لهذه الآية: " **(وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ)** وفيه وجوه:

أحدها:أن شهادة أن لا إله إلا الله هو الطيب مِنَ الْقَوْلِ لِقَوْلِهِ: **﴿..مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ [ابرَاهِيمَ: 24]** وَقَوْلِهِ: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾** [فَاطِرٍ: 10]

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير)، (ج1/ص261)
(2) انظر:(التفسير الوسيط) (156/1)

وَثَانِيهَا: (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) هُوَ الْقُرْآنُ

وَثَالِثُهَا: هُوَ قَوْلُهُمْ الْحَمْدُ للَّه الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ

ورابعها: أنهم إذا ساروا إلى الدار الآخرة هدوا إلى البشارات التي تأتيهم من قبل الله تعالى بدوام النعيم والسرور والسلام، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾[الرعد:23- 24]" [1]

أما أبو السعود فقد فسر هذه الآية بقوله: (وهدوا إلى الطيب من القول) أي قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة، (وهدوا إلى صراط الحميد) أي المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة، وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الإسلام، ووجه التأخير حينئذ أن ذكر الحمد يستدعي ذكر المحمود [2]

ويقول الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: وهدوا إلى الطيب من القول أي: أرشدوا إليه، قيل: هو لا إله إلا الله، وقيل: الحمد لله، وقيل: القرآن، وقيل: هو ما يأتيهم من الله سبحانه من البشارات، وقد ورد في القرآن ما يدل على هذا القول المجمل هنا، وهو قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا... ﴾ [الزمر: 74]وقول الله تعالى : ﴿ ... ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَاۖ... ﴾ [الأعراف: 43]، ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: 34] ومعنى: وهدوا إلى صراط الحميد أي أن الله تعالى أرشدهم إلى الصراط المحمود وهو طريق الجنة والسبيل إليه، أو صراط الله الذي هو دينه القويم، وهو الإسلام. [3]

أما الزحيلي فيرى في تفسيره لهذه الآية: وهدوا إلى الطيب من القول، أي وأرشد أهل الجنة إلى القول الطيب، وهو كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وما جرى معها من ذكر وتقديس وتسبيح وتحميد لله عز وجل، أو قوله تعالى حين دخول الجنة: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر 74]، فكل كلام أهل الجنة شيق وحديث طيب، وهذا في مقابل أهل النار الذين يقرعون ويوبخون ويقال لهم: ذوقوا عذاب

(1) (مفاتح الغيب)، ج23/ص215-216

(2) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ج6/ص102

(3) انظر: (فتح القدير)ج3/ص226

الحريق،وقوله:**(وهدوا إلى صراط الحميد)** أي وأرشدوا إلى الطريق المحمود أو إلى المكان الذي يحمدون فيه ربهم على نعمه وأفضاله، أو إلى السلوك الحسن المرضي ربهم في أقوالهم وأفعالهم، والأصح: إلى طريق الله الحميد أي المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة. [1]

ويقول سعيد حوى في تفسيره: "أي إلى الطريق المستقيم في الدنيا، والحميد هو المحمود بكل لسان، ويحتمل أن يكون المعنى وهدوا في الآخرة إلى القول الطيب حتى لا يقولوا إثماً، ولايقولوا إلا ذكراً وسلاماً، وهدوا إلى المكان الذي يحمدون فيه ربهم على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداه إليهم"[2]

أما الشيخ عائض القرني فيقول: "والله أرشد عباده الصالحين في الدنيا إلى أحسن الكلام من توحيد وتسبيح وعلم نافع وأمر بمعروف ونهي عن منكر ونحوه، وأرشدهم في الجنة إلى حمده وشكره على حسن الثواب وعظيم الأجر، وقد أرشدهم إلى الصراط المستقيم من الإيمان به واتباع رضوانه والعمل بكتابه وسنة رسوله"[3]

ومما سبق يتبين **للباحثة** أن القول الطيب هو تاج يزين الإنسان المؤمن، به يتميز عن غيره، وبه يرتقي إلى أعلى الدرجات، وهو من أهم أسباب التذكر والخشية ومغفرة الذنوب، وصلاح الأعمال، وبه تسد منافذ الشيطان وتكفر الخطيئة وترفع الدرجات، ومن هنا ينبغي على المسلم ألا يزهد أبداً بما عنده من العلم والخير، فلا يدري أين ومتى تؤتي كلمته عطائها ومتى تثمر؟؟ وطيب الكلم وحسنه هو هدي النبي ﷺ في دعوته، ومن بيان النبي ﷺ بشأن الكلم الطيب وحسن عاقبته على أهله في العاجلة والآجلة قوله ﷺ :- "**أفش السلام، وأطب الكلام، وصل الأرحام، وصلي بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام**"[4] ، وفي الصحيحين عن النبيﷺ قال: **ويعجبني الفأل، قيل وما الفأل؟ قال الكلمة الطيبة**"[5] متفق عليه، وصح عن النبي ﷺ قوله: "**اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة**"[6] **وقوله ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت**"[7].

فيجب على كل من أراد الفلاح في دنياه وآخرته أن يتبع حسن القول وطيب الكلام.

---

(1) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، ج17/ص184.

(2) الأساس في التفسير،ج7/3539-3540

(3) التفسير الميسر، ج1/ص390 .

(4) سنن ابن ماجه (ج4/ص 397) حديث رقم: 3251، قال شعيب : إسناده صحيح، أَبْوَابُ الْأَطْعِمَةِ بَابُ إِطْعَامِ الطَّعَامِ

(5) صحيح البخاري، كِتَابُ الطِّبِّ بَابُ لاَ عَدْوَى حديث رقم: 5776، (ج7/ ص139).

(6) صحيح البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ، حديث رقم: 6563 بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ (ج8/ ص115) .

(7) صحيح البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ حديث رقم: 6475،(ج8/ص 100) .

المطلب الثالث: الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة

ورد الحديث عن الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة معاً في آية واحدة ،وهي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم: 24-25].

يرى الطبري أن معنى الآية ألم تر يا محمد بعين قلبك كيف مثَّل الله مثَلا وشبَّه شبَهًا كلمة طيبة، ويقصد بالطيبة: الإيمان بالله سبحانه وتعالى، كشجرة طَيّبة الثمرة، ولم يذكر سبحانه "الثمرة" استغناء بمعرفة السَّامعين عن ذكرها بذكر "الشَّجرة"، وقوله: ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾، أي أن أصلَ هذه الشجرة راسخ ثابت في الأرض "وفرعها"، وهو أعلاها في "السماء"، مرتفع علُوًّا نحوَ السماء. وقوله: ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾، أي تطعم ما يؤكل منها من ثمرها كلّ حين بأمر الله تعالى، ويمثِّل الله الأمثال للناس، ويشبّه لهم الأشباهَ ؛ ليتعظوا ويتذكروا حُجَّة الله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا، فينزجروا عن الكفر الذي يعتنقونه ويلازمهم إلى الإيمان بالله تعالى.[1]

ويقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: "اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال الأشقياء وأحوال السعداء، ذكر مثالاً يبين الحال في حكم هذين القسمين، وهو هذا المثل. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى ذكر شجرة موصوفة بصفاتٍ أربعةٍ ثم شبه الكلمة الطيبة بها.

فالصفة الأولى: لتلك الشجرة كونها طيبة، وذلك يحتمل أموراً:

أحدها: كونها طيبة المنظر والصورة والشكل.

وثانيها: كونها طيبة الرائحة.

وثالثها: كونها طيبة الثمرة يعني أن الفواكه المتولدة منها تكون لذيذة مستطابة.

ورابعها: كونها طيبة بحسب المنفعة يعني أنها كما يستلذ بأكلها فكذلك يعظم الانتفاع بها، ويجب حمل قوله: شجرةٍ طيبةٍ، على مجموع هذه الوجوه لأن اجتماعها يحصل كمال الطيب.

والصفة الثانية: قوله: أصلها ثابتٌ أي راسخٌ باقٍ آمن الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء وذلك لأن الشيء الطيب إذا كان في معرض الانقراض والانقضاء، فهو وإن كان يحصل الفرح بسبب وجدانه إلا أنه يعظم فكانت ثمراتها نقية ظاهرة طيبة عن جميع الشوائب.

(1) انظر:(جامع البيان في تأويل القرآن)، ج16/ص566-567

والصفة الثالثة: قوله: تؤتي أُكلها كل حينٍ بإذن ربها ،والمراد: أن الشجرة المذكورة كانت موصوفة بهذه الصفة، وهي أن ثمرتها لا بد أن تكون حاضرة دائمة في كل الأوقات، ولا تكون مثل الأشجار التي يكون ثمارها حاضراً في بعض الأوقات دون بعضٍ، فهذا شرح هذه الشجرة التي ذكرها الله تعالى في هذا الكتاب الكريم ومن المعلوم بالضرورة أن الرغبة في تحصيل مثل هذه الشجرة يجب أن تكون عظيمة، وأن العاقل متى أمكنه تحصيلها وتملكها فإنه لا يجوز له أن يتغافل عنها وأن يتساهل في الفوز بها."[1]

وتؤيد **الباحثة** ما ذهب إليه الرازي في تفسيره حول المراد من الشجرة الطيبة وهي تلك الشجرة التي جمعت نعوتاً عديدة، وهي أنها طيبة المنظر والصورة والشكل، وكونها طيبة الرائحة والثمرة، ويستلذ بأكلها وينتفع به، وهكذا تكون طيبة يضرب بها المثل.

وقد جاءت آثار صحيحة حول المراد بالشجرة الطيبة، قال رسول الله ﷺ: **أخبروني بشجرة كمثل الرجل المسلم، تُؤتي أكلها كل حين، لا يتحاتُّ ورقها؟ قال: فوقع في نفسي أنها النَّخلة، فكرهت أن أتكلم وثَمَّ أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلموا، قال رسول الله ﷺ: هي النخلة.**[2]

أما البيضاوي فيقول في تفسيره للآية: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كيف اعتمده ووضعه، وجعل كلمة طيبة كشجرة طيبة، وهو تفسير لقوله ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا، أَصْلُها ثابِتٌ في الأرض راسخاً متيناً ضارباً بعروقه فيها، وَفَرْعُها وأعلاها فِي السَّماءِ ويجوز أن يريد وفروعها أي أفنائها وأغصانها، تُؤْتِي أُكُلَها أي تعطي ثمرها في كل وقت قدره الله لهذا الثمر، بقدرته وإذنه وإرادة الخالق المنشئ لها، ﴿**تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ لأن في ضربها زيادة إفهام وتذكير للناس، فإنه تصوير للمعاني وإدناء لها من الذهن وتقريب لها من الحس.[3]

ويقول سيد قطب في تفسيره: "إن مشهد الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، هو مشهد مستوحى ومستمد من جو السياق، ومن قصة النبيين، وشجرة النبوة هنا وظل إبراهيم أبي الأنبياء عليها جلي واضح، وهي تؤتي أكلها في كل وقت وحين، أكلاً طيباً مستلذاً، نبياً من الأنبياء.. يثمر إيماناً وخيراً وحيوية،ولكن المثل- بعد تناسقه مع جو السورة وجو القصة- أبعد من هذا مقصداً وغايةً وحكمة،وأعمق حقيقة ،وأكثر اتساعاً وشمولاً.

---

(1) مفاتح الغيب، ج19/ص89-90.

(2) صحيح البخاري ، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ)، حديث رقم: 4698، (ج6/ص 79).،والصحابي هو عبدالله بن عمر

(3) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ج3/ص198.

إن الكلمة الطيبة– كلمة الحق– كالشجرة الطيبة،راسخة سامقة مثمرة.. ثابتة لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل ولا تقوى عليها معاول الطغيان– وإن خيّل للبعض أنها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان– سامقة متعالية، تطل على الشر والظلم والطغيان من عل– وإن خُيّل إلى البعض أحياناً أن الشر يزحمها في الفضاء– مثمرة لا ينقطع ثمرها، لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة آناً بعد آن، وليس هذا مجرد مثل يضرب، ولا مجرد عزاء للطيبين وتشجيع، إنما هو الواقع في الحياة، ولو أبطأ تحققه في بعض الأحيان، والخير الأصيل لا يموت ولا يندثر، مهما زحمه الشر وأخذ عليه الطريق".[1]

أما الآية الأخرى التي تحدثت عن الكلمة الطيبة فهي قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ... ﴾ [فاطر:10]

والمعنى: من كان يريد العزة فليتعزز بالله وليعتصم به وليلجأ إليه ويلوذ به، فلله العزة جميعًا، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان، فإليه يصعد ذكر العبد وثناؤه عليه، ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح، وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه والانتهاءعما نهى عنه.[2]

يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: كان الكافرون يتقوُّن و يتعززون بالأصنام، كما قال عزَّ وجل: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾ [مريم:81] والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم: كانوا يتعززون بالمشركين، كما قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:139] فبين أنه لا عزة إلا لله ولأوليائه. وقال﴿ ... وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ [المنافقون: 8] والمعنى فليطلبها من عند الله، فوضع قوله فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً موضعه، استغناء به عنه لدلالته عليه، لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه، ومعنى ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ أنّ العزة كلها مختصة بالله: عزة الدنيا وعزة الآخرة، ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح، والكلم الطيب: لا إله إلا الله، عن ابن عباس رضى الله عنهما: يعنى أنّ هذه الكلم لا تقبل، ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة، كما قال عزَّ وجل: ﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين: 18] إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها، وقيل: الرافع الكلم، والمرفوع العمل، لأنه

(1) (في ظلال القرآن)، ج4/2098–2099.

(2) انظر:(جامع البيان في تأويل القرآن)، ج20/ص444.

لا يقبل عمل إلا من موحد، وقيل: الرافع هو الله تعالى، والمرفوع العمل. وقيل: الكلم الطيب: كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك. (1)

أما المراغي فيقول في تفسيره: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾ إن الله سبحانه لا يقبل إلا طيب الكلام قراءة القرآن والتوحيد والذكر ، ومن الذكر: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ﴿ **وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾ويرتبط صلاح العمل بالإخلاص فيه ، وما كان كذلك أثاب الله عليه وقبله، ومالم يكن فيه إخلاص فلا ثواب عليه بل عليه العقاب، فأعمال البر كالصلاة والزكاة إذا فعلت مراءاة للناس بلا نية صادقة ولا إخلاص، فلا يتقبلها الله كما قال سبحانه ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧** ﴾ [الماعون 4-7]. (2)

أما سيد قطب فيقول في تفسيره لهذه الآية:لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون العزة التي كانت تبغاها قريش وتطلبها بعقيدتها المهلهلة الواهية والوثنية من الناس ،لا يمكن أن يكون هؤلاء مصدراً للعزة ،ولا يمكن أن يمنحوها أو يمنعوها ،وإذا كانت لهم قوة فمصدرها الأول هو الله، وإذا كانت لهم منعة فواهبها هو الله، وإذن فمن كان يريد العزة والمنعة فليذهب إلى المصدر الأول، لا إلى الآخذ المستمد من هذا المصدر، ليأخذ من الأصل الذي يملك وحده كل العزة، ولا يذهب يطلب قمامة الناس وفضلاتهم، ومن هنا يذكر الكلم الطيب والعمل الصالح، ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾، ولهذا التعقيب المباشر بعد ذكر الحقيقة الضخمة مغزاه وإيحاؤه، فهو إشارة إلى أسباب العزة ووسائلها لمن يطلبها عند الله، القول الطيب والعمل الصالح، القول الطيب الذي يصعد إلى الله في علاه والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه ويكرمه بهذا الارتفاع، ومن ثم يكرم صاحبه، ويمنحه العزة والاستعلاء.(3)

من خلال هذا المطلب تخلص **الباحثة** إلى أن العلاقة بين الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة هي علاقة وطيدة، متينة، راسخة ليست متزعزعة فالكلمة الطيبة هي التي تتألف من حروف تسعد بها القلوب قبل الآذان، عذبة اللفظ .. جميلة المعنى، تحن إليها النفوس وتشتاق إليها القلوب في كل وقت وحين، لذا كان لزاماً على كل مسلم أن يعود لسانه على الكلم الطيب حتى يسلم القلب ويجلو

(1) انظر:(الكشاف)، ج3/ص602

(2) انظر:(تفسير المراغي)، ج22/ص112.

(3) انظر:(في ظلال القرآن)، ج5/ص2930/2929.

من كل صدأ، ولا يبقى فيه مكان للغل والبغضاء والشحناء، وكذا الشجرة الطيبة الصالحة التي تضرب بجذورها في باطن الأرض وتمتد فروعها إلى الأعلى وهي تفيض على الناس بخيراتها وثمارها وظلالها الطيبة، والإنسان الطيب أصله ثابت بالإخلاص وحسن الخلق وبالإيمان الراسخ، وكلما كانت جذوره طيبة ...أضحى المؤمن معطاءً للخير مفعماً به متجدداً بالعطاء.

المطلب الرابع: الأكل الطيب

إنّ الأكل الطيب الحلال من تمام الدين، وقد ورد ذكر الأكل الطيب في عديدٍ من آيات الذكر الحكيم، أما الآية الأولى فهي قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة:168]

والمعنى: يا أيّها الناسُ كلوا مما أحللت لكم من الأطعمة على لسان رسولي محمد ﷺ فطيَّبْته لكم مما تُحرِّمونه عَلى أنفسكم من البحائر والسوائب والوصائل[1] وما أشبه ذلك مما لم أحرِّمه عليكم دون مَا حرَّمته عليكم من المطاعم والمآكل من مَيتة ودم ولحم خنزير وما أهِلّ به لغيري، واتركوا خُطوات الشيطان ودعوكم منها، فهو الذي يوبقكم فيهلككم، ويوردكم مَوارد العطب، ويحرّم عليكم أموالكم، فلا تتبعوها ولا تعملوا بها، إن الشيطان كان لكم عدو، وقد أظهر لكم عَداوته، بإبائه عن السجود لأبيكم، وغُروره إياه حَتى أخرجه من الجنة، واستزله بالخطيئة، وأكل من الشجرة، فلا تنتصحوه، أيها الناس، مع إبانته لكم العداوة، ودعوا ما يأمركم به، والتزموا طاعتي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه مما أحللته لكم وحرَّمته عليكم، دون ما حرمتموه أنتم على أنفسكم وحللتموه، تقرباً منكم و طاعة للشيطان واتباعًا لأوامره.[2]

ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" لما بين تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه المستقل بالخلق، شرع يبين أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر ذلك في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض حال كونه حلالاً من الله طيباً، أي مستطاباً في نفسه غير ضار للعقول ولا للأبدان، ونهاهم أن يتبعوا خطوات الشيطان وأن يسيروا في ركابه ومسالكه، كما أضلَّ أتباعه من تحريم

(1) البحيرة: المشقوقة الأذن وهي الناقة نتجت خمسة أبطن فإن كان آخرها سقباً (أي ذكراً) أكلوه وبحروا أذن الناقة، وخليت لا تحلب ولا تركب. السائب: الإبل تسيّب بنذر أو بلوغ راكبها حاجته. الوصيلة: الشاة ولدت سبعة أبطن، فإن كان ذكراً أكله الرجل. (مجاز القرآن) لأبي عبيدة ج1/ص180، الطبري ج11/ ص126.

(2) (جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري)، (ج3/ص300)، (بتصرف).

البحائر والسوائب ونحوهما مما زينه لهم في جاهليتهم، **كَمَا فِي حَدِيثِ عِيَاضِ بْنِ حمار[1] الذِي فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ كُلَّ مَا أمنحُه عِبَادِي فَهُوَ لَهُمْ حَلَالٌ" وَفِيهِ: "وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفاء فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وحَرَّمتْ عَلَيْهِمْ مَا أحللتُ لَهُمْ".** [2]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: تُليت هَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا} فَقَامَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَقَالَ. "يَا سَعْدُ، أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفه مَا يُتَقَبَّل مِنْهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْت وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ"** [3] [4]

أما السعدي فيقول في تفسيره: هذا خطاب يشمل الناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، فامتن عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما تخرج الأرض، من ثمار، وفواكه، وحبوب، وحيوانات، حالة كونها حَلالاً أي: محللاً لكم أن تتناولوها، بالطرق المشروعة ليس بغصب ولا سرقة، وحال كونها طيبةً أي: ليس بخبيثة، كالميتة والدم، ولحم الخنزير، والخبائث كلها، ففي هذه الآية، دليل على أن الأصل في الأعيان الإباحة، أكلاً وانتفاعاً، وأن المحرم نوعان: إما محرم لذاته، وهو الخبيث الذي هو ضد الطيب، وإما محرم لما عرض له، وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، وهو ضد الحلال.

وفيه دليل على أن الأكل بقدر ما يقيم البنية واجب، يأثم تاركه لظاهر الأمر، ولما أمرهم باتباع ما أمرهم به – إذ هو عين صلاحهم – نهاهم عن اتباع خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ أي: طرقه التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر، وفسوق، وظلم، ويدخل في ذلك تحريم السوائب، والحام،

---

(1) عِيَاضُ بْنُ حِمَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ، وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ وَمَعَهُ نَجِيبَةٌ يُهْدِيهَا لَهُ، فَقَالَ: «أَأَسْلَمْتَ» ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ نَهَانَا أَنْ نَقْبَلَ زَبَدَ الْمُشْرِكِينَ» . قَالَ: فَأَسْلَمَ، فَقَبِلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ. فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، الرَّجُلُ مِنْ قَوْمِي أَسْفَلَ مِنِّي يَشْتُمُنِي فَأَنْتَصِرُ مِنْهُ؟، فَقَالَ: «الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَكَاذَبَانِ»//الطبقات الكبرى [ص:528].

(2) صحيح مسلم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، حديث رقم: 2865 ،(ج4/ ص2197).

(3) المعجم الأوسط (ج6/ ص311) حديث رقم: 6495، لا يروى هذا الحديث عن ابن جريج إلا بهذا الإسناد، تفرد به الاحتياطي"، قال الهيثمي في (المجمع): (10/حديث:18101) رواه الطبراني في الصغير وفيه من لم أعرفهم، وقال ابن رجب في (جامع العلوم) (الحديث العاشر): أخرجه الطبراني بإسناد فيه نظر، وقال الشيخ الألباني رحمه الله: (ضعيف جداً): ضعيف الترغيب (1071)، الضعيف (1812)

(4) تفسير القرآن العظيم،ج1/ص478

ونحو ذلك، ويدخل فيه أيضاً تناول المأكولات المحرمة، إن الشيطان كان لكم عدواً ظاهر العداوة، فلم يكتف ربنا بنهينا عن اتباع خطواته، بل أخبرنا – وهو أصدق القائلين – بعداوته وبغضه الذي يتطلب منا أن نحذر منه. (1)

ولقد حكى القرآن صورة أخرى من صور الأكل الطيب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون:51]

وذهب النسفي في تفسير هذه الآية إلى القول :هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لأن الرسل أرسلوا في أزمنة مختلفة،كما أنهم أرسلوا متفرقين وإنما المعنى المراد، الإعلام بأنَّ كلَّ رسول في زمانه نودي بذلك وأمر به ليعتقد السامع أن أمراً نودي له جميع الرسل، وصوابه حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه، أو هو خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه، وكان يأكل من الغنائم، أو لعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل أمه وهو أطيب الطيبات، والمراد بالطيبات ماكان حلالاً والأمر للتكليف، أو ما يستطاب ويستلذ والأمر للترفيه والإباحة، واعملوا صالحا، فإنّ الله عَلِيمٌ بأعمالكم وسيجازيكم عليها. (2)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} . وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [الْبَقَرَةِ: 172] . ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وغُذِّي بِالْحَرَامِ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، فأنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ" (3).

وقيل في تفسير هذه الآية كذلك" حكاية لرسول الله ﷺ على وجه الإجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها إثر حكاية إيواء عيسى عليه السلام وأمه إلى الربوة إيذاناً بأن ترتيب مبادئ التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل إباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به أي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحاً فعبر عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية إجمالاً للإيجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، (80/1).
(2) انظر:((مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، (ج2/ص471)
(3) صحيح مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، حديث رقم: 1015(ج2/ص 703)

وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدى رحمهم الله تعالى أنه خطاب لرسول الله ﷺ وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه إبانة لفضله وقيامه مقام الكل، والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المأكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالأمر للترفيه {واعملوا صالحا} أي عملا صالحا فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم {إنى بما تعملون} من الأعمال الظاهرة والباطنة {عليم} أجازيكم عليه" [1]

ومن الآيات التي ورد فيها الحديث عن الأكل الطيب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة:172]

قال الطبري في تأويل هذه الآية :هذا نداء من الله عزَّ وجل للذين آمنوا وصدقوا الله ورسوله، وأذعنوا له بالطاعة، وشهدوا له وأقروا بالعبودية، نداء لهم يتضمن أمرهم بأن يطعَموا من حَلال الرزق الذي أحله الله لهم، فطاب ولذَّ بتحليل الله إياه لهم، مما كانوا يحرِّمونَ على أنفسهم، ولم يكن الله قد حرمّه عليهم، من المطاعم والمشارب، وأثنوا على الله بما هو أهله، على النعم التي رزقكم وَطيَّبها لكم، إن كنتم منقادين لأمره خاضعين سامعين مطيعين، فكلوا مما أباح لكم أكله وحلله وطيَّبه لكم، ودعوا في تحريمه خطوات الشيطان، وقد ذكر في سياق الآيات السابقة بعضاً من المطعومات التي حرموها على أنفسهم في جاهليتهم، وهي التي ندبهم إلى أكلها ونهاهم عن اعتقاد تحريمها، إذْ كان تحريمهم إياها في الجاهلية اذعاناً و طاعةً منهم للشيطان، واتباعًا لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والأسلاف، ثم بيّن لهم تعالى ذكره ما حرَّم عليهم، وفصَّله لهم مُفسَّرًا. [2]

وقد ذكر المراغي كلاماً لطيفاً في تفسيره لهذه الآية حيث قال: كان المشركون وأهل الكتاب قبل مجيء الإسلام فرقاً وأصنافاً، فمنهم من حرّم على نفسه أشياء معينة كالبحيرة والسائبة عند العرب، وبعض الحيوان عند غيرهم، وكان الشائع لدى النصارى أن أقرب القربات تعذيب النفس وحرمانها من جميع اللذات، واحتقار الجسد وما يلزمه، وأن الله لا يرضى إلا بإحياء الروح، وافتنّوا في الحرمان من الطيبات، فمنها ما خصصوه بالقديسين أو الرهبان والقسيسين، ومنها ما هو عام كالحرمان من اللحم والسمن في بعض أنواع الصوم كصوم العذراء والقديسين، والحرمان من السمك واللبن والبيض في بعض آخر منها، وكل هذه الأحكام وضعها الرؤساء، ولا وجود لها في التوراة، ولا نقلت عن المسيح عليه السلام، ولكن نقلوها عن الوثنيين الذين كانوا يحرمون كثيراً من الطيبات،

(1) (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي)، (ج6/ص138)
(2) انظر:(جامع البيان في تأويل القرآن)، الطبري، (ج3/ص316-317)

اعتقادا منهم أن التقرب إلى الله لا يكون إلا بتعذيب النفس وترك حظوظ الجسد، وقد جعل الله هذه الأمة وسطاً تعطى الجسد حقه والروح حقه، فأحل لنا الطيبات وأمرنا بالشكر عليها، وجملة القول، أن الله تعالى أباح لنا أن نتمتع بما طاب كسبه من الحلال ولا نمتنع عنه تديناً ولا تعذيباً للنفس ولا نحرم بعضاً ونحل بعضاً تقليداً للرؤساء ووساوس الشياطين، وأمرنا بشكره على خلقها لنا وتيسر أسباب الحصول عليها، ونهانا أن نجعل له ندّا نطلب منه الرزق، أو نرجع إليه في التحليل والتحريم، وإلا كنا مشركين به، كافرين لنعمه، كما فعل من اتخذ وسطاء بينه وبين ربه، يطلب منهم الرزق، ويشرعون لهم من الدين ما لم يشرعه الله.[1]

المطلب الخامس: الغنائم الطيبة

تعتبر الشريعة الإسلامية حافظة للكينونة التي تخرج الفرد السوي، وذلك في المجتمع الملتزم بالنواهي التي تبعده عن شرور قد لا يدرك ماهيتها في بعض الأحيان، فوضع لنا الشارع الحلال، وعرفنا به مادحاً له ومباركاً فيه، ومبدياً لنا في الحال فضائله وقيمته والأثر الذي يترتب عليه، ولقد كان من لزوم التوجيه والإرشاد بعد أن منّ الله على نبيه محمد ﷺ، وعباده المؤمنين بالنصر في حروب عدة التبصرة بكيفية التعامل مع ما يتحصل عليه المؤمنون من غنائم في هذه الحروب وتحديد ما يحل لهم منها وما يحرم وجعل لذلك حافظاً التقوى بعيد الالتزام، وفي ذلك يقول سبحانه:

﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنفال:69]

"رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: "مَا كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى" [الْأَنْفَال: 67] الْآيَةَ، أَمْسَكُوا عَنِ الِانْتِفَاعِ بِمَالِ الْفِدَاءِ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّباً وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ قَدْ سُمِّيَ مَالُ الْفِدَاءِ غَنِيمَةً تَسْمِيَةً بِالِاسْمِ اللُّغَوِيِّ دُونَ الِاسْمِ الشَّرْعِيِّ لِأَنَّ الْغَنِيمَةَ فِي اصْطِلَاحِ الشَّرْعِ هِيَ مَا افْتَكَّهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَالِ الْعَدُوِّ بِالْإِيجَافِ عَلَيْهِمْ".[2]

وهذا من لطفه تعالى بهذه الأمة، أن أحل لها الغنائم ولم يحلها لأمة قبلها، ويأمرهم تعالى أن يلتزموا التقوى في جميع أمورهم، شكراً لنعم الله عليهم، فالله تبارك وتعالى غفور لمن تاب إليه من جميع ذنوبه ومعاصيه، مالم يشرك به شيئاً، رحيمٌ بهم حيث أباح لكم الغنائم، وجعلها حلالاً طيباً.[3]

(1) انظر: بتصرف(تفسير المراغي)، (ج2/ص48)
(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج10/ ص78.
(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1/ص326

ويقول البقاعي: – رحمه الله – في تفسيره: ولما ساق سبحانه هذه البشارة في النذارة، سبب عنها قوله: (فكلوا مما غنمتم) أي من الفدية وغيرها حال كونه حلالاً، أي لا درك ولا تبعة فيه من جهتي، (طيباً) أي شهياً لكم ملائماً لطباعكم، وهذا إذا كان مع الشروط التي أقمتها لكم من عدم الغلول والخيانة بوجه من الوجوه وشديد الرغبة السائقة إلى ما لا يليق من التنازع وغيره، ذلك فيما تقدمت فيه إليكم، واتقوا الله الذي له جميع صفات الكمال في جميع ذلك، فلا تغلوا ولا تنازعوا ولا تقدموا إلا على ما يبيحه لكم الرسول ﷺ، إن الله المتصف بالجلال والإكرام غفور لمن يعلم من قبله أنه من أهل التقوى، رحيم بهم، فلأجل ما علم في قلوبكم من الخير غفر لكم، فلم يعذبكم بتسرعكم إلى أسر من لم يأمركم به الرسول ﷺ . للمفاداة دون توقف على إذنه، ورحمكم فأحسن إليكم فأحل لكم الغنائم.[1]

أما المراغي فيقول: أي فكلوا مما غنمتم من الفدية حال كونه حلالاً بإحلاله لكم، طيباً فى نفسه لا خبث فيه مما حرم لذاته كالدم ولحم الخنزير، وَاتَّقُوا اللَّهَ فى أن تعودوا إلى أكل شىء من أموال الناس كفاراً كانوا أو مؤمنين، من قبل أن يحلّه لكم ربكم، إن الله غفور لذنبكم بأخذ الفداء، وتفضيل جماعة كبرى من المؤمنين لعرض الدنيا على ما يقتضيه إيثار الآخرة من طلب الإثخان، لإعزاز الحق وأهله، بإذلال الشرك وكبت حزبه، إن الله رحيم بكم إذ أباح لكم ما أخذتم، وأباح لكم الانتفاع به وخلاصة ما تقدم– إنه ليس من سنة الأنبياء، ولا مما ينبغى لأحد منهم أن يكون له أسرى يفاديهم أو يمنّ عليهم إلا بعد أن يكون له السلطان والقوة والمنعة على أعدائه أعداء الله الكافرين، لئلا يفضي أخذه فداء الأسرى إلى ضعف المؤمنين وهوانهم وقوة أعدائهم وجرأتهم عليهم، وما فعله المؤمنون من مفاداة أسرى بدر بالمال كان ذنباً سببه إرادة فئة كبيرة منهم عرض الحياة الدنيا، قبل الإثخان الذي تقتضيه الحكمة بإعلاء كلمة الله تعالى، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، ولولا كتاب من الله سبق من عدم عقابهم على ذنب أخذ الفداء قبل إذنه تعالى، وعلى خلاف سنته– لمسهم عذاب عظيم فى أخذهم ذلك، وإنه أحل لهم ما أخذوا وغفر لهم ذنبهم بأخذه قبل إحلاله لهم، والله غفور رحيم. [2]

ويقول الزحيلي في تفسيره:" وبعد هذا العتاب الإلهي على أخذ الفداء، أباح الله تعالى للمسلمين الانتفاع بالغنائم الحربية وهي الفدية المالية وغيرها، حال كون الشيء المغنوم حلالاً طيباً بنفسه، لا حرمة فيه لذاته، واتقوا الله في مخالفة أوامره، ولا تعودوا لشيء من المخالفة، إن الله غفور للذنوب ومنها أخذ الفداء، رحيم بكم بإباحته لكم ما أخذتم، وقبوله التوبة عن عباده".[3]

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8/ص332، بتصرف.
(2) انظر:(تفسير المراغي)، ج10/ص37.
(3) التفسير الوسيط، ج1/ص823.

وبعد أن سلكت **الباحثة** طرقاً شتى في النظر في المعاني والفوائد المتعلقة بموضوع الغنائم، من خلال التبصر بمراد الله من توجيهه للمؤمنين لتطيب نفوسهم بما قسمه الله لهم، وجدت الباحثة أن مقاصد عدة تتحق لعباد الله اذا ما اتصلوا بحبل الله المتين، لا بأهواء مضلة، وقد حكت لنا السيرة المطهرة بعضاً من هذه المعاني، فوجدنا الأثر الطيب للتوجيه القرآني والإلتزام به فيما ارتبط بالغنائم، وهذا دافع لنا لزيادة اليقين بأن المصلحة كلها تكمن وتدور حيث دارت رسالة الله.

المطلب السادس: الذرية الطيبة

إن من أعظم النعم الإلهية بعد الإيمان، هي الذرية الطيبة، الذرية الصالحة التي تتشوق النفوس إليها، ويتمنى كل مسلم منذ اللحظة الأولى في حياته الزوجية أن يكرمه بالنسل المبارك التقي الذي هو فخر الدنيا وذخر الآخرة، وقد تحدث لنا القران الكريم عن الذرية الطيبة في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ **[آل عمران: 38]**

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: عندما رأى زكريا عليه السلام الرزق عند مريم عليها السلام، في هذا الوقت بالتحديد عند رؤية الرزق الذي رزقه الله لمريم والفضل العظيم الذي آتاها دون تسبب لأحد من بني البشر في ذلك،عندها دعا الله عزوجل أن يكرمه بالذرية الطيبة ، بعد معاينته عندَها الثمرة الرّطبة التي لا تكون في حين رؤيته إياها عندَها في الأرض عندئذ طمع بالولد، مع كبر سنه، من المرأة العاقر، فدعا الله أن يرزقه منها الولد، مع الحال التي هما بها، كما رزق مريم ما رَزَقها من ثمرة الصيف في الشتاء وثمرة الشتاء في الصيف، وإن لم يكن مثل ذلك مما تعارف عليه الناس في ذلك الزمان ،بل االشائع عندهم غير ذلك ،فولادة العاقر من الأمور التي لم يعتد عليها الناس ،فلجأ إلى الله تعالى وسأله الذرية الطيبة .[1]

وقد ذكر الرازي في تفسيره لهذه الآية "أن تذييل الكلام بجملة (إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ) ليس المراد منه أن يسمع صوت الدعاء فذلك معلوم، بل المراد منه أن يجيب دعاءه ولا يُخَيِّبَ رَجَاءَهُ، وهو كقول المصلين: سمع الله لمن حمده، يريدون قبل حمد من حمد من المؤمنين، وهذا متأكد بما قال تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام في سورة مريم ولم أكن بدعائك رب شقيا."[2]

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، ج6/ص359، 360
(2) مفاتح الغيب، الرازي، ج8، ص210

أما البغوي فقد فسر هذه الآية بقوله: "هنالك أي عند ذلك دعا زكريا ربه فدخل المحراب وأغلق الباب،ولجأ إلى ربه وناجاه وقال يا رب أعطني من عندك ذرية طيبة، أي ولداً صالحاً رضياً، مباركاً تقياً، والذرية تكون واحداً وجمعاً، ذكراً وأنثى، وهو هاهنا واحد، بدليل قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم: 5]، وإنما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية، إنك سامع مجيب للدعاء كقوله : ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ [يس: 25] أي فأجيبوني". [1]

ويقول البيضاوي في تفسيره: "هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ في ذلك المكان، أو الوقت إذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان، لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى، قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً كما وهبتها لحنة العجوز العاقر، وقيل لما رأى الفواكه في غير أَوَانِهَا انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ، فسأل وقال هب لي من لدنك ذرية، لأنه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالأسباب المعهودة، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ مجيبه."[2]

وأما تفسير هذه الآية عند أبي السعود: في ذلك المكانِ حيث هو قاعدٌ عند مريمَ في المحراب أو في ذلك الوقت، لما رآى كرامةَ مريمَ على الله ومنزلتَها منه تعالى رغِب في أنْ يكونَ لهُ من زوجه ولدٌ مثلُ ولدِ حنّةَ في النجابة والكرامة، وإن كانت عاقِراً عجوزاً فقد كانت حنة كذلك، وقيل لما رأى الفواكهَ في غير إبّانِها تنبه لجواز ولادةِ العجوز العاقرِ من الشيخ الفاني، فأقبل على الدعاء من غير تأخير، فدعا الله أن يكرمه بالذرية الطيبة كما أكرم حنة بذلك، ويجوز أن يتعلق مِنْ بمحذوفٍ وقعَ حالاً من ذُرّيَّةِ أي كائنة من لدنك والذريةُ النسلُ تقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى والمراد ههنا ولدٌ واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف، (إِنَّكَ سَمِيعُ الدعاء) أي مجيبُه وهو تعليلٌ لما قبله وتحريكٌ لسلسلة الإجابة. [3]

أما سيد قطب فيقول في تفسيره لهذه الآية: عندئذ تحركت في نفس زكريا، الشيخ الذي لم يوهب ذرية، تحركت تلك الرغبة الفطرية القوية في النفس البشرية، الرغبة في الذرية والخلف، الرغبة التي لا تموت في نفوس العباد الزهاد، الذين وهبوا أنفسهم للعبادة ونذروها للهيكل، إنها الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لحكمة عليا في امتداد الحياة وارتقائها، وكذلك.. نجدنا أمام حادث غير عادي، يحمل مظهراً من مظاهر طلاقة المشيئة الإلهية، وعدم تقيدها بالمألوف للبشر، الذي يحسبه

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج2/ص33
(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج2/ص15
(3) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ج2/ص31.

البشر قانوناً لا سبيل إلى إخلافه ومن ثم يشكون في كل حادث لا يجيء في حدود هذا القانون! فإذا لم يستطيعوا تكذيبه، لأنه واقع، صاغوا حوله الخرافات والأساطير! فها هو ذا زَكَرِيَّا الشيخ الكبير وزوجه العاقر التي لم تلد في صباها.. ها هو ذا تجيش في قلبه الرغبة الفطرية العميقة في الخلف- وهو يرى بين يديه مريم البنية الصالحة المرزوقة- فيتوجه إلى ربه يناجيه، ويطلب منه أن يهب له من لدنه ذرية طيبة، قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران: 38] (1)

وختاما يروق **للباحثة** أن تؤكد على مدى أهمية وجود الذرية الطيبة الصالحة في حياة المرء، فهي تعتبر الملف المفتوح إذا ما انتقل الإنسان إلى عالم الانقطاع عن كل سبب فمن منا لم يسمع حديث المصطفى ﷺ حينما قال "**إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**"(2)

فالولد الصالح، هو أحد الركائز الثلاث التي ينتفع منها المرء بعد موته، لذلك علينا أن نبذل الغالي والنفيس في سبيل إصلاح الأبناء، والأخذ بيدهم إلى طريق الهدى والرشاد، حتى تقر عيوننا بهم في حياتنا ويتواصل برهم بنا بعد مماتنا.

المطلب السابع: الحياة الطيبة

الحياة الطيبة هي محط الرحال عند كل البشر ومطمح كل إنسان، وهي غاية نبيلة ومطلب عظيم، وإليها تتوق كل النفوس، ويسعى إليها كل إنسان وقد تحققت معادلة الحياة الطيبة في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 97].

من عمل بطاعة الله، وأوفى بعهود الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى من بني آدم وهو مؤمن مصدّق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة، وبوعيد أهل معصيته على المعصية فسوف يحيه الله حياة طيبة، واختلف أهل التأويل في الذي عَنى الله بالحياة الطيبة التي وعد هؤلاء القوم أن يُحْيِيَهموها، على أقوال ذكرها الإمام الطبري في تفسيره ستذكر الباحثة بعضا منها:

1- الرزق الطيب في الدنيا، والرزق الحسن في الدنيا قاله ابن عباس.

(1) في ظلال القرآن، ج1/ص393-349.

(2) صحيح مسلم كِتَابُ الْوَصِيَّةِ، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حديث رقم: 1631 (3/ 1255) ،

2- الرزق الطيب الحلال.

3- من عمل عملا صالحًا وهو مؤمن في فاقة أو ميسرة، فحياته طيبة، ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن ولم يعمل صالحًا، عيشته ضنكة لا خير فيها، قاله الضحاك.

4- عني أنه يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال بأن نرزقهم القناعة

5- الحياة في الجنة

6- السعادة

7- الحياة الطيبة .

ويرجح الطبري القول الثالث بأن نحييه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نَصَبه ولم يتكدّر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها، ويبرر الطبري صحة ما ذهب إليه ويقول: لأن الله تعالى قد أوعد قوماً قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فقال تعالى ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: 94] فهذا لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، فهذا لهم في الآخرة. ثم أتبع ذلك لمَن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [النحل: 96][1]

وترى الباحثة -أن الإمام الطبري- قد ضيق واسعاً حيث إنه اختار معنى القناعة للحياة الطيبة وترك تعريفات كثيرة ترى الباحثة أنها ذات قيمة ومعنىً واسع وشامل كما أن الباحثة بعد استعراضها للأقوال التي نقلها الطبري في تفسيره حول معنى الحياة الطيبة تقول إنَّ العديد من هذه الأقوال متشابهة فيمكن جمعها واختصارها على النحو الآتي:

1- الرزق الحسن الطيب الحلال في الدنيا.

2- السعادة والحياة الطيبة.

3- الجنة.

4- من عمل عملا صالحًا وهو مؤمن في فاقة أو ميسرة، فحياته طيبة، ومن أعرض عن ذكر الله فلم يؤمن ولم يعمل صالحًا، عيشته ضنكة لا خير فيها.

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، ج17/289-292.

وقد اجتهدت **الباحثة** باستنباط معنى الحياة الطيبة من الأقوال السابقة وهي: (الحياة السعيدة التي تتحقق للمؤمن من خلال الأعمال الصالحة والقناعة بالرزق الحلال والذي يصل من خلاله إلى السعادة الأخروية وجنات النعيم).

وقال أبو السعود في تفسيره للآية:هذا شروعٌ في تحريض كافةِ المؤمنين،الذكر منهم والأنثى على كل عملٍ صالح، أياً كان نوعه ، ، وَقيّده بقوله (وهو مؤمن) إذ لا اعتدادَ بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب أو تخفيفِ العذاب لقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: 23] وإيثارُ إيرادِه بالجملة الاسميةِ الحالية على نظمه في سلك الصلةِ لإفادة وجوبِ دوامه ومقارنتِه للعمل الصالح، فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشاً طيباً أما إن كان موسراً فظاهرٌ وأما إن كان معسِراً فيطيب عيشُه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقعِ الأجرِ العظيم كالصائم يطيب نهارُه بملاحظة نعيمِ ليلِه بخلاف الفاجر فإنه إن كان معسراً فظاهرٌ وإن كان موسراً فلا يدعه الحِرصُ وخوفُ الفوات أن يتهنأ بعيشه. (1)

أما القاسمي فيقول: "هذا وعد منه تعالى لمن عمل صالحاً، وهو العمل التابع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ من ذكر أو أنثى، وهو ثابت على إيمانه إلى الموت، بأن يحييه الله تعالى حياة طيبة.

قال المهايمي (2): أي فيتلذذ بعمله في الدنيا فوق تلذذ صاحب المال والجاه، ولا يبطل تلذذه إعساره، إذ يرضيه الله بقسمته فيقنعه ويقل اهتمامه بحفظ المال وتنميته، والكافر لا يهنأ عيشه بالمال والجاه إذ يزداد حرصاً وخوف فوات، ويجزون بالأحسن في الآخرة، فلا يقال لهم: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا، بل يكمل جزاء أعمالهم الأدنى بحيث يلحق بالأعلى.

وعندي أن الحياة الطيبة هي الحياة التي فيه ثلج الصدور بلذة اليقين وحلاوة الإيمان والرغبة في الموعود والرضا بالقضاء، وعتق الروح مما كانوا يستعبدون له، والاستكانة إلى معبود واحد. والتنوّر بسر الوجود الذي قام به، وغير ذلك من مزاياه المقررة في مواضعها، هذا في الدنيا، وأما في الآخرة، فله الجزاء الأحسن والثواب الأوفى". (3)

---

(1) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ج5/ص139.

(2) المهايمي: المخدوم المهايمي الهندي علي بن أحمد الشيخ العارف الكامل الواصل بالله، صاحب التفسير المشهور بالتفسير الرحماني،واسم المهايمي نسبة إلى ميناء ماهم التي كانت تقع في بلاد كجرات قديما،والتي كان تولى هذا العالم المذكور قضاءها،انظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث – دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون،ج2/ص208 – مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – العدد6 ج3 / 97.

(3) محاسن التأويل، ج6/ص407

ولقد أبدع الأستاذ سيد قطب في حديثه عن الحياة الطيبة فيقول: يعقب القرآن بقاعدة عامة حيث إن الجنسين الذكر والأنثى متساويان في قاعدة العمل والجزاء، وفي صلتهما بالله تعالى، وفي جزائهما عند الله، ومع أن لفظ «من» حين يطلق يشمل الذكر والأنثى إلا أن النص يفصل: (مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى) لزيادة تقرير هذه الحقيقة، وذلك في السورة التي عرض فيها سوء رأي الجاهلية في الأنثى، وضيق المجتمع بها، واستياء من يبشر بمولدها، وتواريه من القوم حزناً وغماً وخجلاً وعاراً! وأن العمل الصالح لا بد له من القاعدة الأصيلة يرتكز عليها، قاعدة الإيمان بالله (وَهُوَ مُؤْمِن) فبغير هذه القاعدة لا يقوم بناء، وبغير هذه الرابطة لا يتجمع شتاته، إنما هو هباء كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، والعقيدة هي المحور الذي تشد إليه الخيوط جميعاً، وإلا فهي أنكاث، فالعقيدة هي التي تجعل للعمل الصالح باعثاً وغاية، فتجعل الخير أصيلاً ثابتاً يستند إلى أصل كبير، لا عارضاً مزعزعاً يميل مع الشهوات والأهواء حيث تميل، وأن العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال، فقد تكون به، وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية: منها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت ومودات القلوب، ومنها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة.. وليس المال إلا عنصراً واحداً يكفي منه القليل، حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله، وأن الحياة الطيبة في الدنيا لا تنقص من الأجر الحسن في الآخرة، وأن هذا الأجر يكون على أحسن ما عمل المؤمنون العاملون في الدنيا، ويتضمن هذا تجاوز الله لهم عن السيئات، فما أكرمه من جزاء!. [1]

ومما ورد في تفسير هذه الآية أيضاً " أن من عمل عملاً صالحاً في هذه الدنيا، سواء كان ذكراً أو أنثى مندفعاً إلى هذا العمل الصالح بقوة الإيمان بكل ما يجب الإيمان به، فإننا لا بد أن نحييه فى هذه الحياة الدنيا حياة طيبة لا تنغيص فيها، تغمرها القناعة والرضا والصبر على مصائب الدنيا، والشكر على نعم اللَّه فيها، وفى الآخرة لا بد أن نجزي هذا الفريق من الناس حسن الثواب المضاعف على أعمالهم فى الدنيا" [2]

ويقول الشيخ محمد الحجازي في تفسيره للآية:" من عمل عملاً صالحاً سواء كان ذكراً أو أنثى أو بأى صفة كانت وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ومصدق بالنبي ﷺ فلنحيينه حياة طيبة كريمة حياة فيها سعادة ونعيم، وقناعة وغنى عن الغير، حياة فيها توفيق واتجاه إلى الله- سبحانه وتعالى-،

(1) انظر: (في ظلال القرآن)، ج4/ص2193

(2) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ص402

لا ضنك فيها ولا تعب: يقول عبد الله التستري: [1] «الحياة الطيبة هي أن ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره إلى الحق» وقيل هي الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق هي كما يقول القرآن بأبلغ عبارة: حياة طيبة: هذا في الدنيا وأما في الآخرة فلنجزينهم أجرهم كاملاً بأحسن ما كانوا يعملون." [2]

وأخيراً من منا لا يرنو إلى حياة طيبة هانئة لا يعكر صفوها كدر أو وصب أو صخب؟؟ فما من إنسان في هذه الحياة إلا ويحلم بالعيش الرغيد وبالحياة الكريمة، ويسعى جاهداً طمعاً في الحصول عليها، والناس على ذلك متفقون إلا أنهم يختلفون في الوسائل والسبل التي توصلهم إلى هذه الحياة، تبعاً لاختلاف أفهامهم حول المعنى المراد من الحياة الطيبة، فمنهم من يرى الحياة الطيبة بكثرة المال والولد والجاه والمنصب ومنهم غير ذلك، لكن الله تعالى – ومن أصدق من الله حديثًا – قد حدد لنا مفهوم الحياة الطيبة وسبيلها في كتابه الكريم فقال تعالى﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: 97] فقوام الحياة الطيبة وعمادها الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، فالحياة الطيبة هي تلك التي يحقق المرء فيها السعادة الحقيقية والتي يمثلها قول النبي ﷺ، **عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ ﷺ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا".** [3]

المطلب الثامن: البلد الطيب

قد ورد الحديث عن البلد الطيب في القران الكريم في موضعين، أما الموضع الأول قوله تعالى :﴿ **وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ** ﴾ [الأعراف: 58].

والبلدُ الكريمة تربته، العذبةُ مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله، جل ثناؤه، الغيث وأرسل عليه الحياة، بإذنه، طيبًا ثمرُه في حينه ووقته، والذي خَبُث فتربته رديئة، ومشاربه مالحة، فلا يخرج نباته إلا نكدًا عسراً في شدة، كذلك نُبين آية بعد آية، وندلي بحجة بعد حجة، ونضرب مثلا بعد مثل، لقوم يشكرون الله على إنعامه عليهم بالهداية، وتبصيره إياهم سبيل أهل الضلالة، باتباعهم ما أمرَهم

(1) سهل بن عبد الله التستري الصوفي المشهور، أحد الثقات المشهورين توفي سنة 283هـ / سير أعلام النبلاء ج13/ص330.

(2) التفسير الواضح، ج2/ص363.

(3) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، أَبْوَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْقَنَاعَةِ، حديث رقم: 4141 (ج5/ص 253)،قال شعيب:إسناده حسن

باتباعه، وتجنُّبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة، وهذا مثل ضرَبه الله للمؤمن والكافر، فالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه، مثل للمؤمن، والذي خَبُث فلا يخرج نباته إلا نكدًا، مثلٌ للكافر.[1]

أما الرازي فيقول في تفسيره لهذه الآية قَوْلَانِ:

"**القول الأول:** وهو المشهور أن هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالأرض الخيرة والأرض السبخة وشبه نزول القرآن بنزول المطر فشبه المؤمن بالأرض الخيرة التي نزل عليها المطر فيحصل فيها أنواع الأزهار والثمار وأما الأرض السبخة فهي وإن نزل المطر عليها لم يحصل فيها من النبات إلا النزر القليل فكذلك الروح الطاهرة النقية عن شوائب الجهل والأخلاق الذميمة إذا اتصل بها نور القرآن ظهرت فيه أنواع من الطاعات والمعارف والأخلاق الحميدة، والروح الخبيثة الكدرة وإن اتصل بها نور القرآن لم يظهر فيها من المعارف والأخلاق الحميدة إلا القليل.

والقول الثاني: أنه ليس المراد من الآية تمثيل المؤمن والكافر وإنما المراد أن الأرض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فإن صاحبها لا يهمل أمرها بل يتعب نفسه في إصلاحها طمعًا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن طلب هذا النفع اليسير بالمشقة العظيمة فلأن يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الآخرة بالمشقة التي لا بد من تحملها في أداء الطاعات كان ذلك أولى."[2]

وترى **الباحثة** أنه يمكن الجمع بين هذين القولين حيث إن المراد هو ضرب المثل للإنسان المؤمن الذي يستقبل أوامر الله عزَّ وجلَّ ونواهيه بصدر رحب، وينقاد إلى الأوامر الربانية بكل طواعية وتذلل وخشوع، لا كبر عنده ولا عناد، فهو بذلك كالأرض الخيرة الصالحة التي تستقبل الغيث وتستفيد منه وتخرج أفضل ما في جوفها، كذلك الإنسان المؤمن الذي لا يألو جهداً في تحصيل أمر دنيوي بمشقة عظيمة قد يكون نتاجها متواضعاً، ويكون بذلك من القانعين فما بالكم بمن أراد الآخرة وسعى لها سعيها؟؟ والعكس عند الإنسان الكافر.

أما ابن كثير فيقول في تفسيره لهذه الآية: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 37]

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، الطبري، ج12/ص495-496.
(2) مفاتح الغيب، ج14/ص291-292

وروى الْبُخَارِيُّ: من حديث أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبَ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِم وَعَلَّم، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَل هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ".[1] [2]

"وقد فسر النبي ﷺ القسم الأول وهو الذي نفع وانتفع بالهادي والمهتدى، وفسر القسم الثالث وهو الذي لم ينفع ولم ينتفع بالجاحد وسكت عن القسم الثاني وهو الذي نفع غيره بعلمه ولم ينتفع به هو، لأن له أحوالاً كثيرة فمنه المنافقون ومنه المفرطون فى دينهم، والمشاهدة تدل على أن طيبي الأخلاق يفعلون الخير والبر بلا تكلف، وأن الخبيثين لا يفعلون الخير ولا يؤدون الواجب إلا نكدا بعد إلحاف أو إيذاء حين الطلب أو إدلاء إلى الحكام."[3]

أما الموضع الثاني الذي يتحدث عن البلد الطيب فقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** ﴾ [سبأ: 15]

والمعنى: كلوا من رزق ربكم الذي يرزقكم من هاتين الجنتين من زروعهما وأثمارهما، وَاشْكُرُوه على ما أنعم به عليكم من رزقه لكم، هذه بلدة طيبة أي ليست بسبخة، لم يكن فيها شيء مؤذٍ؛ كالهمج والدبيب والهوام[4]، (وَرَبٌّ غَفُورٌ) يقول: ورب غفور لذنوبكم إن أنتم أطعتموه.[5]

وتفسير هذه الآية عند الرازي: بعد أن بين الله حال الشاكرين لنعمه بذكر سليمان وداود في الآيات السابقة، بين حال الكافرين بأنعمه بحكاية أهل سبأ، حيث يقول الله تعالى لهم **(كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ)** وفيه إشارة إلى تكميل النعم عليهم، حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض، وقوله **(وَاشْكُرُوا لَه)** بيان أيضاً لكمال النعمة، فإن الشكر لا يطلب إلا على النعمة المعتبرة، ثم بعد ذلك

(1) صحيح البخاري ،كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ ،(ج1/ص 27) حديث رقم: 79.
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، ج3/ص430-431
(3) تفسير المراغي، ج8/ص186-187
(4) دبيب: وهو اسم لكل هامة تدب، تكملة المعاجم العربية، ج4/ص282.
هوام: ما لا يقتل من الحشرات، فقه اللغة وسر العربية، ج107/1.
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، ج20/ص375-377.

بين حالهم في مساكنهم وبساتينهم وأكلهم، فأتم بيان النعمة عليهم فقال بلدة طيبة طاهرة من المؤذيات لا حية فيها ولا عقرب ولا وباء ولا وخم، وقال رب غفور أي لا عقاب عليه ولا عذاب في الآخرة.[1]

وخلاصة ما يمكن **للباحثة** أن تختم به: أن الله تعالى ساق لنا الصور وضرب لنا الأمثال علَّ قلوبنا بذلك تنقاد فتكون أوامر الله عزّ وجلّ ونواهيه غيثاً يصيب هذه القلوب فتؤتي الأُكل بإيمان راسخ، ويقين متغلل في أعماق النفس وهذه هي طبيعة النفس المؤمنة التي هي كالأرض الطيبة أينما سبرت في أغوارها وجدت خيراً.

المطلب التاسع: التحية الطيبة

جرت عادة القرآن الكريم أن يبين الله آياته على نحو من البيان الرائع والأدب العالي، والتوجيه السليم لتمتلئ قلوبنا حكمة، ونفوسنا رحمة، وحياتنا تنظيماً، فلم يتركنا القرآن الكريم نتخبط في أمور حياتنا العامة التي هي من المباحات وليست من العقائد والعبادات، فالحق، تبارك وتعالى، يؤدبنا بآداب الإسلام العالي، فها هو القرآن الكريم يرسم لنا الطريق للتعامل مع الآخرين، فالمسلم إذا دخل بيت قريبه أو أهله أو أصدقائه يسلم على من فيه بتحية الإسلام، وهذه التحية تحية مشروعة مباركة بالثواب وفيها تطييب للنفوس، وذلك في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿... **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [سورة النور: 61]

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال معناه: فإذا دخلتم بيتاً من بيوت المسلمين، فليسلم بعضكم على بعض، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن الله جلّ ثناؤه قال: ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا** ﴾ ولم يخصصْ من ذلك بيتاً دون بيت، وقال: ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾ يعني: بعضكم على بعض، فكان معلوماً إذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض، أنه معنيّ به جميعها، مساجدها وغير مساجدها، ومعنى قوله: ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾ نظير قوله: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾. وقوله: ﴿**تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ نصب تحية، بمعنى: تحيون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية، فكأنه قال: فليحيّ بعضكم بعضاً تحية من عند الله، وقد كان بعض أهل

(1) انظر: (مفاتح الغيب)، ج25/ص200.

العربية يقول: إنما نصبت بمعنى: أمركم بها تفعلونها تحية منه، ووصف جلّ ثناؤه هذه التحية المباركة الطيبة لما فيها من الأجر الجزيل والثواب العظيم." [1]

أما البيضاوي فيقول في تفسيره: فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً من البيوت فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ وعلى أهلها الذين تربطكم بها علاقة الدين والقرابة، تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، ويجوز أن تكون صلة للتحية فإنه طلب الحياة وهي من عنده تعالى وهي بمعنى التسليم. مُبارَكَةً لأنها يرجى بها زيادة الخير والثواب، طَيِّبَةً تطيب بها نفس المستمع . [2]

ويقول النسفي في تفسيره لهذه الآية: فَإِذَا دخلتم بيتاً من بيوت آبائكم أو أقاربكم ، لتأكلوا فابدءوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة، أو بيوتاً فارغة أو مسجداً فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وهذه التحية مِنْ عِندِ الله ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، وصف الله هذه التحية بالبركة والطيب، لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق.[3]

أما أبو السعود فيقول: هذا شروع في بيان الآداب التي تجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه إثر بيان الرخصة فيه، فاذا دخلتم بيتاً من البيوت فسلموا على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك، تحية من عند الله ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، ويجوز أن يكون صلة للتحية فإنها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى، وانتصابها على المصدرية لأنها بمعنى التسليم، تحية مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما، طيبة تطيب بها نفس المستمع.[4]

وأختم بكلام سيد قطب حيث يقول: إن الإسلام منهاج حياة كامل فهو ينظم حياة الإنسان في كل أطوارها ومراحلها، وفي كل علاقاتها وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وسكناتها، ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة، كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة وينسق بينها جميعاً، ويتجه بها إلى الله في النهاية، فبعد أن فرغ المولى تبارك وتعالى من بيان الحالة التي يكون عليها الأكل ذكر آداب دخول البيوت التي يؤكل فيها: ﴿ ... فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ... ﴾ [سورة النور: 61]

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، ج19/ص227
(2) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ج4/ص115
(3) انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ج2/ص521.
(4) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ج6/ص196

وهو تعبير لطيف يدل على قوة الرابطة بين المذكورين في الآية، فالذي يسلم منهم على قريبه أو صديقه يسلم على نفسه، والتحية التي يلقيها عليه هي تحية من عند الله، تحمل تلك الروح، وتفوح بذلك العطر، وتربط بينهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وهكذا ترتبط قلوب المؤمنين بربهم في الصغيرة والكبيرة.[1]

ويطيب **للباحثة** في نهاية هذا المطلب أن تشير إلى مدى رقي هذا الدين الإسلامي العظيم، الذي لم يترك ثغرة في حياتنا إلا وأوجد لها مسداً رائعاً، فما أعظمه من منهج حياة يرتقي بمن استمسك به، وحافظ على السير في ركابه وتحت ظلاله الوارفة، ليصل به إلى القمة السامقة الوضيئة، التي من شأنها أن تخلق مجتمعاً متميزاً بين المجتمعات التى تدعي الحضارة والمدنية.

فما أحوج الأمة المسلمة إلى أن تتأمل في دستورها القرآن، وأن تنظر إليه بالعين المفتوحة والحس البصير لتتلقى مكارم الأخلاق والأدب العالي الرفيع، وحسبي أن أشير من خلال هذه الآية العظيمة إلى الخلق الذي بات مفقوداً بين البعض في هذه الأيام وهو مبادرة المسلم أخاه المسلم بالتحية الطيبة، التي من شأنها أن تقضي على الضغينة والفرقة والحقد، وتزرع المحبة في النفوس، وتنشر الأمن والسعادة وراحة البال والتسامح، وتخلق مجتمعاً من أرقى المجتمعات وأكثرها تميزاً.

المطلب العاشر: الصعيد الطيب

ورد الحديث عن الصعيد الطيب في آيتين من القرآن الكريم أما الآية الأولى قوله تعالى:

﴿ ... وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: 43].

وأما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ﴿ ... وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا ... ﴾ [المائدة: 6]

(1) انظر: (في ظلال القرآن)، ج4/ص2531-2534

ورد في نزول هذه الآية الكريمة: **أن عائشة -رضي الله عنها- كانت مع النبيّ ﷺ في بعض أسفاره، فانقطع عقد لها، فأقام النبيّ ﷺ على التماسه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فنزلت هذه الآية، فقال أسيد بن حُضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.** [1]

والتيمم في اللغة: بمعنى القصد، وأمّا الصعيد: فهو التراب، قاله علي، وابن مسعود، والزجاج [2]، وابن قتيبة[3] وقال الشافعي: لا يقع اسم الصعيد إلا على تراب ذي غبار.

وفي الطيّب قولان: أحدهما: أنه الطاهر، والثاني: الحلال. [4]

أما الواحدي فقد ذكر في تفسيره لهذه الآية: أي مرض يمكن أن يصيب الإنسان، يضرُّه الماء كالقروح والجُدّري والجراحات، وإن كنتم مسافرين أَوْ أحدثتم أو لمستم النساء بأيديكم، ولم تجدوا ماءً فَتمسَّحوا بترابٍ طيِّبٍ مُنبتٍ [5]

وتفسير هذه الآية عند الفخر الرازي: "والأرض الطيبة هي التي تنبت بدليل قوله: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ... ﴾ [الأعراف: 58] فوجب في التي لا تنبت أن لا تكون طيبةً، فكان قوله: فتيمموا صعيداً طيباً أمرًا بالتيمم بالتراب فقط، وظاهر الأمر للوجوب، وقوله: صعيداً طيباً أمرٌ بإيقاع التيمم بالصعيد الطيب، والصعيد الطيب هو الأرض التي لا سبخة فيها، ولا شك أن التيمم بهذا التراب جائزٌ بالإجماع، فوجب حمل الصعيد الطيب عليه رعايةً لقاعدة الاحتياط، لا سيما وقد خصص النبي عليه الصلاة والسلام التراب بهذه الصفة، فقال: «**جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَتُرَابُهَا طَهُورًا**» [6] **وَقَالَ: «التُّرَابُ طَهُورُ الْمُسْلِمِ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ»** [7] " [8].

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (ج5/ص 7) حديث رقم: 3672.

(2) الزجاج: هو إبراهيم بن السري سهل أبو اسحاق النحوي كان من أهل الدين والفضل حسن الاعتقاد جميل المذهب وله مصنفات حسان في الأدب، أنظر: معجم الأدباء (ج1/ص52)

(3) ابن قتيبة هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري عالم وفقيه وأديب وناقد ولغوي، موسوعي المعرفة، ويعد من أعلام القرن الثالث الهجري، ولد بالكوفة، ثم انتقل إلى بغداد، عاصر قوة الدولة العباسية وصراع الثقافات العربية والفارسية والأجناس العربية وغير العربية، كما عاصر صعود الفكر الاعتزالي وسقوطه، توفي سنة 322هـ، انظر: الأعلام للزركلي (156/1)، معجم الأدباء = إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب لشهاب الدين الحمدي (293/1).

(4) انظر: (زاد المسير في علم التفسير)، جمال الدين الجوزي، ج 1/ص412.

(5) انظر : (الوجيز)، ج1/ص265

(6) صحيح البخاري، حديث رقم: 438 (ج1/ ص95)

(7) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6/ 48)

(8) مفاتح الغيب، ج10/ص90

أما ابن كثير فيقول: والصعيد هو كل ما صعد على وجه الأرض، فيدخل فيه التراب، والرمل، والشجر، والحجر، والنبات، وهو قول مالك. وقيل: ما كان من جنس التراب فيختص التراب والرمل والزرنيخ، وهذا مذهب أبي حنيفة. وقيل: هو التراب فقط، وهو مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهما، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ ... **فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا** ﴾ [الكهف: 40] أي: تراباً أملساً طيبا، وبما ثبت في **صحيح مسلم، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ**" [(1)] قالوا: فخصص الطهورية بالتراب في مقام الامتنان، فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه، والطيب هنا قيل: الحلال. وقيل: الذي ليس بنجس، **كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ طَهُورُ الْمُسْلِمِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَشْرَ حِجَجٍ، فَإِذَا وَجَدَهُ، فَلْيُمِسَّهُ بَشرته، فَإِنَّ ذَلِكَ خير له**" [(2)]. [(3)] وأختم هذا المطلب بما قاله الشعراوي ـ رحمه الله ـ في تفسيره لهذه الآية: لم يشأ الحقُّ أن يقطع الصلة بأن يجعل الوسيلة الوحيدة للتطهر هي الماء، فأوجد وسيلة أخرى، فإن فقدت الماء أيها الإنسان فلا بد أن تدخل إلى لقاء الله بوسيلة تطهير أخرى وهي التيمم، لذا يقول الله: ﴿**وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا...** ﴾ [المائدة: 6] فإن كان الإنسان مريضاً لا يقدر على استعمال الماء، أو كان على سفر ولا يجد الماء؛ أو جاء أحد من الغائط، أي من قضاء الحاجة في مكان غويط وهو الوطئ المنخفض من الأرض، وكانت العرب قديماً تفعل ذلك حتى لا يراهم أحد ويكونوا في ستر، رجالاً أو نساءً، وحتى بعد ملامسة النساء، إن لم يجد الإنسان بعدها ماء فالتيمم هو البديل، وإياكم أن تقولوا إن الماء هو الوسيلة الوحيدة للتطهر، فقد جعل للماء أيضاً خليفة وهو التراب، فكأنه سبحانه وتعالى يريد أن يديم علينا نعمة اللقاء به، ولا نريد أن ندخل في متاهات الخلاف عن الطهارة من ملامسة النساء، وفي حالة الجنابة وعدم وجود الماء فالتيمم هو البديل، و (الصعيد) هو ما صعد على وجه الأرض من جنس الأرض بحيث لا تدخله صناعة الإنسان كالتراب والحجر، لكن الطوب الأحمر الذي نصنعه نحن فليس من الصعيد الصالح للتيمم؛ لأن صنعة الإنسان قد دخلته.[(4)]

---

(1) صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، حديث رقم: 522(ج1/ ص371)

(2) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الطَّهَارَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ التَّيَمُّمِ لِلْجُنُبِ إِذَا لَمْ يَجِدِ المَاءَ (ج1/ص 211) حديث رقم: 124، [حكم الألباني] : صحيح.

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، ج318/2

(4) انظر: (تفسير الشعراوي – الخواطر)، ج5/ص2960

وبعد النظر في كتب المفسرين، والتأمل في تفسير الآيتين ترى **الباحثة** أنه ليس عبثاً أن يذكر الله عزّ وجلّ الصلاة والطهارة ومن قبل ذلك يتحدث عن طيبات النساء والطعام في قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: 5] وتأتى هذه اللفتة الطيبة لحكمةٍ جلية أرادها الله عزّ وجلّ ضمن السياق القرآني المترابط، والنسيج القرآني المتين، فهذه نعمة منَّ الله بها علينا بأن يسَّر لنا لقاءَه في جو من النقاء والطهر والرقة والعذوبة، مع انقطاع سبل الطهارة المشروعة كالماء، فيسر الله اللقيا لهذا العبد المؤمن دون معوقات او موانع أو عقبات؛ التي من شأنها أن تلقي بظلالها على حياة المسلم، وتعكر صفو حياته، وتبعده عن بارئه، فأباح لنا الله ﷻ التيمم بالصعيد الطيب الطاهر، ليستمر الوصال ولا يكون هناك أي عزلة بين العبد وخالقه.

المطلب الحادي عشر: الريح الطيبة

من الطيبات الدنيوية التي حدثنا عنها القرآن الكريم "الريح الطيبة" ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس: 22].

ويجدر بي الإشارة قبل الخوض في ذكر ما قاله المفسرون في شرح هذه الآية إلى توضيح الفرق بين معنى الريح والرياح في القران الكريم "فالرياح تأتي في الخير في الغالب، وأما الريح للخير وتأتي للشر، كما قيل (سلوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها) وكذلك جاء في القران آية فيها الريح في غير العذاب وهي قوله عزَّ وجل ﴿ **وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ**﴾" [1]

وذكر السيوطي نكتة بلاغية في الفرق بين الريح والرياح حيث يقول : "رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهبات والمنافع وإذا هاجت منها ريح، أثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات، فكانت في الرحمة رياحاً، وأما في العذاب فإنها تأتي من

(1) (شرح سنن أبي داود)، عبدالمحسن البدر، 25/578

وجه واحد لا معارض لها ولا دافع، ولم يشذ أسلوب القرآن عن هذه القاعدة بالنسبة لاستعمال الريح والرياح إلا مرة واحدة في سورة يونس، وسبب ذلك كما بين السيوطي وجهان:

أحدهما لفظي: وهو المقابلة في قوله ﴿ ...جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ... ﴾ [يونس: 22] قال ورب شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالاً، نحو قوله: ﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ... ﴾ [آل عمران: 54]

والثاني معنوي: وهو أن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها، فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة، من وجه واحد، فإن اختلفت عليها الريح كان سبب الهلاك، والمطلوب هنا ريح واحدة، ولهذا أكد المعنى بوصفها بالطيب" [1]

ويقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: الله الذي ينظم أموركم و يسيركم أيها الناس، في البر على الظهر وفي البحر في الفلك، حتى إذا كنتم في الفلك، وهي السفن، وجرت الفلك بالناس بريح طيبة في البحر وفرحوا بها، وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التي يسيرون بها، جاءتها ريح شديدة، وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحدق، حينها أخلصوا الدعاء لله هنالك، دون أوثانهم وآلهتهم، وكان مفزعهم حينئذٍ إلى الله دونها، وقال المشركون حينها (لئن أنجيتنا) من هذه الشدة التي نحن فيها (لنكونن من الشاكرين)، لك على نعمك، وتخليصك إيانا من المحنة التي ألمت بنا ومانحن فيه من الكرب والبلاء العظيم، بإخلاصنا العبادة لك، وإفراد الطاعة دون الآلهة والأنداد.[2]

وقال البيضاوي ـ رحمه الله ـ في تفسيره : هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه، في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك في السفن، وجرين بهم بمن فيها، عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم، بريح طيبة لينة الهبوب، وفرحوا بتلك الريح، جاءتها و تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب، وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه، وظنوا أنهم أحيط بهم أهلكوا، وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو، في هذه اللحظات دعوا الله مخلصين من غير إشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف. [3]

وقال سيد قطب: ثم ها نحن أولاء أمام المشهد القريب، وها هي ذي الفلك تتحرك رخاء، وهذه مشاعر أهل الفلك ندركها، وفي هذا الرخاء الآمن، وفي هذا السرور الشامل، تقع المفاجأة، فتأخذ الغارين الآمنين الفرحين، ريح عاصفةّ!! يا للهول! وماجت الفلك واضطربت بمن فيها،

(1) الإتقان، ج2/ص300
(2) انظر(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، 52/15
(3) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ج3/ص109

ولاطمها الموج وشالها وحطها، ودار بها كالريشة الضائعة في الخضم، وهؤلاء أهلها في فزع يظنون أن لا ملجأ ولا مهرب لهم، فلا مجال للنجاة، بعدئذ فقط، وفي وسط هذا الهول المتلاطم، تتعرى فطرتهم مما ألم بها من أوشاب، وتنفض قلوبهم مما ران عليها من تصورات، وتنبض الفطرة الأصيلة السليمة بالتوحيد وإخلاص الدينونة لله دون سواه، في هذه اللحظات تؤوب القلوب بفطرتها إلى الله ﴿ ... دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس: 22].

وتهدأ العاصفة ويطمئن الموج، وتهدأ الأنفاس اللاهثة، وتسكن القلوب الطائرة، وتصل الفلك آمنة إلى الشاطئ، ويوقن الناس بالحياة، وأرجلهم مستقرة على اليابسة.[1]

ولعلها همسة تهمس بها **الباحثة** من أن النفس البشرية بسجيتها منشغلة بما في هذه الدنيا من ملهيات وملذات وشهوات، ينسى صاحبها في غمرة الحياة فضائل نعم الله عليه وينسى كذلك ذكر الله والمداومة على طاعته، فإذا ما ادلهمت به الخطوب وعصفت به الكربات، اندفع بفطرته إلى الله عز وجل، ثم اذا كشف الله عنه الضر، انطلق إلى ما كان عليه من قبل من اندفاع واستهتار...

هذه هي فطرة الإنسان الذي لم يُلقِ بالاً للدروس المتكررة التي حكاها لنا القرآن الكريم في طياته، ولم يعتبر بما حدث لأسلافه من القرون الخالية الذين ساروا في نفس التيار وكانت عاقبتهم الهلاك والبوار، فلا بد للإنسان المسلم أن يكون موصولاً بالله تعالى في كل أوقاته في الرخاء والشدة، في الضيق والفرج، في السراء والضراء، وقال ﷺ: **(تعرَّف إلى الله في الرخاء يَعْرِفْك في الشدة)** [2].

فيتعين على من يريد النجاة من مصائب الدهر وبراثن الزمن ألا يغفل بقلبه وجوارحه عن ذكر الله ولزوم طاعته، حتى يجعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً.

(1) انظر: (في ظلال القران)، سيد قطب، 1773/3

(2) مسند أحمد، حديث رقم: 2803 (ج5/ص 19)، الحديث صحيح.

المبحث الثاني
الطيبات الأخروية

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: المساكن الطيبة

المطلب الثاني: طعام أهل الجنة

المطلب الثالث: شراب أهل الجنة

المطلب الرابع: نساء أهل الجنة

المطلب الخامس: مجالس أهل الجنة.

المطلب السادس: لباس أهل الجنة

المبحث الثاني

الطيبات الأخروية

الحمد لله الغني الحميد الجواد الكريم؛ جعل الجنة نزلاً لعباده المؤمنين، ورفع فيها درجات المقربين، ينسون فيها نصب الدنيا وعذابها، وطول سفرها ورهقها، قال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: 48] نحمده على نعمه وآلائه، ونشكره على عطائه وإحسانه.. خلقنا وآوانا وهدانا وعلمنا، ولولاه سبحانه ما اهتدينا قال الله تعالى:﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[الحجرات: 17].

إن مما يسر الله لعباده الذين يتجاوزون المحن والاختبارات، ويصبرون على أداء الطاعات كما يتصبرون على ترك المعاصي، أن يختم لهم ذلك بالجزاء من جنس العمل فهم الذين أدركوا بفطرتهم السوية طريق الله، واعتقدوا جازمين مسلمين بأوامره ونواهيه، فما حرموا أنفسهم من طعام أو شراب أو لذة محرمة أو قصور، أبوا الوصول إليها بالحرام إلا ليقينهم بأن في آخرتهم ما ينسيهم ذلك من طيبات لا تعد ولا تحصى وأجر يسوقه الله بغير حساب لعباده المتقين الفائزين فيأتي العطاء بعد الحجب، والمنح بعد المنع فتطيب نفوس هؤلاء بما أعدَّ الله لهم من طيبات ينغمسوا في طيبها انغماساً، وآيات القران الكريم تزخر بالحديث عن الطيبات حيث ستتناول الباحثة الحديث عنها خلال أربعة مطالب:

المطلب الأول: المساكن الطيبة

المساكن الطيبة من النعم الأخروية والطيبات الأبدية التي وعد الله بها عباده المؤمنين ووصف حوزها والحصول عليها بالفوز العظيم، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة: 72] وَعَدَ الله المؤمنين والمؤمنات جنات، وأي جنات؟ جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن يطيب فيها العيش الرغيد ، وقصوراً من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد، وجنات عَدْنٍ هو علَم بدليل قوله ﴿**جنات عدن التي وعد الرحمن**﴾ وهي مدينة في الجنة، ولهم فيها رضوان من الله (أَكْبَرُ) من ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة، (ذلك) إشارة إلى ما وعد أو إلى الرضوان، (هُوَ الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزاً، [1] وفي هذه الآية

(1) انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، النسفي، ج1/ص694.

ذهب ابن كثير في تفسيره إلى القول: بأنَّ الله ﷻ أعدّ للمؤمنين به والمؤمنات من الخيرات والنعيم في جنات تجري من تحتها الانهار ماكثين فيها ومقيمين، ولهم فيه مساكن طيبة، حسنة البناء، طيبة القرار.

كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ" [(1)]، وَبِهِ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَة مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفة، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا فِي السَّمَاءِ، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ، لَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا"** أَخْرَجَاهُ [(2)]

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ، فَإِنَّه حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُخْبِرُ النَّاسَ؟ قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَفَجَّر أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ"** [(3)][(4)]

وقيل في تفسير هذه الآية: وعد الله ﷻ الصادق الوعد، الذي له الكمال كله المؤمنين والمؤمنات الذين يتصفون بالإيمان الكامل، الراسخين في التصديق بكل ما أتاهم به الرسول ﷺ جنات ذات خضرة بهجة نضرة؛ ولما كان النعيم لا يكمل إلا بالدوام، كان لهم الخلد فيها، وهذه الجنان لا يكتمل حسنها إلا بالمنازل والدور الفسيحة والمعازل، ولما كان بعض الجنان أعلى من بعض، كانت لهم إقامة في جنات عدن إقامة دائمة وهناء وصحة جسم وطيب مقر وموطن ومنبت، وما أنسب ذكر هذه الجنة في سياق التعبير بالوصف المؤذن بالرسوخ فإنه ورد في الحديث أنها خاصة بالنبيين والصديقين والشهداء، ولما كان ذلك لا يصفو عن الكدر منحهم الله ـ عزّ وجلّ ـ

---

(1) صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}، [الرحمن: 62]، حديث رقم: 4878 (ج6/ص 145)

(2) صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ} [الرحمن: 72] ،(ج6/ص 145) حديث رقم: 4879

(3) صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ} [هود: 7]، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} [التوبة: 129] (ج9/ ص125) حديث رقم: 7423.

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، ج4/ص175.

الرضوان، أي الرضا الذي لا يبلغه وصف واصف، و الذي لا أعظم منه عندهم، فهو أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز، ولا يقع السرور الذي هو أعظم النعيم إلا برضى السيد، وإذا كان القليل منه أكبر فما ظنك بالكثير.[1]

وقال السعدي في معنى الآية: ذكر الله سبحانه وتعالى ما أعده لهم من الثواب والنعيم المقيم في الجنة فهي جامعة لكل عيش رغيد ولكل سعادة وفرح، خالية من كل حزن و أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة، التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى، خَالِدِينَ فِيهَا لا يبغون عنها حِوَلا، (وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً) قد زخرفت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفاً في غاية الصفاء والحسن، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فهذه المساكن الأنيقة، التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، لأنها في جنات عدن، أي إقامة لا يظعنون عنها، ولا يتحولون منها، ويحل عليهم رضوان من الله، أكبر مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، ولأنه الغاية التي أمَّها العابدون، والنهاية التي سعى نحوها المحبون، فرضى رب الأرض والسماوات، أكبر من نعيم الجنات.[2]

وهنا مشهد آخر من كتاب الله يتحدث عن المساكن الطيبة وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الصف10-12] وقال المراغي في معنى الآية: "أي إن فعلتم ذلك فآمنتم بالله وصدقتم رسوله، وجاهدتم فى سبيله- ستر لكم ذنوبكم ومحاها، وأدخلكم فراديس جناته وأسكنكم مساكن تطيب لها النفوس، وتقرّ بها العيون في دار الخلد الأبدى، وهذا منتهى ما تسمو إليه النفوس من الفوز الذي لا فوز بعده."[3]

ومعنى هذه الآية عند السعدي: يغفر الله لعباده المؤمنين ذنوبهم صغيرها وكبيرها، فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله مكفر للذنوب، ولو كانت كبائر، ويدخلكم جنات تجري من تحت مساكنها وقصورها وغرفها وأشجارها، أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه،

(1) انظر: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، البقاعي، ج8/ص545-546.
(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ج343/1
(3) تفسير المراغي، ج28/ص91.

وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً جمعت كل طيب، من علو وارتفاع، وحسن بناء وزخرفة، حتى إن أهل الغرف من أهل عليين، يتراءاهم أهل الجنة كما يتراءى الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو الغربي، وحتى إن بناء الجنة بعضه من لبن ذهب وبعضه من لبن فضة، وخيامها من اللؤلؤ والمرجان، وبعض المنازل من الزمرد والجواهر الملونة بأحسن الألوان، حتى إنها من صفائها يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين، ولا خطر على قلب أحد من العالمين، لا يمكن أن يدركوه حتى يروه، ويتمتعوا بحسنه وتقر أعينهم به، ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة، وأنشأهم نشأة كاملة لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح، فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده، وتبارك الجليل الجميل، الذي أنشأ دار النعيم، وجعل فيها من الجلال والجمال ما يبهر عقول الخلق ويأخذ بأفئدتهم.

وسميت الجنة جنة عدن، لأن أهلها مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبداً، ولا يبغون عنها حولا ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله.[1].

يقول أبو الحسن البلخي[2]: قال بعضهم: يا رسول الله، فما لنا من الأجر إذا جاهدنا في سبيل الله، فأنزل الله- تعالى- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الصف: 10] أي تنجيكم من عذاب وجيع، فقال المسلمون: والله، لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأولاد والأهلين فبين الله لهم ما هذه التجارة؟ يعني التوحيد-، قال: فنزل قوله **﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** أي تصدقون بتوحيد بالله وَرَسُولِهِ محمد ﷺ أنه نبي ورسول، وتجاهدون بطاعتكم لله ﷻ بأغلى ما تملكون بالمال والنفس فهذا هو الإيمان والجهاد، فإن فعلتم ذلك غفر الله لكم ذنوبكم وأدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، وأسكنكم مساكن حسنة طيبة في منازل الجنة في جنات عدن، وجنة عدن قصبة الجنان وهي أشرف الجنان ذلك الثواب هو الفوز العظيم.[3]

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ج1/ص860.

(2) مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني -أبو الحسن البلخي- روى عن مجاهد وعطاء والضحاك بن مزاحم، كان من العلماء الأجلاء، قد رمي بالتجسيم، قال عنه الذهبي: كان من أوعية العلم بحرا في التفسير، مات سنة 150هـ. انظر ترجمته في: ((طبقات المفسرين)) : (ج2/ ص330-331) ، ((تهذيب التهذيب)) : (ج10/ص 279-285) ، ((وفيات الأعيان)) : (ج5/ص 255-257) .

(3) انظر: (تفسير مقاتل بن سليمان)، ج317/4

"عن قتادة: قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ، فلولا أن الله بينّها ودلّ عليها المؤمنين لتلهّف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها، وقد دلّكم الله عليها وأعلمكم إياها فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: 11] وقيل في معنى الآية: من تجارة الدنيا والكدّ لها والتصدّي لها وحدها. ثم قال تعالى: (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)، أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات، وأدخلتكم الجنّات، والمساكن الطيّبات، والدرجات العاليات، ولهذا قال الله تعالى:﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: 12]" [1]

وهذه الآيات تأمر النبي محمداً ﷺ بأن يبشَّر المجاهدين بالجنة في الآخرة، والنصر في الدنيا، والنجاة من عذاب الله، وفيها دليل على أن الطاعة تثمر للمرء مشتهيات الدنيا والآخرة، وأن طلب الأرباح – في الدنيا والآخرة – بالطاعة أسرع إدراكًا لطالبه منه بغيرها، وهذا النص كسابقه يتسلل إلى خفايا النفوس بندائه الذين آمنوا في المطلع، والعرض اللطيف في: (هَلْ أَدُلُّكُمْ)، وتمثيل الأعمال الصالحة بالتجارة التى تنجى من عذاب أليم شديد على أهله، ويذكر الإيمان بالله والجهاد في سبيله بالمال والنفس، والحكم على هذه الأعمال بأنها خير للمخاطبين يدركون خيرها لو حصلت لهم أسباب العلم النافع. [2]

ويقول محمد بن صالح العثيمين: صدَّر الله تعالى هذه الآيات بهذا النداء الشريف الموجه للمؤمنين من أجل إثارة هممهم وتنشيطهم على قبول ما يسمعون من كلام الله ﷻ، فالقائل هو ربنا ﷻ وهذا الاستفهام للتشويق يشوقنا ﷻ بهذه التجارة التي يدلنا عليها ويستفاد من قوله: (هَلْ أَدُلُّكُمْ) أنه ليس لنا طريق إلى هذه التجارة إلا الطريق الذي شرعه الله عز وجل هو الدال على ذلك ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10] وهذه التجارة ليست تجارة الدنيا لأن تجارة الدنيا قد تنجي من العذاب الأليم، وقد تكون سببا للعذاب الأليم، فالرجل الذي عنده مال لا يزكي يكون ماله عذاباً عليه والعياذ بالله.

فتجارة الدنيا قد تنجي من العذاب، وقد توقع في العذاب لكن هذه التجارة التي عرضها الله ﷻ علينا وصفها الله بأنها تنجي من عذاب مؤلم لأنه لارحمة فيه، أما تجارة الآخرة فهي التي

(1) توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل النجدي، ج4/ص272-273

(2) انظر: (النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام)، أحمد القصاب، ج4/ص294، (خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية)، عبد العظيم المطعني، ج1/ص272، (تطريز رياض الصالحين، النجدي، ج1/ص715.

تتضمن الإيمان بالله ورسوله، وهذا يتضمن جميع شرائع الإسلام كلها، لكن نص على الجهاد لأن السورة سورة الجهاد من أولها إلى آخرها كلها جهاد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: 4] ثم ذكر ما يتعلق بذلك، وهنا يقول ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: 11] أي: تبذلوا جهدكم في سبيل الله ببذل المال وبذل النفس، ويعتبر المال محبوب النفس ومعشوقها الذي تبذل الغالي لأجله وتعرِّض نفسها للمهالك والمخاطر في سبيل تحصيله، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ خير لكم من كل شيء ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني إن كنتم من ذوي العلم.

هذا هو العمل فما هو الثواب ؟؟ ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الصف: 12] الثواب الذي أعده الله لعباده الصالحين خاصة المجاهدين في سبيله، الجنة التي بها مائة درجة أعدَّها الله ﷻ للمجاهدين في سبيله ولهذا جمع جنات تجري من تحتها الأنهار. (1)

هذا وتعتبر مهمة الإنسان المسلم في الحياة الدنيا وغايته فيها هي عبادة الله وحده والجهاد في سبيله، جهاداً يحمل نفسه على طاعة الله ويبعدها عن المعصية، ويجاهد بقلمه ولسانه وماله ويده في سبيل الله حتى تعلو كلمة الله ويستنير البشر بنور الإسلام، وقد اختار الله المسلمين لهذه المهمة الخطيرة مهمة دلالة الناس وقيادتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور فلا مجال للتخلي عن هذه المهمة الشريفة هذه طريقة الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾ [الأحزاب: 21]

فالإنسان الذي يدعي أنه مسلم عليه أن يبلغ ويدعو ويؤدي هذه الشهادة لهذا الدين، شهادة تؤيد حق هذا الدين في البقاء والإستمرارية، ويؤيد الخير الذي يحمله هذا الدين للبشر، وهو لا يؤيد هذه الشهادة تمامًا حتى يجعل من نفسه ومن خُلقه ومن تصرفاته ومن حياته صورة لهذا الدين، صورة يراها الناس فيرون فيها مثلاً رفيعًا يشهد لهذا الدين الإسلامي بالأحقية في الوجود بالخيرية وبالأفضلية على سائر ما في الأرض. (2)

(1) انظر: (شرح رياض الصالحين)، ج5/ص348

(2) انظر: (مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار)، ج1/ص270، (موارد الظمآن لدروس الزمان)، ج139/3عبد العزيز السلمان.

إن هذه الآيات لتسكب في قلوب المؤمنين طمأنينة لامثيل لها، وهم ينفذون قدر الله في إظهار دينه الذي أراده ليظهر، وإن هم إلا أداة، وما تزال محفزة ومطمئنةً لقلوب المؤمنين الواثقين بوعد الله، وستظل تبعث في الأجيال القادمة مثل هذه المشاعر، حتى يتحقق وعد الله مرة أخرى في واقع الحياة بإذن الله، إن الله تبارك وتعالى ينادي المؤمنين، ويهتف بهم إلى أربح تجارة في الدنيا والآخرة، تجارة الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ ﴾ [الصف: 10-11] وإنها لأربح تجارة أن يجاهد المؤمن في حياته الفانية القصيرة، ثم يكسب مغفرة ذنوبه كلها، وإسقاط ديونه كلها، والفوز بالجنان والمساكن والقصور، ورضوان من الله أكبر: ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الصف: 12] فهل توقف حساب التجارة الرابحة عند هذا الحد ؟؟ إنه لربح هائل عظيم لايمكن أن يتصوره العقل البشري . [1]

إنّ الله ﷻ أفاض علينا بنعمه الجليلة التي لاتعد ولا تحصى في الدنيا قبل الآخرة، لذا من الواجب علينا أن نضع تقوى الله نصب أعيننا، ونسعى جاهدين لتحقيق رضا الله ﷻ حتى نسعد بعطائه في الآخرة كما وعدنا بالدرجات العاليات في جنة الإقامة الدائمة، والمساكن الطيبة، وهذا هو الفوز المبين الذي لا فوز بعده.

المطلب الثاني: طعام أهل الجنة

تضافرت آيات القرآن الكريم وهتنت[2] في حديثها ووصفها لطعام أهل الجنة، وما يتقلبون فيه من نعيم،ففيها ما لا يخطر ببال ،ولا يتصوره عقل أو جَنان ، وأولى الآيات التي تحدثت عن ذلك، قوله تعالى:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا

(1) انظر: (: موسوعة فقه القلوب)، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، ج2/ص1254

(2) هتنت السماء: انصبت أو هو من المطر فوق الهطل، وهتنت السماء هطل مطرها وتتابع، انظر:الكنز اللغوي في اللسن العربي – ابن السكيت ج1، ص3، القاموس المحيط الفيروز أبادي ج1/ص1239. تاج العروس 36جزء / 272،تاريخ دمشق لابن عساكر،ج62/ص47،تحفة الطالبين في ترجمة الامام محي الدين،ج1/ص150.

﴿ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: 25]

يرى الواحدي أن معنى الآية: أي أخبر الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأطاعوا الله عزّ وجلّ خبراً يظهر به أثر السرور على بشرتهم، بأن لهم جنات ذات حدائق تجري من تحت أشجارها ومساكنها الأنهار، وكلما أطعموا من تلك الجنات ثمرة (قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) لتشابه ما يُؤتون به، وأتوا به متشابهاً في اللَّون والصُّورة، مختلفاً في الطَّعم وذلك أبلغ وصفاً في باب الجمال و الإعجاب، ولهم فيها أزواجٌ من الحور العين والآدميات، مطهرةٌ عن كلِّ أذىً وقذرٍ ممَّا في نساء الدُّنيا ومن مساوئ الأخلاق وآفات الشَّيب والهرم، وهم فِيها خالدون، لأنَّ تمام النِّعمة في الجنة يكون بدوام الخلود.[1]

ويقول الشهيد سيد قطب ــ رحمه الله ــ : "هي ألوان من النعيم يستوقف النظر منها– إلى جانب الأزواج المطهرة– تلك الثمار المتشابهة، التي يخيل إليهم أنهم رزقوها من قبل– أما ثمار الدنيا التي تشبهها بالاسم أو الشكل، وأما ثمار الجنة التي رزقوها من قبل– فربما كان في هذا التشابه الظاهري والتنوع الداخلي مزية المفاجأة في كل مرة.. وهي ترسم جواً من الدعابة الحلوة، والرضي السابغ، والتفكه الجميل، بتقديم المفاجأة بعد المفاجأة، وفي كل مرة ينكشف التشابه الظاهري عن شيء جديد! وهذا التشابه في الشكل، والتنوع في المزية، سمة واضحة في صنعة البارئ تعالى، تجعل الوجود أكبر في حقيقته من مظهره." [2]

ولننتقل إلى مشهد آخر وصورة حية أخرى من كتاب الله وقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد: 35].

" بعد ان ذَكَر اللهُ تَعالى ما أعَدّه للكافرين من العذاب في الدُّنيا والآخرة، أتْبَعَهُ بذِكر ثوابِ المتقين، فإذا كان لِلجاحدينَ العذابُ الدائم، فإن للمؤمنين الجنةَ ونعيمَها، وتجري تحت أشجارها هذه الجنة، أنهار عذبة الماء، وثمراتُها دائمة لا تنقطع، وظِلُّها ظليلٌ دائم، هذه عاقبةُ المؤمنين الذي وَقَوا أنفُسَهم بالإيمان والصلاح، أما الذين كفروا فلهم النارُ وبئس القرار"[3]

(1) انظر: الوجيز، ج1/ص96
(2) في ظلال القرآن، ج1/ص49.
(3) تيسير التفسير /ابراهيم القطان ج2/ص281

ويقول أبو زهرة في تفسيره: حال الجنة العجيبة الوصف التي فيها ما لَا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، تجري من تحتها الأنهار، فيها متعة للحس و النظر، ومتعة للنفس، ومتعة النسيم العليل، ومتعة الراحة، والظل الظليل، أُكُلُهَا دَائِمٌ مستمر، من ثمر نخيل ورمان، وغير ذلك من الثمار، وَظلها دائم مستمر، ليس فيها حر لافح، لا ينسخ ظلها بشمس، ثم يقول تعالى: (تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا)، الإشارة إلى الجنة بأوصافها الثلاثة المذكورة، من أنها تجري من تحتها الأنهار، فتنعم النفس بالمنظر الجميل، والنسيم العليل، والمنظر البهيج، ومن أن ثمراتها دائمة لَا تنقطع، فتنعم بحياة دائمة، ونعيم مقيم، ومن أنها ظل دائم مستمر. [1]

ويقول الدكتور عمر عبد الكافي في وصفه الجنة كما وردت في سورة الرعد: "والمقصود من الآية أن الأكل والظل دائم، لكن في الدنيا الأكل قد ينتهي؛ ولذلك الناس الذين في روسيا لا يجدون اليوم ما يأكلون، وقد تحصل مجاعة في أي بلد، لكن في الجنة لا توجد مجاعة.

الله ﷻ عنده خير، وعنده خزائن لا تنفد، ولذلك يؤتى بك يا أيها الفقير الذي لم تذق طعم الراحة فيقال لك: كل يا من لم تأكل ولم تشرب، تنعم يا من لم يتنعم في الدنيا، لذلك قلنا إنه يؤتى بأبأس أهل الأرض ويغمس في الجنة غمسة ثم يقال له: (يا عبدي! أرأيت بؤساً من قبل قط؟ فيقول: وعزتك وجلالك، أنا في النعيم منذ أن خلقتني)، يعني: مجرد أن غمس غمسة واحدة في الجنة نسي كل شيء، نسي امرأته، ونسي هم أولاده وجاره الذي كان يؤذيه، فكيف إذا مكث فيها باستمرار؟ قال ﷺ: **(ويؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس في جهنم غمسة فيخرج كالفحمة السوداء، فيقال: عبدي هل رأيت نعيماً من قبل قط؟ فيقول: وعزتك وجلالك، لأنا في الشقاء منذ أن خلقتني)** [2]."[3]

ويقول محمد التويجري في كتابه: "الله تبارك وتعالى خالق كل شيء، ومالك كل شيء، وبيده كل شيء، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وهو الحكيم العليم، يعز ويذل، ويكرم ويهين، ويرضى ويغضب، ويعطي ويمنع، ويحب ويكره، ويرفع ويخفض، ويرحم وينتقم: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: 29].

اقتضت حكمته سبحانه أن خلق داراً لمن يرجون رضاه، ويعملون بطاعته، ويؤثرون أوامره، القائمين المطيعين لرسله، وهي الجنة دار النعيم، وجعل فيها كل شيء مرضي، وملأها من كل محبوب ومرغوب، ومشتهي ولذيذ، وجعل الخير كله بحذافيره فيها، وجعلها محل كل

(1) انظر: (زهرة التفاسير)، ج8/ص3960-3961.

(2) سنن ابن ماجه،أبواب الزهد،باب صفة النار،(ج5/ص372-373) رقم (4321)، قال شعيب:حديث صحيح وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد

(3) سلسلة الدار الآخرة – دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية جزء29/ص9

طيب من الذوات والصفات، والأقوال والأعمال، كما قال سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: 25].

وخلق سبحانه داراً أخرى لطالبي أسباب غضبه وسخطه، العاملين بمعصيته، المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مرضاته، المخالفين لأوامره، القائمين بما يكره من الأقوال والأعمال، الواصفين له بما لا يليق به، الجاحدين لما أخبرت به رسله، وهي جهنم دار العذاب، وأودعها كل شيء مكروه، وسجنها مليء بكل شيء مؤذ ومؤلم، وجعل الشر كله بحذافيره فيها، وجعلها محل كل خبيث من الذوات والصفات، والأقوال والأعمال، فهاتان الداران هما دار القرار، وخلق سبحانه داراً ثالثة، هي كالميناء لهاتين الدارين، ومنها يتزود المسافرون إليهما، وهي دار الدنيا دار العمل، ثم أخرج سبحانه إليها من أثمار تلك الدارين بعض ما اقتضته أعمال أربابهما، وما يستدل به عليهما، حتى كأنهما رأي عين، ليصير للإيمان بالغيب وجه شهادة تستأنس به النفوس، وتستدل به، فأخرج سبحانه إلى هذه الدار من آثار رحمته من الثمار والفواكه والطيبات، والملابس الفاخرة، والصور الجميلة، وسائر ملاذ النفس ومشتهياتها، ما هو نفحة من نفحات الدار التي جعل ذلك كله فيها على وجه الكمال والدوام، فإذا رآه المؤمنون في الدنيا، ذكرهم بما هناك من الخير والسرور، والعيش الرضي في الآخرة، فشمروا إليه وقالوا: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، وأحدثت لهم رؤيته عزمات وهمماً، وجداً وتشميراً؛ لأن النعيم يذكر بالنعيم، والشيء يذكر بجنسه، فوجود تلك المشتهيات والملذات في هذه الدار رحمة من الله يسوق بها عباده المؤمنين إلى تلك الدار التي هي أكمل منها، وزاد لهم من هذه الدار إليها، فهي زاد وعبرة ودليل، وأثر من آثار رحمته التي أودعها تلك الدار، فالمؤمن يهتز برؤيتها إلى ما أمامه، ويثير ساكن عزماته إلى دار النعيم والخلود، فالنفس ذواقة تواقة، إذا ذاقت شيئاً منها تاقت إلى ما هو أكمل منه، حتى تتوق وتصل إلى النعيم المقيم في جوار الرب الكريم." [1]

ولقد حكى القرآن الكريم صورة أخرى من صور طعام أهل الجنة وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ [يس: 57].

(1) موسوعة فقه القلوب،ج4/ص2938

إن من يدخل الجنة يتمتع بنعيمها ولذاتها، ويكون بذلك في شغل عما سواه، فأنى له أن يفكر فيما غيره؟ وهو بذلك فرح مستبشر ضحوك السن هادئ النفس، لا يرى شيئاً يغمه أو ينغّص عليه حبوره وسروره.

وبعد أن ذكر الله ما لهم فيها من مجالس الأنس- ذكر ما يتمتعون به من مآكل ومشارب، ولذات جسمانية وروحية فقال: ﴿**لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ**﴾ أي لهم فيها من الفواكه ما لذّ وطاب، مما تقرّ به أعينهم، وتسرّ به نفوسهم، كما هو شأن المترفين المنعمين في الدنيا، ولهم فوق ذلك كل ما يتمنون وتشتاق إليه نفوسهم. (1)

ويقول الحجازي في تفسيره للآية: هذا يوم الفصل والقضاء العدل، فلا تظلم نفس شيئاً، فأصحاب الجنة يتمتعون بها في شغل، وأي شغل؟ إنه شغل من فرح و سعد بالجنة ونعيمها، وفاز بنيل ذلك النعيم المقيم والملك الكبير، وتمتع بما أعده الله للمصطفين من عباده الأبرار ثواباً لهم وإكراماً، وجزاء لهم على ما كانوا يعملون، متنعمون ومتلذذون بما هم فيه، فحقّا إنهم لفي شغل عن النار وأصحاب النار، فيا ويلكم أيها المشركون من النار ومن عذابها!! وأزواجهم وهم في ظلال وارفة، على الأرائك والسرر متكئون، يتمتعون ويسمرون ويتمتعون ويرزقون رزقاً كريماً، لهم فيها فاكهة كثيرة، ولهم ما يتمنون مما لا يقع تحت حصر. (2)

ثم تأمل في قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الزخرف: 72]

وهذه الجنة التي أورثها الله ﷻ لكم وميزكم عن أهل النار، الذين أدخلهم جهنم، بما كنتم في الدنيا تعملون من الخيرات، لكم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع، تأكلون منها ما تشتهون مما لذ وطاب. (3)

ويقول طنطاوي في تفسيره: وعلى سبيل التشريف يقال للمؤمنين يوم القيامة ، هذه الجنة التي أورثتموها بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا، لكم فيها ألوان كثيرة من الفاكهة، وثمار شهية لذيذة، منها تأكلون أكلاً هنيئاً مريئاً، وعبر بقوله- تعالى- ﴿**أُورِثْتُمُوها** ﴾ للإشعار بأنها قد صارت إليهم بفضل الله وكرمه، كما يصير الميراث إلى الوارث، وقوله ﴿**بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ بيان للأسباب

(1) انظر: (تفسير المراغي)، أحمد المراغي، ج23/ص22.
(2) انظر: (التفسير الواضح)، ج3/ص189.
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، الطبري، ج21/ص634.

التي أوصلتهم إلى هذه المنازل العالية، فإن أعمالهم الطيبة التي تقبلها الله- تعالى- منهم، جعلتهم- بفضله وإحسانه- في أعلى الدرجات وأسماها. (1)

أما الزحيلي فيقول في تفسيره: وألوان نعيمهم أن لهم مختلف أنواع المطاعم والمشارب، يقدم لهم ذلك بآنية من الذهب، وأكواب من الفضة، وفيها كل ما تشتهيه الأنفس من الألبسة والمسموعات، وكل ما تهواه النفوس، وتلذ به الأعين من اللذائذ والمشاهد المادية والمعنوية، ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهم فيها ماكثون على الدوام، وسبب هذا الجزاء: أن تلك الجنة صارت لكم كالميراث، لما قدمتموه من العمل الصالح في الدنيا، وليس المعنى أن الأعمال أوجبت على الله إدخالهم الجنة، وإنما المعنى أن حظوظهم فيها على قدر أعمالهم، وأما دخول الجنة نفسه فبفضل الله ورحمته، ولكم في الجنة غير الطعام والشراب فاكهة كثيرة الأنواع، تأكلون منها مهما شئتم، كلما قطفتم ثمرة تجدد لكم أخرى، هذا حال أهل الجنة وما يقال لهم. (2)

كما ورد الحديث عن طعام أهل الجنة في قولهﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان: 51-55].

إن المتقين لهم جنات وعيون، مشتملة على كل ما لذ وطاب من المآكل والمشارب، يلبسون من سندس وإستبرق، متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض.. وزوجناهم بحور عين، والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين، واختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرها، يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا بزمان، آمنين من الضرر. (3)

ويقول ابن كثير في تفسيره للآية: لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر حال السعداء - ولهذا سمي القرآن مثاني-فقال: (إن المتقين في مقام أمين أي: في الآخرة وهو الجنة، قد أمنوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هم وحزن وجزع، وتعب ونصب، ومن الشيطان وكيده، وسائر الآفات والمصائب، (في جنات وعيون) وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجر الزقوم، وشرب الحميم.

(1) انظر: (التفسير الوسيط)، ج13/ص100.
(2) انظر(: الوسيط للزحيلي)، ج3/ص2373-2374.
(3) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، البيضاوي، ج5/ص104.

يلبسون من سندس وإستبرق، وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش، وما يلبس على أعالي القماش، متقابلين على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره.

وقوله: (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أي: مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه، بل يحضر إليهم كلما أرادوا. (1)

وقد ورد الحديث عن طعام أهل الجنة أيضاً في قوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴾ [الرحمن: 52]

يقول تعالى ذكره في وصفه للجنة، أن فيها من كل نوع من الفاكهة ضربان، فبأي آلاء ربكما التي أنعم بها على أهل طاعته من ذلك تكذّبان. (2)

وقيل في تفسير هذه الآية: "أن فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ أي: صنفان ونوعان، قال المفسرون: فيهما من كل ما يُتفكَّه به نوعان، رطب ويابس، لا يقصر أحدهما عن الآخر في فضله". (3)

وقال ابن كثير في تفسيره: أي أن فيها من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون.

عن ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظلة، وقال أيضا: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، يعني: أن بين ذلك بوناً عظيماً، وفرقاً بيناً في التفاضل. (4)

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ ﴾ [الحاقة: 22-24]

يقول تعالى ذكره فالذي وصفت أمره، وهو الذي أوتي كتابه بيمينه، في عيشة مرضية، أو عيشة فيها الرضا، فوصفت العيشة بالرضا وهي مرضية، لأن ذلك مدح للعيشة، وقوله: **(فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)** أي في بستان عال رفيع، **(قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ)** يقول: ما يقطف من الجنة من ثمارها دانٍ قريب من قاطفه، وذُكر أن الذي يريد ثمرها يتناوله كيف شاء قائماً وقاعداً، لا يمنعه منه بُعد، ولا يحول

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، ج7/ص261
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، الطبري، ج23/ص61
(3) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج4/ص213.
(4) انظر تفسير القرآن العظيم، ج7/ص503.

بينه وبينه شوك، وقيل في معنى الآية : أن يتناول الرجل من فواكهها وهو نائم، أو دنت فلا يردّ أيديهم عنها بعد ولا شوك.

وقوله: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: 24] يقول لهم ربهم جلَّ ثناؤه: كلوا معشر من رضيت عنه، فأدخلته جنتي من ثمارها، وطيب ما فيها من الأطعمة، واشربوا من أشْرِبتها، هَنِيئا لَكُمْ لا تتأذون بما تأكلون، ولا بما تشربون، ولا تحتاجون من أكل ذلك إلى غائط ولا بول، يقول الله ﷻ لهم: كلوا واشربوا هنيئا، جزاء من الله لكم، وثوابا بما أسلفتم، وما قدّتم في دنياكم لآخرتكم من العمل بطاعة الله، في أيام الدنيا التي خلت فمضت. (1)

وأخيراً تأمل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المرسلات 41-42] إن الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه في الدنيا، واجتناب معاصيه فِي ظِلالٍ ظليلة، لا يصيبهم أذى حرّ، إذ كان الكافرون بالله في ظلّ ذي ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب، وللمتقين أيضاً أنهار تجري خلال أشجار جناتهم، ويأكلون منها كلما اشتهوا لا يخافون ضرّها، ولا عاقبة مكروهها، ويقول تعالى ذكره لهم: كلوا أيها القوم من هذه الفواكه، واشربوا من هذه العيون كلما اشتهيتم هنيئاً، لا تكدير عليكم، ولا تنغيص فيما تأكلونه وتشربون منه، ولكنه لكم دائم، لا يزول، ومريء لا يورثكم أذى في أبدانكم، جزاء بما كنتم في الدنيا تعملون من طاعة الله، وتجتهدون فيما يقرّبكم منه. (2)

ويقول السعدي في تفسيره: بعد ما ذكر رب العزة عقوبة المكذبين، ذكر ثواب المحسنين، المتصفين بالتصديق في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم، ولا يكونون كذلك إلا بأدائهم الواجبات، وتركهم المحرمات، هؤلاء المتقون ينعمون في الظلال من كثرة الأشجار المتنوعة الزاهية البهية، وينعمون بالعيون الجارية والرحيق، ويتخيرون ما لذ وما طاب من الفواكه، ويقال لهم: كُلُوا وَاشْرَبُوا من المآكل الشهية، والأشربة اللذيذة هَنِيئًا من غير منغص ولا مكدر، ولا يتم هناؤه حتى يسلم الطعام والشراب من كل آفة ونقص، وحتى يجزموا أنه غير منقطع ولا زائل، فأعمالكم هي السبب الموصل لكم إلى هذا النعيم المقيم، وهكذا كل من أحسن في عبادة الله وأحسن إلى عباد الله. (3)

وبعد استعراض بعض الآيات الكريمات التي حدثتنا عن طعام أهل الجنة ونعيمهم الذي لا ينقطع.. زادت نفوسنا شوقاً ولهفة إلى هذا النعيم السرمدي، وإلى السعادة الكاملة، السعادة الحقيقية

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، الطبري، ج32/ص587.
(2) انظر: المرجع السابق، ج24/ص143.
(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ج1/ص905.

التي لا انقطاع فيها، فالجنَّة دار جعلها اللّه تعالى مستقرّاً لمن أطاعه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [البروج: 11] وهي منتهى رحلة المؤمن الذي لا يزول نعيمها، وهي غاية المؤمنين الذين يرنون لنعيمها، حيث لا نعيم يضاهيه، فالبدار البدار للأعمال الصالحة، والمسارعة والمنافسة فيما يوصل إلى الجنة، والحذر كل الحذر مما يباعد عنها، فلا نعيم في الدنيا يقترب من نعيم الجنة على الإطلاق، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة: 17]، فالزموا التقوى وتزودوا في يومكم لغدكم لتجدوه في صحائفكم كي يسركم يوم اللقاء، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: 18].

المطلب الثالث: شراب أهل الجنة

إن من تمام النعيم لأهل الجنة أن يتقلبوا في طيباتها، فيجدوا من وعد الله ما لم يخطر على بالهم أبداً، ومن ذلك شراب طيب، عسل مصفى، وخمر لذة للشاربين، ولبن، وكافور، وأشربة غير ذلك بينتها آيات الذكر الحكيم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾[محمد: 15].

صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعدها الله لعباده المتقين عن الشرك، فيها أَنْهَارٌ من ماء غير آسن، غير متغير اللون والريح والطعم، وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طعمه كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة وغيرها، وأنهار من خمر أي ما هو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر يجد فيها شاربها اللذة والمتعة، وأنهار مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره.[1]

ويقول ابن كثير في تفسيره : مَثَلُ الجنة أي نعتها، أن فيها أنهاراً من ماءٍ صافٍ لا كدر فيه ولم يتغير ريحه، وقيل إنّ أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك، ﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾

(1) انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)،النسفي ج3/ص325

هي غاية في البياض والحلاوة والدسومة، ﴿**وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ**﴾ ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا بل هي حسنة المنظر والطعم والرائحة، ﴿ **وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى**﴾ أنهار غاية في الصفاء وحسن اللون والريح والطعم، **وعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ**[1]، **عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "فِي الْجَنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ، وَبَحْرُ الْمَاءِ، وَبَحْرُ الْعَسَلِ، وَبَحْرُ الْخَمْرِ، ثُمَّ تَشَقَّقُ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدُ"**[2]، وَفِي الصَّحِيحِ: **"إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تُفَجَّر أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ"**[3].[4].

أما البقاعي فيقول في تفسيره: مثل بستان عظيم لا يسقط ورقه ولا ينقطع ثمره ولا يتفطن نعيمه لما فيه من الأنهار المتنوعة، ولما كان ماء الدنيا مختلف الطعوم على ثلاثة: حلو وعذب وملح، مع اتحاد الأرض ببساطتها وشدة اتصالها للدلالة على أن فاعل ذلك قادر مختار، وقد يكون آسناً أي متغيراً عن الماء الذي يشرب بريح منتنة من أصل خلقه أو من عارض عرض له من منبعه أو مجراه، وماء الجنة غير آسن أي ثابت له في وقت ما شيء من الطعم أو الريح، أو اللون بوجه من الوجوه وإن طالت إقامته وإن أضيف إليه غيره فإنه لا يقبل التغير بوجه، ولما كان أكثر شرابهم بعد الماء اللبن، ثنى به فقال سبحانه: ﴿**وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ**﴾ ولما كان التغير غير محمود، وكانوا يعهدون في الدنيا أن اللبن كله على جميع أنواعه طيب حال نزوله من الضرع مع اختلاف ذوات الدر في الأشكال والأنواع والمقادير، ومع انفصال كل واحدة منها من الأخرى، وأنه إنما يتغير بعد حلبه، عبر بما ينفي التغير في الماضي فقال: ﴿**لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ**﴾أي بنفسه عن أصل خلقته وإن أقام مدى الدهر، ولما كان أكثر ما بعد اللبن الخمر قال: ﴿**وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ**﴾ ولما كانت الخمر يكثر طعمها، وإنما يشربها شاربوها لأثرها، وأنه متى تغير طعمها زال اسمها، عرف أن كل ما في خمر الجنة في غاية الحسن غير متعرض لطعم فقال: (لذة) أي ثابتة لها اللذة ودائمة حال شربها متاعاً للشاربين في طيب الطعم وحسن العاقبة.[5].

---

(1) حَكِيم بْن مُعَاوِيَة بْن حَيدة، القُشَيريّ، الْبَصْرِيّ، تابعي، ثقة، سَمِعَ منه ابنُه بهز، والجُرَيريّ. التاريخ الكبير، ج3/ص11، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله.

(2) المسند أحمد، حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وسنن الترمذي برقم (20052)،(ج33/ص246)، قال الألباني: صحيح.

(3) سنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَنْهَارِ الجَنَّةِ. (ج4/ ص699) حديث رقم: 2571، حكم الألباني]: صحيح.

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، ج7/ص312-313

(5) انظر: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ج18/ص220-221.

ثم تأمل في قول الله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الواقعة: 17-19]

ويدور على أهل الجنة وِلدانٌ مخلَّدون لخدمتهم، بأكوابٍ وأباريقَ مملوءة مما لذّ وطاب من شراب الجنة، وبكأس مملوءة خمراً من عيونٍ جارية، لا يصيبهم من شُربها صداعٌ يصرفهم عنها، ولا تذهب بعقولهم كما في خمر الدنيا [1]، والأكواب ما كان من أواني الشرب لا أذن له ولا خرطوم، قال ابن عباس: هي جرار من فضة، وقيل أن أفواهها مستديرة، وقيل أيضاً: ليست لها عرى، والإبريق ما له خرطوم، وقال مجاهد وأذن، وهو من أواني الخمر عند العرب، **وتقول** الباحثة أياً كان شكل الأكواب، فالغاية الكبرى للمسلم من هذه الحياة أن ينجو بنفسه من حطب جهنم، لا أتخيل أنني أطلق العنان لنفسي كيف سيكون شكل الكوب الذي سأشرب به، إنما كل ما يهمني أن أنجو من نار جهنم وحرها، وما ذكره الله عزّ وجلّ في إنعامه على أهل الجنة من دقائق الأمور إنما هو إمعان في النعيم وفي التلذذ به ،والكأس هو الآنية المعدة للشرب بها شريطة أن يكون فيها خمر أو نبيذ أو ما هو سبيل ذلك، ومتى كان فارغاً فينسب إلى جنسه زجاجاً كان أو غيره، ولا يقال الآنية فيها ماء ولبن كأس.

وقوله: **(مِنْ مَعِينٍ)** قال ابن عباس معناه: من خمر سائلة جارية معينة، ولفظة مَعِينٍ يحتمل أن يكون من معن الماء إذا غزر، ويحتمل أن تكون من العين الجارية أو من الباصرة.

وقوله: لا يُصَدَّعُونَ عَنْها ذهب أكثر المفسرين إلى أن المعنى: لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا، وقال قوم معناه: لا يفرقون عنها، بمعنى لا تقطع عنهم لذتهم بسبب من الأسباب كما يفرق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق، وَلا يُنْزِفُونَ فلا تذهب عقولهم سكرا.[2]

ويقول السعدي في تفسيره: يدور على أهل الجنة لخدمة وقضاء حوائجهم، ولدان صغار الأسنان، في غاية الحسن والبهاء، ﴿**كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ**﴾ أي: مستور، لا يناله ما يغيره، مخلوقون للبقاء والخلد، لا يهرمون ولا يتغيرون، ويدورون عليهم بآنية شرابهم **(بِأَكْوَابٍ)** وهي التي لا عرى لها، **(وَأَبَارِيقَ)** الأواني التي لها عرى، **(وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ)** من خمر لذيذ المشرب، لا آفة فيها، لا تصدعهم رءوسهم كما تصدع خمرة الدنيا رأس شاربها، ولا هم عنها ينزفون، أي: لا تنزف عقولهم، ولا تذهب أحلامهم منها، كما يكون لخمر الدنيا.

---

(1) انظر: (تيسير التفسير)، القطان، ج3، ص296.

(2) انظر: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، ابن عطية، ج5/ص241-242

والحاصل: أن جميع ما في الجنة من أنواع النعيم الموجود جنسه في الدنيا، لا يوجد في الجنة فيه آفة، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[محمد: 15] وذكر هنا خمر الجنة، ونفى عنها كل آفة توجد في الدنيا.[1]

وقد ورد الحديث عن شراب أهل الجنة في سورة الإنسان في موضعين، أما الموضع الأول، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: 5-6]

إن الأبرار الذين لا يضمرون الشر، والذين سمت همتهم عن المستحقرات، وظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة فاتّقوا الله عزّ وجلّ، يشربون من كأس رائحتها كرائحة الكافور، أو ممزوجة بالكافور، ويقال: اختلفت مشاربهم في الآخرة فكلّ يسقى ما يليق بحاله، وكذلك في الدنيا مشاربهم مختلفة، وفائدة الشراب- اليوم- أن يشغلهم عن كل شيء فيريحهم عن الإحساس، ويأخذهم عن قضايا العقل.. كذلك قضايا الشراب في الآخرة، فيها زوال الأرب، وسقوط الطلب، ودوام الطّرب، وذهاب الحرب، والغفلة عن كلّ سب.[2]

ذهب السمعاني في تفسيره لهذه الآية إلى القول:

إن الأبرار وهم المطيعون الذين يشربون من كأس، والعرب لا تذكر الكأس إلا إذا كانت فيها الخمر، ويمزج هذا الكأس بالكافور، وهو مزاج وجود الرائحة لا مزاج وجود الطعم، وقيل: إن الكافور والزنجبيل اسمان لعينين من عيون الجنة، يشرب منها عباد الله يجرونها جراء على ما يريدون ويشتهون. [3]

ومعنى هذه الآية عند سيد طنطاوي: بين الله - سبحانه وتعالى- ما أعده للمؤمنين الصادقين من خير عميم فقال: **(إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً)**، والأبرار: جمع برّ وهو الإنسان المطيع لله- تعالى- طاعة تامة، والمسارع في فعل الخير، والشاكر لله تعالى على نعمه، والكافور: اسم لسائل طيب الرائحة، أبيض اللون، تميل إليه النفوس.

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ج1، ص833.
(2) انظر: (لطائف الإشارات)، القشيري، ج3، ص661-662.
(3) انظر: (تفسير القرآن) ج6/ص114-116

والمراد أن المؤمنين الصادقين، الذين أخلصوا لله- تعالى- الطاعة والعبادة والشكر يكافؤهم- سبحانه- على ذلك، بأن يجعلهم يوم القيامة في جنات عالية، ويتمتعون بالشراب من خمر، هذه الخمر كانت مخلوطة بالكافور الذي تنتعش له النفوس، وتحبه الأرواح والقلوب، لطيب رائحته، وجمال شكله، وذكر- سبحانه- هذه الأشياء في هذه السورة- من الكافور- والزنجبيل، وغيرهما، لتحريض العقلاء على الظفر في الآخرة بهذه المتع التي كانوا يشتهونها في الدنيا، على سبيل تقريب الأمور لهم، وإلا فنعيم الآخرة لا يقاس في لذته ودوامه بالنسبة لنعيم الدنيا الفاني، وقال ابن عباس: كل ما ذكر في القرآن مما في الجنة وسماه، ليس له من الدنيا شبيه إلا في الاسم. فالكافور، والزنجبيل، والأشجار والقصور، والمأكول والمشروب، والملبوس والثمار، لا يشبه ما في الدنيا إلا في مجرد الاسم.[1]

والموضع الثاني قول الله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: 17-18] وهم يسقون فيها أى في تلك الجنة الموعودة لهم كأساً، كان مزاجها زنجبيلا، أي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به أطيب ما تستطيبه العرب وألذ ما تستلذ به، وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه، فيها عينا جارية تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها، وكذلك لهدايتها وارشادها الى مشرب التوحيد وبحر الوحدة الذاتية كأنها تلقى وتلقن تلك العين المترشحة من بحر الحياة الأزلية[2]

ويرى ابن عاشور أن هذه سقية أخرى، أي مرة يشربون من كأس مزاجها الكافور، ومرة يسقون كأساً مزاجها الزنجبيل، ومعنى كون الزنجبيل عيناً، أن منقوعه أو الشراب المستخرج منه كثير كالعين[3].

ويقول الزحيلي في تفسيره للآية: ويسقى الأبرار أيضاً في هذه الأكواب في الجنة خمراً ممزوجة بالزنجبيل، فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور، وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل، أما المقرّبون فإنهم يشربون من كلّ منهما صرفاً، ويسقون من عين في الجنة تسمى السلسبيل، سميت بذلك لسلاسة مائها، وسهولة جريها وانحدارها وإساغتها في حلوقهم، والفائدة في تسمية العين

(1) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم)، ج15/ص217-218

(2) انظر: (الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية)، الشيخ علوان، ج2/ص470، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود، ج9/ص74.

(3) انظر: (التحرير والتنوير)، ج29، ص395.

بالسلسبيل بعد تسميتها بالزنجبيل هي أنها في طعم الزنجبيل ولذته، ولكن ليس فيها اللذع الذي هو مناف للسلاسة.[1]

ومن الآيات التي تتحدث عن شراب أهل الجنة قوله تعالى: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المطففين: 25-28] والمعنى يسقون خمراً بيضاء، وقال الزجاج: الرحيق الشراب الذي لا غش فيه، وقيل: الرحيق الخمر العتيقة، ثم قال: مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ يعني: إذا شرب منه رجل وجد عند فراغه من الشراب ريح المسك، ثم قال عزّ وجلّ: **(وَفِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ)**يعني: بمثل هذا الثواب فليتبادر المتبادرون، ويقال: فليتحاسد المتحاسدون ويقال: فليواظب المواظبون وليجتهد المجتهدون، ثم قال**(وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ)**يعني: مزاج الخمر من ماء اسمه تسنيم وهو من أشرف الشراب في الجنة وإنما سمي تسنيماً لأنه يتسنم عليهم فينصب عليهم انصباباً، ثم وصفه فقال عزّ وجلّ: **(عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ)**يعني: التسنيم عيناً يشرب بها المقربون صرفاً ويمزج لأصحاب اليمين.[2]

ويقول البقاعي في تفسير هذه الآية: "ولما كانت مجالس الأنس لاسيما في الأماكن النضرة لا تطيب إلا بالمآكل والمشارب، وكان الشراب يدل على الأكل، قال مقتصراً عليه لأن هذه السور قصار يقصد فيها الجمع مع الاختصار قال: (يسقون) بانياً له للمفعول دلالة على أنهم مخدومون أبداً لا كلفة عليهم في شيء، (من رحيق) أي شراب خالص صاف عتيق أبيض مطيب في غاية اللذة، ولما كان الختم لا يكون إلا لما عظمت رتبته وعزت نفاسته، قال عن نفاسته: (مختوم)أي فهو مع نفاسته سالم من الغبار وجميع الأقذاء والأقذار، وقال ابن مسعود ﷺ: إن المراد بختامه آخر طعمه، فيحصل أن ختامه في أول فتحه وفي آخر شربه المسك، قوله: (وفي ذلك) أي الأمر العظيم البعيد المتناول وهو العيش والنعيم والشراب الذي هذا وصفه، فليتنافس وليرغب غاية الرغبة بجميع الجهد والاختيار، المتنافسون الذين من شأنهم المنافسة وهو أن يطلب كل منهم أن يكون ذلك المتنافس فيه لنفسه خاصة دون غيره لأنه نفيس جداً، والنفيس هو الذي تحرص عليه نفوس الناس وتتغالى فيه، والمنافسة في مثل هذا بكثرة الأعمال الصالحات والنيات الخالصة.

(1) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، ج29/ص297-298.
(2) انظر: (بحر العلوم)، السمرقندي، ج3/ص558.

(عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا) أي بسببها على طريقة المزاج منها، **(الْمُقَرَّبُونَ)** الذين وقع تقريبهم من اجتذاب الحق لهم إليه وقصر هممهم عليه، كل شراب يريدونه، وأما الأبرار فلا يشربون بها إلا الرحيق، وأما غيرهم فلا يصل إليها أصلاً".[1]

وقيل في تفسير هذه الآية : يسوق من شراب لم تمسه يد البتة، والرحيق اسم نوع من أشربة الجنة أبيض اللون طيب الطعم كريم الرائحة لا غول فيها ولا إثم، وقد ختم عليها لشرفها ونفاستها بكلمة كن فكانت، كما أنها تفتح عند شربها بالإرادة، ولذلك فلا يفض ختمها لمن يشربها إلا عند إرادة الشرب، وهذه الخمرة غير الأنهار الجارية في الجنة، ولها أناس مخصوصون، فكما أن أهل الجنة درجات متفاوتون في السكنى والمقام والنزهة، فكذلك هم درجات في المأكل والمشرب والملبس، متفاوتون متفاضلون بنسبة تفاضلهم في الأعمال، والفرق بينهما لا يقاس بالفرق بين تفاضل أهل الدنيا، كما لا تقاس الدنيا بالآخرة، وهذا الشراب **(خِتامُهُ مِسْكٌ)** خالص لا يضاهيه مسك الدنيا باللون والرائحة والطعم، وَفِي ذلِكَ الشراب المختص للأبرار والكرام فَلْيَتَنافَسِ وليرغب فيه، لا في خمرة الدنيا الدنسة المزيلة للعقل، ولا في شهواتها المنافية للعزة والمهابة والكرامة، الْمُتَنافِسُونَ الراغبون، ويتباهى به المتباهون، فعلى العاقل أن يبادر لطاعة الله في دنياه ليتوصل إلى هذا النعيم المقيم، لأنه مما يحرص عليه ويطمع فيه ويريده كل أحد لنفسه.[2]

ويطيب **للباحثة** في نهاية المطلب الإشارة إلى أن نعيم الحياة الدنيا ومتاعها إلى زوال، والسعادة فيها غير تامة وغير محققة، قال تعالى: ﴿ **وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ** ... ﴾ [آل عمران: 185] ففي هذه الدنيا يحرص المرء على تناول أشهى الأطعمة والأشربة وألذها، ولكنه يغفل أن مصير ما شرب وأكل إلى فضلات، وأن ما يأكل وما يشرب فيه النافع والضار، لذلك كان لزاماً على هذا الإنسان ألا يلهث وراء الدنيا الفانية، وألا يفني زهرة شبابه في ملذات مؤقتة، وعليه أن يتفكر جيداً بوجدانه وقلبه وروحه في نعيم الجنة الذي يتضاءل عنده كل نعيم في الدنيا ويهون، مما يدفعه إلى طلب رضا الله عزَّ وجل وتطبيق شرائعه، والسير في ركاب المتقين.

(1) (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ج21/ص228-230

(2) انظر: (بيان المعاني)، عبد القادر بن ملّا العاني، ج4/ص517.

المطلب الرابع: نساء أهل الجنة

نساء الجنة لسن كنساء الدنيا، فإنهن مطهرات من الحيض والنفاس، والبصاق والمخاط والبول والغائط، وهذا مقتضى قوله ﷻ: ﴿ ... وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: 25].

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن جمال نساء أهل الجنة، ففي الحديث الذي يرويه البخاري **عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون، ولا يمتخطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة [1]، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن"** [2].

"ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها[3] على رأسها خير من الدنيا وما فيها" . [4]

والمراد من الآية: أنهن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة، وما لا يختص بهنّ من الأقذار والأدناس، ويجوز لمجيئه مطلقاً أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا، مما يكتسبن بأنفسهنّ، ومما يأخذنه من طباع السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة، ومن سائر عيوبهنّ ومثالبهنّ وخبثهنّ وكيدهنّ. [5]

---

(1) مجامرهم الألوة:-
- قال أبو اليمان عود الطيب، أنظر الموسوعة العقدية الدرر السنية 5 / 129
- وقيل بخورهم العود، تفسير الخازن ج231/4.
- كأنه أراد الجمر الذي يطرح فيه البخور، شرح السنة للبغوي ج15 / ص 211
- المجامر جمع مجمر بالكسر، وهو الذي توضع فيه النار بالبخور، الألوة هي الوقود نفسه. شرح المشكاة للطيب، ج11 ص3556.

(2) صحيح البخاري ، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ (حديث رقم: 3245)، ج4/ص118)

(3) النصيف: ثَوْبٌ تتجلَّل بِهِ المرأَة فَوْقَ ثِيَابِهَا كُلِّهَا، سُمِّيَ نَصِيفاً لأَنه نَصَفٌ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَهَا فحَجز أَبصارهم عَنْهَا، (لسان العرب) ابن منظور، ج9/ص332 ، (تهذيب اللغة)، الأزهري الهروي، ج12/ ص143.

(4) صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الحُورِ العِينِ، وَصِفَتِهِنَّ يُحَارُ فِيهَا الطَّرْفُ، شَدِيدَةُ سَوَادِ العَيْنِ، شَدِيدَةُ بَيَاضِ العَيْنِ حديث رقم: 2796،(ج4/ص 17)

(5) انظر: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، الزمخشري، ج1/ص109

يقول ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية: من البشارات التي يبشر الله تعالى بها الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم أزواجاً مطهرة في الخلق، لا يحضن ولا يبلن ولا يأتين الخلاء، وفي الخُلُق، فإنهن لا يحسدن ولا يغرن ولا ينظرن إلى غير أزواجهن، قال ابن عباس: نقية عن القذى والأذى، وقال الزجاج: ومُطَهَّرَةٌ أبلغ من طاهرة لأنه للتكثير، والخلود: البقاء الدائم الذي لا انقطاع له [1]

ويقول البيضاوي: لهم فيها أزواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن، كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق، فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال، ومطهرة أبلغ من طاهرة، والزوج يقال للذكر والأنثى، وهو في الأصل لما له قرين من جنسه، فإن قيل: فائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع، وهي مستغنى عنها في الجنة. قلت: مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها إنما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات، وتسمى بأسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل، ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها. [2]

وتفكر في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: 55-56]

يخبرنا الله تعالى في هذه الآية عن أهل الجنة يوم القيامة، فإذا ما ارتحلوا من العرصات فنزلوا في روضات الجنات: فهم في شغل عن غيرهم، بما هم فيه من النعيم المقيم، والفوز العظيم.

- قال الحسن البصري: {فِي شُغُلٍ} عما فيه أهل النار من العذاب.

- وقال مجاهد: {فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} أي: في نعيم معجبون.

- وقال ابن عباس: {فَاكِهُونَ} أي فرحون، - وقال عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والأعمش في قوله: **(إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ)** قالوا: شغلهم افتضاض الأبكار. [3]

فمن خلال النظر في أقوال المفسرين، يمكن **للباحثة** أن تلخص أقوال العلماء بأن أهل الجنة في شغل عما فيه أهل النار، فرحين مستبشرين معجبين من هذا النعيم الذي أكرمهم به الله تعالى من افتضاض الأبكار وغيره من ألوان النعيم التي لا يمكن لبشر أن يتخيلها أو يحصيها أو يدرك ماهيتها، والله أعلم.

---

(1) انظر: (زاد المسير في علم التفسير)، ج1/ص46.

(2) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ج1/ص61

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير، ج6/ص582

أما الثعالبي فيقول في تفسيره: وقوله سبحانه: (هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ) ورد في (صحيح البخاري) وغيره عن النبيّ ﷺ قَال: **(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّه، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَسْجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا في اللَّه، اجتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيه، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَال: إنِّي أخافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ تعالى خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)**[1].

والظل المذكور في الحديث هو في المحشر، والأرائك: السرر المفروشة، ولهم في الجنة ما يتمنون. [2]

ويقول الجزائري في تفسيره: إن أهل الجنة في شغل عما فيه أهل النار من عذاب وشقاء، فإذا ما حضروا بين يدي الله سبحانه وتعالى للحساب، انشغلوا بما أعد لهم من نعيم مقيم في دار السلام، ولهم في الجنة ما يتمنون، ناعمون بالتلذذ بالنعم وبألوان المطاعم والمشارب والحور العين، وهم وأزواجهم في ظلال الجنة على الأرائك، أي الأسرة متكئون. [3]

كما ورد الحديث عن صفات نساء أهل الجنة في قوله الله تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصافات: 48-49]

وعندهم قاصرات الطرف، حابسات الأعين غاضات الجفون قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، عين، أي حسان الأعين، كأنهن بيض، جمع البيضة، مكنون، مصون مستور، قال الحسن: شبههن ببيض النعام لأن النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار حين خروجها، فلونها أبيض في صفرة، ويقال: هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة بيضاء مشربة صفرة، والعرب تشبهها ببيضة النعامة. [4]

وقال المراغي في تفسيره لهذه الآية: وعند أهل دار النعيم، حور حسان، كاملات الأوصاف، لا ينظرن إلى غير أزواجهن، واسعات العيون في جمال، ثم زاد بياناً في وصف جمالهن بما شبههن به فقال (كأنهن بيض مكنون) إنهن في بياض يشوبه قليل من الصفرة كالبيض المستور في الأعشاش الذي لم تمسسه الأيدى ولم يعله الغبار. [5]

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد رقم (629) (ج1 / ص234).

(2) انظر: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، ج5/ص18.

(3) انظر: (أيسر التفاسير)، ج4/ص385

(4) انظر: (تفسير البغوي-إحياء التراث) البغوي الشافعي، ج4/ص31

(5) انظر(: تفسير المراغي)ج23/ص57-58.

ويقول الشهيد السيد قطب، رحمه الله: هذا نعيم مضاعف يجمع كل مظاهر النعيم، نعيم تستمتع به النفس ويستمتع به الحس، وتجد فيه كل نفس ما تشتهيه من ألوان النعيم، فهم- أولا- عباد الله المخلصون، وفي هذه الإشارة أعلى مراتب التكريم، وهم- ثانيا- مكرمون في الملأ الأعلى، ويا له من تكريم!

(وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِين) حور حييات لا تمتد أبصارهن إلى غير أصحابهن حياء وعفة، مع أنهن (عين) واسعات جميلات العيون! وهن كذلك مصونات مع رقة ولطف ونعومة: (كأنهن بيض مكنون) لا تبتذله الأيدي ولا العيون! ثم يمضي في الحكاية المصورة فإذا عباد الله المخلصون هؤلاء- بعد ما يسرت لهم كل ألوان المتاع- ينعمون بسمر هادئ، يتذاكرون فيه الماضي والحاضر. [1]

ولو تأملنا في قوله تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان: 54] للاحظنا أنه بالإضافة إلى ما ذكر من النعيم الذي يحظى به المؤمنون من مقام أمين في جنان النعيم، والسندس والاستبرق فإن لهم الحور العين، (وزوجناهم)أي قرناهم في الجنة بجوار بيض حسان الوجوه [2].

أما السعدي فيقول في تفسيره: هذا جزاء المتقين لله الذين اتقوا سخطه وعذابه بتركهم المعاصي وفعلهم الطاعات، لهم في دار الخلد النعيم التام والسرور الكامل، (وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عين) أي: نساء جميلات من جمالهن وحسنهن، يحار الطرف في حسنهن وينبهر العقل بجمالهن، وينخلب اللب لكمالهن، (عينٍ) أي: ضخام الأعين حسانها. [3]

وتوالت الآيات الكريمات في وصف نساء الجنة ومنها قوله تعالى: ﴿**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**﴾ والآيات متصلة بالسياق كما هو المتبادر، وأسلوبها قوي مثل سابقاتها، ومن شأنها إغراء السامعين وحملهم على الاستجابة وإثارة الطمأنينة والغبطة في قلوب المؤمنين، والوصف في هذه الآية مستمد مما ألفه الناس من صور الحياة الدنيا، والمراد من الآية الكريمة أن في الجنة حور قاصرات طرف غيرهن عن التجاوز لغيرهن، أو المعنى: شديدات بياض الطرف، ويتمتعون بالنساء النجل العيون اللاتي كأنهن اللؤلؤ بياضاً وجمالاً، الطاهرات المصونات عن الابتذال. [4]

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن)ج5/ص2987.

(2) انظر: (مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد)، محمد الجاوي، ج2/ص396

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ج1/ص774

(4) انظر: (محاسن التأويل)، القاسمي، ج9/ص113، (التفسير الحديث) محمد عزت، ج4/ص214

وقيل في تفسير الآية: إنَّ فى الجنان زوجات قاصرات الطرف، حابسات أبصارهن على أزواجهن، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ أي لم يقربهن إنس ولاجان، كالياقوت والمرجان في الحسن وصفاء اللون، فبأي نعمة من نعم ربكما تجحدان أيها الثقلان[1]

وقال الصابوني في تفسيره: وعلى طريقة القرآن في الترغيب والترهيب، ذكر تعالى أحوال أهل النار، ثم ذكر ما أعدَّه للمؤمنين من الأبرار من الجنان والحور الحسان، ليتميز الفارق الهائل بين منازل المجرمين ومراتب المتقين، وفي تلك الجنان نساء قاصرات الطرف قصرن أعينهن على أزواجهن فلا يرين غيرهم، كما هو حال المخدَّرات العفائف (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ) أي لم يمسهنَّ ولم يجامعهن أحدٌ قبل أزواجهنَّ لا من الإنس ولا من الجن، بل هنَّ أبكار عذارى. [2]

وأخيراً تأمل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة: 35-37] ذكر الإمام البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: أَنْشَأْناهُنَّ ابتدأناهن ابتداءً جديداً من غير ولادة إبداء أو إعادة، **(فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً)** عُرُباً متحببات إلى أزواجهن جمع عروب، أَتْراباً فإن كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن. [3]

أما السمين الحلبي فيرى أن قوله (عربا) جمع عَروب، والعَرُوْب: المتحبِّبة إلى بَعْلِها.، وقيل: الحسناءُ، وقيل: المُحْسِنة لكلامها، أما قوله (أترابا)جمع تِرْب وهو المساوي لك في سِنِّك؛ لأنَّه يَمَسُّ جِلْدَهما الترابُ في وقتٍ واحد. [4] **(وترى** الباحثة انه لا مانع من الجمع بين هذه المعاني كلها حيث إن المعاني السابقة مرادها التودد والتقرب والتحبب إلى الزوج).

ومما سبق نستطيع القول بأن نساء الجنة لسن كغيرهن من النساء، فجمالهن لا يخطر ببال، عيون محورات، جمال منقطع، قاصرات الطرف، طهر متصل، كمال لا ينقطع، بهاء ودلال، وجنات مضيئة، كأنهن اللؤلؤ والمرجان، عرباً أتراباً، عجز عن وصفهن الواصفون.

لذلك أوصي أخواتي المسلمات وأوصي نفسي أولاً بالحرص والسعي الحثيث في طلب الآخرة وعدم الركون إلى الدنيا، ولنتذكر أمهات المؤمنين في زهدهن وعبادتهن وحرصهن على رضا الله ورسوله، وأن نتحلى بجميل العادات ومكارم الاخلاق، وأن نكثر من الذكر الحسن، والكلم الطيب،

(1) انظر: (الموسوعة القرآنية)، ابراهيم الأبياري، ج11/ص270
(2) انظر: (صفوة التفاسير)، ج3/281-282
(3) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ج5/ص179
(4) انظر: (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)ج10/ص207

وحسن المعشر، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، **(قَالَ: لاَ تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لاَ تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا)** [1].

وعلى المرأة أن تسعى بكل ما أوتيت من قوة إيمان وعزيمة وإصرار أن تحرص على أداء أركان الإسلام الخمسة، خاصة الصلاة، وأن تحرص أن تسلك طريقاً تلتمس به رضا ربها، بألا تخرج متبرجة بزينة، وألا تخضع بالقول، ولا تختلط بالرجال، فذلك من موجبات الجنة، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ**" [2].

المطلب الخامس: مجالس أهل الجنة:

يصف القرآن الكريم الجنة بما فيها من تفاصيل لايمكن للعقل البشري أن يتصورها بمعانٍ وضيئةٍ ساميةٍ، وبأوصاف رائعة الجمال والمتعة لترغيب الناس في الحصول عليها، وقد تحدث القرآن الكريم عن طيبات الجنة بأسلوب يستهوي القلوب ويشرح الصدور، ويستنهض الهمم إلى أعلى درجاتها، ومن بين الطيبات التي تحدث عنها القرآن الكريم في الجنة مجالس أهلها التي تذرف العيون شوقاً لها وتهفو القلوب لسكناها، يقول الله تعالى في مجالس أهل الجنة:﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾ [الرحمن:54]

قال القرطبي في تفسيره: البطائن جمع بطانة، وهي التي تحت الظهارة ،والإستبرق ما كان غليظًا وخشنًا من الديباج، فإذا كانت البطانة التي تلي الأرض بهذا الوصف فما بالكم وظنكم بالظهارة، قاله ابن مسعود وأبوهريرة، وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق فما الظواهر؟ فقال: هذا مما قال الله: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة:17]، وقال ابن عباس: إنما وصف الله ﷻ لكم بطائنها لتهفو إليها قلوبكم، فأما الظواهر فهي مما استأثر الله بعلمه فلا يعلمها إلا هو، وقيل بطائنها من إستبرق، وظواهرها من نور جامد.[3]

---

(1) سنن ابن ماجه ، أَبْوَابُ النِّكَاحِ، بَابٌ: فِي الْمَرْأَةِ تُؤْذِي زَوْجَهَا ، حديث رقم: 2014، (ج3/ ص176)،قال شعيب حديث حسن.

(2) مسند أحمد (ج3/ص 199)حديث رقم: 1661،قال شعيب :حديث حسن لغيره

(3) انظر:(الجامع لأحكام القرآن)،ج17،ص179

وقال الله تعالى كذلك في وصف مجالس أهل الجنة: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الواقعة:15-16]

يقول السمعاني في تفسيره: السرر جمع سرير، وقيل أن ارتفاعه سبعون ذراعاً، وقيل أكثر من ذلك، والله أعلم .

أما (موضونة) فمعناها مرمولة بقضبان الذَّهَب، وَقيل: مشبكة منسوجة بالدر والياقوت. والوضين فِي لغة العرب هو الحزام الذي يشد به بطن الدَّابة، سمي وضيناً لنسجه وإدخاله بعضه فِي بعض، والاتكاء هُوَ الاستناد على طَرِيق التنعم، وقوله (عليها متقابلين) أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، ووجوههم إلى وجوه إخوانهم. (1)

"ووصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق وهذا يدل على أمرين أحدهما أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة، قال سفيان الثوري في قوله **(بطائنها من إستبرق)** قال هذه البطائن قد خبرتم بها فكيف بالظهائر الثاني يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة." (2)

وفي موضع آخر من الذكر الحكيم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الغاشية 13-16]

يقول الزحيلي في تفسيره: وصف الله تعالى جنته بأنها رفيعة المكان، بهية الوصف ،وهي للمؤمنين فقط ولهم فيها أسرة عالية مفروشة بما هو ناعم الملمس، فرشها كثيرة، مرتفعة السمك ،فإذا ما جلس عليها المؤمن استمتع بها كيف لا وهو متنعم برياض الجنة وزخرفها، وفي هذا تشريف وتكريم عظيم لساكنيها، وعلاوة على ذلك لهم أواني وأقداح للشرب معدة ومجهزة لهم، يشربون منها متى شاءوا، ولهم فيها وسائد مصفوفة بعضها بجوار بعض ،للاستناد عليها والجلوس ،وكذلك فيها البسط مفرقة في المجالس كثيرة، تغري الناظر إليها بالجلوس عليها والتمتع بها ،وفيها من معاني الفخامة والأبهة ما لم يخطر على بال بشر. (3)

(1) تفسير القرآن،ج5/ص345-346،بتصرف
(2) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد نصر الدين محمد عويضة،ج2/ص444
(3) انظر:(التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)،ج3/ص210

وأما فرش أهل الجنة فهي عظيمة القدر، بطائنها من الإستبرق، فما بالك بظاهرها، وهناك ترى النمارق مصفوفة على نحو يسر الخاطر، ويبهج النفس والزرابيُّ مبثوثة على شكل منسق متكامل قال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الغاشية 13-16]، ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن: 76] والمراد بالنمارق: المخادّ والوسائد والمساند، والزرابي: البسط، والعبقري: البسط الجياد، والرفرف، رياض الجنة وقيل نوع من الثياب، والأرائك: السرر ،وأهل الجنة يزور بعضهم بعضًا، ويجتمعون في مجالس طيبة يتحدثون ويذكرون ما كان منهم في الدنيا، وما مَنَّ الله به عليهم من دخول الجنان، قال الله تعالى في وصف اجتماع أهل الجنة:﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: 47]. (1)

المطلب السادس: لباس أهل الجنة:

تحدث القرآن الكريم عن الجنة وما فيها من النعيم المقيم الذي ينتظر أهلها، واللذة الدائمة والمتعة التي لا تنفد فنراه يتحدث في طياته عن لباس أهل الجنة حيث يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف:30-31]

يقول ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية:إن الذين آمنوا بالله عزَّ وجل وصدقوه وعملوا الصالحات في دنياهم فإن الله لن يضيع أجرهم ولن يترك أعمالهم تذهب ضياعاً، بل يجازيهم ويثيبهم عليها أحسن الجزاء وأفضله، ولما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور في اليد والتّيجان على الرّؤوس، جعل الله تعالى ذلك لأهل الجنة، يقول سعيد بن جبير: يُحلَّى كلُّ واحد منهم بثلاثة من الأساور، واحدٍ من فضة، وواحدٍ من ذهب، وواحدٍ من لؤلؤ ويواقيت، وأما السندس فهو رقيق

(1) الوسطية في القرآن الكريم، د.علي الصلابي ج1/ص331-332،بتصرف يسير

الديباج، وأما الإستبرق فهو ثخينه وغليظه، وأما الأرائك فهي الفرش وقيل السرر ،وهي على الحقيقة الفرش في الحجال[1]،[2]

أما الإمام البقاعي فيقول: لما أعدَّ الله للذين كفروا به النار، ناسب هنا أن يتحدث عما أعده للذين آمنوا وخضعوا وأذعنوا لأوامره، وعملوا الصالحات، فأخبرهم الله تعالى أنه لن يضيع أجورهم وهذا من عظم جزائهم ، وأنهم استحقوا هذا الفضل والإحسان والرتب العالية من الله تعالى جنات عدن تجري من تحت منازلهم الأنهار، **(يُحَلَّوْنَ فِيهَا)** بنى الفعل للمجهول لأن القصد وجود التحلية، وهي لعزتها إنما يؤتى بها من الغيب فضلاً من الله تعالى، ولما كان الله أعظم من كل شيء، فكانت آلاؤه ونعمه لا يحصى نوع منها، فذكر الله بعضاً منها وهي الأساور كما كان يلبس ملوك الدنيا من جبابرة الكفرة في بعض الأقاليم كأهل فارس، ولما كان لمقصودها نظر إلى التفضيل والفعل بالاختيار على الإطلاق، وقع الترغيب في طاعته بما هو أنفس من الفضة وأقيم فقال مبعضاً أيضاً: **(مِنْ ذَهَبٍ)** أي ذهب هو في غاية العظمة، ولما كان اللباس جزاء العمل وكان موجوداً عندهم، أسند الله تعالى الفعل إليهم فقال: **(وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا)**، ثم مدح الله عزَّوجل بعضاً من النعيم الذي ذكره لأهل الجنة فقال**(نِعْمَ الثَّوَابُ)** بهذا الوصف الذي سمعتم فكيف بها وفيها من الأوصاف مالا يعلمه إلا الله! [3]

وكذلك قال تعالى حكاية عن لباس أهل الجنة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾ [الحج: 23]

أعد الله تعالى للذين آمنوا به وصدقوا القول بالعمل جنات يدخلونها تجري من تحتها الأنهار، ويلبسون فيها حلياً من أساور من ذهب ولؤلؤاً، وهذه الأساور مركبة مرصعة باللؤلؤ والذهب، بخلاف ما ذكر في سورة الكهف والإنسان ،حيث إنه تعالى وصف هذه الأساور في سورة الكهف بأنها من ذهب ،أما سورة الإنسان فلم يذكر فيها اللؤلؤ ولا الذهب ،فيجتمع هنا التزيين

(1) الحجال: الحجال بكسر الحاء جمع حجلة، وهي بيت يزين بالثياب والستور والأسرة، انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين الشافعي،(ج4/ص503)، وقيل هي أسرة من ذهب مكللة بالدر والياقوت، انظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب القنوجي، (ج8/ص48)

(2) انظر:(زاد المسير في علم التفسير)،ج3/ص82

(3) انظر:(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)،ج12/ص55-56

للمؤمنين بهذه الأمور المذكورة، وثيابهم المعتادة في الجنة هي الحرير فلا يمكن لهم أن يتعروا منه.[1]

وذهب المراغي في تفسيره إلى القول بأنَّ الله تعالى يدخل من آمن به وبرسله وعمل الأعمال الصالحة التي تسمو بها نفوسهم وترتقي إلى أعلى الدرجات وتقربهم إلى ربِّ البريات، يدخلهم جنات تجري من تحت قصورها ومساكنها وأشجارها الوارفة الظلال الأنهار الواسعة يتمتعون بها ويتنعمون بها كيفما شاءوا، وعلاوة على ذلك فإنهم يلبسون الحرير الذي حُرِّم عليهم في الدنيا، فأكرموا به في الآخرة إجلالاً واستحقاقاً لأنهم منعوا أنفسهم وحبسوها في الدنيا، فأكرمهم الله ونعَّمهم. [2]

وقال تعالى في موضع آخر:﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾ [فاطر:33]

ذكر الله تعالى جزاء الذين أورثهم كتابه فقال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي جنات مشتملات على الأشجار، والظل، والظليل، والحدائق الحسنة، والأنهار المتدفقة، والقصور العالية، والمنازل المزخرفة، في أبد لا يزول، وعيش لا ينفد، والعدن "الإقامة" فجنات عدن أي: جنات إقامة، أضافها للإقامة، لأن الإقامة والخلود وصفها ووصف أهلها،(يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ) وهو الحلي الذي يجعل في اليدين، على ما يحبون، ويرون أنه أحسن من غيره، الرجال والنساء في الحلية في الجنة سواء، ويحلون فيها لؤلؤاً ينظم في ثيابهم وأجسادهم، ولباسهم من الحرير والسندس ومن الإستبرق الأخضر. [3]

ويقول الدكتور راتب النابلسي :ورد اللون الأخضر في آيات عديدة من القران الكريم حيث يقول تعالى: ﴿ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: 21].

وفي آية أخرى يقول الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾ [الكهف:31]

(1) انظر:(مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد)،محمد الجاوي،ج2/ص69-70
(2) نظر:(تفسير المراغي)،ج17/ص103-104
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،السعدي،ج1/ص689،بتصرف.

وقال علماء النفس إن هناك تأثيراً للون في الإنسان إلى حد بعيد، حيث إن الألوان لها تأثير في إقدام الإنسان وإحجامه، وربما يشعره بالحرارة وربما يشعره بالبرودة، وقد يشعره بالدفء أو الكآبة او السرور، فاللّونُ له تأثيرٌ كبيرٌ، بل ربما أثَّر اللونُ في شخصيةِ الإنسانِ، ونظرتِه إلى الحياةِ، ويقولُ العلماءُ: "اللّونُ الأصفرُ بطولِ موجتِه يبعثُ النشاطَ في الجهازِ العصبيِّ، فإذا أردتَ أنْ تعلنَ إعلاناً صارخاً في الطرقاتِ العامّةِ، فاللونُ الأصفرُ أطولُ أمواجاً من غيره مِنَ الألوانِ، ينشطُ الجهازَ العصبيَّ، ويؤثِّر فيه أبلغَ التأثيرِ.

واللونُ الأرجوانيُّ يدعو إلى الاستقرارِ، واللونُ الأزرقُ يشعِرُ بالاتساعِ، ويشعِرُ بالبرودةِ، واللونُ الأحمرُ ومشتقاتُه يشعر بالدفءِ، لكنّ اللَونَ الذي يبعثُ السرورَ داخلَ النفسِ البشريةِ، ويثيرُ بواعثَ البهجةِ فيها فهو اللونُ الأخضرُ؛ لذلك جَعَلَ اللهُ النباتَ أخضرَ اللونِ، هذه المساحاتُ الخضراءُ في الأرضِ تبعثُ في النفسِ البهجةَ".

لذلك اخترتْ ثيابُ الجرّاحينَ من اللونِ الأخضرِ؛ لأنّ المريضَ – وهو على وشكِ أنْ تُجرَى له العمليةُ – يشعر بالبهجة وهو يرى الثوب الأخضر، ومما يَلفتُ النظرُ أنّ اللهَ سبحانه وتعالى ذَكَرَ أهلَ الجنةِ، وذَكَرَ ما في الجنةِ من نعيمٍ، وَوَرَدَ اللونُ الأخضرُ في هذه الآياتِ. [1]

وذكر في كتاب الجنة والنار أن أهل الجنة يتنعمون فيها بلباس فاخر ،ويتزينون فيها بأنواع مختلفة من الحلي بأشكاله وأصنافه المتنوعة من الذهب والفضة واللؤلؤ، قال الله تعالى: ﴿ **وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا** ﴾ [الإنسان: 12] ، وملابسهم ذات ألوان، ومن ألوان الثياب التي يلبسون الخضر من السندس والإستبرق : ﴿ **أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾ [الكهف:31]، ﴿ **عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا** ﴾ [الإنسان: 21] .

ولباسهم أرقى من أي ثياب صنعها الإنسان، فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: " **أتى الرسول ﷺ بثوب من حرير، فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه، فقال رسول الله ﷺ "لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل من هذا** ". [2][3]

---

(1) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة،ج1/ص56-57،بتصرف

(2) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة والنار، فتح الباري: (ج6/ص319) .

(3) انظر: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي،(ج1/ص236)

"الفصل الثالث"

" الخبائث في السياق القرآني واقترانها بالطيبات"

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أنواع الخبائث في السياق القرآني.

المبحث الثاني: نظرات قرآنية إلى الخبائث والطيبات

المبحث الأول

أنواع الخبائث في السياق القرآني.

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: النفقة الخبيثة

المطلب الثاني: الأعمال الخبيثة

المطلب الثالث: البلد الخبيث

المطلب الرابع: الكلمة الخبيثة والشجرة الخبيثة

المبحث الأول

أنواع الخبائث في السياق القرآني

المطلب الأول: النفقة الخبيثة

إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولا يقبل ما تكرهه نفوس البشر، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ- وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طِيبًا- تَلَقَّاهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ**» [1].

ومن الأسس التي تقوم عليها الصدقة أن تكون بأفضل ما عند الإنسان، فلا تكون بالدون الرديء الذي يعافه البشر أنفسهم، فالله أغنى عن تقبل الرديء الفاسد ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [البقرة: 267]

هذه الآية خطاب للذين آمنوا بألا يقصدوا الرديء في نفقاتهم، وسبب نزول الآية: " مَا رويَ أَن أَصْحَاب النخيل على عهد رَسُول الله ﷺ كَانُوا يأْتونَ بقنو فيعلقونه فِي الْمَسْجِد؛ ليأكله الْفُقَرَاء، فجَاء رجل بقنو حشف أَردئ مَا يكون، وعلقه، فَلم يرضه رَسُول الله ﷺ وَنزلت الْآيَة: **(وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ)** ". وقد ذكرته مفصلاً في المطلب الأول من الفصل الثاني.[2]

وَقَوله: **(وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ)** أي إلا أن تسامحوا وتتساهلوا في قبوله وأخذه، والمعنى أن الحق لَو كان لكم على غَيْركُمْ، فجاء به رديئاً لا تأخذونه إِلَّا بتساهل و بإغماض فيه، فتعتقدون أَنكُمْ تركْتُم بعض حقكم وأغمضتم، واعلموا أن الله محمود الغنى، مستحقٌ للحمد يعطي عن غنى وسعة، وفيه إشارة إلى ان الغنى لغير الله مذموم. [3]

ويقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: ولا تقصدوا المال الرديء وتخصونه بالإنفاق، وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه، وقرأ قتادة: تغمضوا، على البناء للمفعول، بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه، وعن الحسن رضى اللَّه عنه: لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه. [4]

أما ابن الجوزي فقد فسر هذه الآية بقوله: (أي ولا تقصدوا الخبيث، وفي الخبيث قولان:

---

(1) موطأ الإمام مالك، كتاب الصدقة، باب الترغيب في الصدقة، (ج2/ص995)،ح(1)، قال الألباني صحيح.

(2) أنظر البحث ص 36.

(3) انظر: (تفسير القرآن)، السمعاني، ج1/ص272.

(4) انظر(: الكشاف)، ج1/ص314-315.

- أحدهما: أنه الرديء، قاله الأكثرون، وسبب الآية يدل عليه).
- والثاني: أنه الحرام، **وتؤيد الباحثة** القول الأول الذي بمعنى الرديء.

قوله تعالى: **(وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ)**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو كان بعضكم يطلب من بعض حقاً له، ثم قضاه ذلك، ولم يأخذه إلى أن يرى أنه قد أغمض عن بعض حقه، وقال ابن قتيبة: أصل هذا أن يصرف المرء بصره عن الشيء، ويغمضه، فسمي الترخص إغماضاً، وقال غيره: لما كان الرجل إذا رأى ما يكره أغمض عينيه، لئلا يرى جميع ما يكره جعل التجاوز والمساهلة في كل شيء إغماضاً، **(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ)**، قال الزجاج: لم يأمركم بالتصدق عن عوز، فهو حميد على ذلك، فأما «الحميد» فقال الخطابي[1] : هو بمعنى المحمود. [2]

وأما النسفي فقد قال: ولا تقصدوا المال الرديء و تخصونه بالإنفاق، ولا تيمموا الخبيث منفقين أي مقدرين النفقة، وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم، إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره، وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه.[3]

وقد ذكر الزحيلي في تفسيره للآية: يامن اتصفتم بالإيمان أنهاكم أن تقصدوا إلى الخبيث الرديء من أموالكم، فكيف يروق لكم أيها المؤمنون ان تتصدقوا بالخبيث الرديء، ولا ترضون ذلك لأنفسكم إلا أن تتساهلوا وتتسامحوا فيه تساهل من غض بصره عن شيء فلم ير العيب فيه، ولو كان لأحدكم حق أو دين، فجاءكم دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه، فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم؟!

واعلموا أن الله- وإن أمركم بالصدقات وبالطيب منها- فهو غني عنها وعن إنفاقكم، وغني عن جميع خلقه، وإنما يأمركم به لمنفعتكم، ليختبركم فيما تنفقون ، ولتحقيق المساواة بين الغني والفقير، ، فلا تتقربوا إليه بالرديء، وهو أيضاً مستحق للحمد والشكر على جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ونعمه، ويلاحظ أن الآيات التي تطالب المؤمنين بالإنفاق تختم غالباً إما بقوله تعالى: **(وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ)** أو بقوله: **(وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)** وذلك يرشدنا إلى أن النفقة جزء مما أنعم الله به

---

(1) الخطابي: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب أبو سليمان الخطابي البستي قيل أنه منسوب إلى جده خطاب، وقيل أنه خطاب أي إلى عمر بن الخطاب، كان فقيها أديباً محدثاً له التصانيف البديعة منها (غريب الحديث) وكتاب (شأن الدعاء) كان رأساً في علم العربية، والفقه، والأدب، وغير ذلك / 2- (طرح التثريب في شرح التقريب) أبو الفضل العراقي ج1/ص44 / (وفيات الأعيان) / أبو العباس الإدبلي ج2/ص214 / طبقات الشافعيين/ أبو الفداء إسماعيل القرشي البصري ج1/ص307

(2) انظر: (زاد المسير في علم التفسير)، ج1/ص241-242

(3) انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ج1/ص220

من رزق على العباد، وأنه تعالى سيجزيه بها ويضاعفها له أضعافاً كثيرة، ويرشدنا أيضاً إلى أن القصد هو اختبار الناس فهو لا يأمرهم بالصدقة حين العوز، وإنما حال السعة واليسر، فكل إنسان مكلف حسب طاقته وقدرته على الإنفاق، وهو سبحانه محمود على كل حال، وعلى جميع نعمه، ومقتضى الحمد والشكر تذكر المحتاج ومواساة الفقير والمسكين، ومما يرغب في النفقة أن اليد العليا– المنفقة– خير من اليد السفلى– الآخذة. (1)

ومما سبق يتبين **للباحثة** أنه لابد للمؤمنين في كل الأعصار والأمصار أن يتحروا الطيب في صدقاتهم، وأن يجودوا بأفضل ما جاد الله به عليهم، وأن يتجنبوا في إنفاقهم الخبيث الرديء، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ... ﴾ [آل عمران: 92] فلن تدركوا الجنة أيها المؤمنون إلا إذا تصدقتم بما هو محبب إلى نفوسكم، ومما لفت نظر **الباحثة** واسترعى اهتمامها أنه من خلال الاطلاع على أقوال المفسرين السابقة الذكر، لاسيما فاصلة الآية **(غَنِيٌّ حَمِيدٌ)**، برز لدى **الباحثة** إيحاء ومعنى يهز القلوب قبل العقول، وهو أن الله تبارك وتعالى غني عن عطاءات الناس، وإنما أمرهم بالبذل والإنفاق حتى يربى النفوس، ويحملها على الإحساس بغيرها، وحتى يتخلى الإنسان عن محبة الدنيا والتعلق بها، ويصل بنفسه إلى مرحلة يتخلى عما يحب من أجل ما عند الله جل وعلا من ثواب وعطاء وجزاء، فالله عزّ وجلّ (حميد) يتقبل الطيبات ويجازي جزاء الراضي الشاكر، فهو الرزاق الوهاب، أعطانا دون أن نسأله وأكرمنا بطيبات دنيوية لا تعد ولا تحصى، فكيف بنا نشح ونبخل ونعطي الرديء من أموالنا فأنى لنا بطيبات أخروية؟؟!!

المطلب الثاني: الأعمال الخبيثة

إن الإنسان إذا أغمض عينيه وقلبه عن اتباع شريعة الله التي اختارها الله له لصلاح حياته والتنعم بها، فإنه حتما سيقع في وحل الخبائث، ومثال ذلك قوم سيدنا لوط عليه السلام، حينما خالفوا فطرتهم التي فطرهم الله عليها، حينما خالفوا السجايا الحسنة المألوفة فرأوا الخير شراً، والشر خيراً، فأوغلوا في الفساد والضلال فكان عذاب ربنا لهم جزاءً وفاقاً، وذلك يتبين من خلال قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴾ [الأنبياء: 74]

يقول تعالى ذكره: وآتينا لوطاً حكماً وهو فصل القضاء بين الخصوم، وآتيناه أيضاً علماً بأمر دينه، وما يجب عليه لله من فرائضه، ونجيناه من عذابنا الذي أحللناه بأهل القرية التي كانت

(1) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، ج3/ص59–62.

تعمل الخبائث، وهي قرية سَدُوم[1] التي كان لوط بعث إلى أهلها، وكانت الخبائث التي يعملونها: إتيان الذكران في أدبارهم، وخَذْفهم[2] الناس، وتضارطهم في أنديتهم، مع أشياء أخرَ كانوا يعملونها من المنكر، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام، حتى لا يصيبه ما أصاب قومه، إنهم كانوا قوماً مخالفين لأوامر الله عزّ وجل، خارجين عن طاعته، وأدخلنا لوطاً في رحمتنا بإنجائنا إياه مما أحل بقومه من العذاب والبلاء وأنقذناه منه إنه من الصالحين: يقول: إنَّ لوطاً من الذين كانوا يعملون بطاعتنا، وينتهون إلى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا.[3]

وقد ذكر الإمام البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: أن الله تبارك وتعالى منح لوطاً حكمةً أو نبوةً أو فصلاً بين الخصوم، وعلماً كما ينبغي علمه للأنبياء، ونجيناه من قرية سدوم، التي كانت تعمل عمل قوم لوط وصفها الله بصفة أهلها، وأدخلناه في أهل رحمتنا أو جنتنا، إنه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى.[4]

ويقول الإمام النسفي في تفسيره للآية: ولوطا آتيناه حكمة وهي ما يجب فعله من العمل، أو فصلاً بين الخصوم أو نبوة، وَفقهاً، ونجيناه من أهل قريته، التي كانت تسمى سدوم، والتي كانت تعمل ألواناً شتى من الخبائث من لواطة وضراطه وقذف المارة بالحصى وغيرها، إنَّهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله.[5]

ومعنى الآية عند البقاعي: أي واذكر لوطاً؛ ثم استأنف قوله: {آتيناه} أي بعظمتنا {حكماً} أي نبوة وعملاً محكماً بالعلم، وعلماً مزيناً بالعمل، ونجيناه بانفرادنا بالعظمة من القرية المسماة سدوم، نجيناه من عذابهم وجميع شرورهم، حيث كانوا يأتون الفواحش فاستحقوا النار بما ارتكبوا من

---

(1) قرية سدوم: هي قرية قوم لوط عليه السلام المؤتفكة التي قلبها الله تعالى على أصحابها، وأخرج من كان فيها من المؤمنين وهي إحدى قرى (غور زغر) وكان أهلها كفاراً فجاراً، ويقال أن قاضيها يقال له سدوم، وهي عبارة عن خمس قريات وسدوم هي القرية العظمى وهي باقية إلى وقتنا هذا، خراب لا أنس فيها، والحجارة المسومة موجودة فيها،ويعتقد الكثير من الباحثين وعلماءالدين انها تقع في منطقة البحر الميت وغور الأردن. انظر (تفسير القرآن الكريم/ محمد إسماعيل المقدم)،ج14/ص24، دروس للشيخ سلمان العودة ج14/ ص24 (دعوة الرسل عليهم السلام) أحمد أحمد علوش ج1 / ص118 (المسالك والممالك) الأندلسي ج1 / ص111 (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) الأندلسي ج3 / ص729.

(2) الخذف: أَن يَأْخُذ الرجل الْحَصَاة أو النواة وَغَيرهَا بَين سبابته ثمَّ يعْتَمد باليمنى على الْيُسْرَى فيخذف بهما أي يرمي بها. انظر (العين) البصري، (جمهرة اللغة) الأزدي، (القاموس الفقهي لغة واصطلاحا) د.سعدي أبو حبيب.

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، الطبري، ج18/ص472-473.

(4) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ج4/ص56.

(5) انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ج2/ص413

شهوات محظورة اعتبروها قمة ملذاتهم، فهم قوم سوء بما اقترفوا من معاصي واجترحوا السيئات وبانهماكهم في الأعمال السيئة، إنهم كانوا بذلك قوماً فاسقين خارجين من كل خير، ثم زاد الأمر وضوحاً بقوله: (وأدخلناه) أي دونهم بعظمتنا (في رحمتنا) أي في الأحوال السنية، والأقوال العلية، والأفعال الزكية، التي هي سبب الرحمة العظمى، ثم علل ذلك بقوله: (إنه من الصالحين)أي لما جبلناه عليه من الخير.[1]

وقال الشيخ علوان في تفسيره: "ولوطا آتيناه من كمال فضلنا، وجودنا معه حكماً قطعاً للخصومات وفصلاً للخطوب والمهمات، وعلماً، لدنيا متعلقاً بسرائر الأمور، ورموزها وإشاراتها الدالة على وحدة الصانع الحكيم، وعلى سريان هويته الذاتية على صفائح عموم ما ظهر وبطن، ومن كمال فضلنا إياه قد نجيناه من فتنة القرية التي قد كانت أهلها تعمل الخبائث، والفعال الشنيعة والخصال الخسيسة الخبيثة المذمومة عقلاً وشرعاً وعرفاً وعادة، المسقطة للمروءة بالمرة، ألا وهي التعري بين أظهر الناس وعمل قوم لوط والضراط على الملأ، وبالجملة إنهم من غاية قسوتهم وغفلتهم كانوا قوم سوء فاسقين مغمورين بين أنواع الفسوق منغمسين بأصناف المعاصي والآثام، وبعد ما انتقمنا منهم وأهلكناهم بأشد العذاب قد أدخلناه ومن معه ممن سبقت لهم منا الحسنى في حوزة رحمتنا وكنف حفظنا وجوارنا إنه من الصالحين لعبادتنا المقبولين في حضرتنا"[2]

ويقول الإمام السعدي في تفسيره: "هذا ثناء من الله على رسوله (لوط) عليه السلام بالعلم الشرعي، والحكم بين الناس، بالصواب والسداد، وأن الله أرسله إلى قومه، يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عما هم عليه من الفواحش، فلبث يدعوهم، فلم يستجيبوا له، فقلب الله عليهم ديارهم وعذبهم عن آخرهم لأنهم **(قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ)** كذبوا الداعي، وتوعدوه بالإخراج، ونجى الله لوطاً وأهله، فأمره أن يسري بهم ليلاً ليبعدوا عن القرية، فسروا ونجوا، من فضل الله عليهم ومنته.

(وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا) التي من دخلها، كان من الآمنين، من جميع المخاوف، النائلين كل خير وسعادة، وبر، وسرور وثناء، وذلك لأنه من الصالحين، الذين صلحت أعمالهم وزكت أحوالهم، وأصلح الله فاسدهم، والصلاح هو السبب لدخول العبد برحمة الله، كما أن الفساد سبب لحرمانه الرحمة والخير، وأعظم الناس صلاحاً الأنبياء عليهم السلام ولهذا يصفهم بالصلاح، وقال سليمان عليه السلام: ﴿ ... وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة النمل:19]"[3]

(1) انظر: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ج12/ص450-451
(2) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ج1/538-539
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1/ص527.

أخيراً .. بعد تقليب الفكر وإمعان النظر ترى **الباحثة** أن الجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً، وأنه في كل زمان ومكان السفه والطيش والخبث موجود لاسيما إذا ابتعد الناس عن دينهم وتخلوا عنه، وزهدوا في سنة حبيبنا المصطفى ﷺ.

فإذا ما حدقنا البصر فسنرى نماذج للأسف ألهاها اتباع الهوى، مع البعد كل البعد عن التمسك بالكتاب والسنة، فإذا ما نظرنا من حولنا فسنجد الشباب الذين يلبسون الملابس الضيقة التي تخدش الحياء، وعلى الجانب الآخر سنجد أيضاً بعضاً من النساء رؤوسهن كأسنمة البخت، وفي ذلك يقول المصطفى محمد ﷺ **(صنفان من أهل النار لم أرهما رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها)** [1] وهذا وعيد عظيم يجب الحذر مما دل عليه معنى الحديث.

وفي غمرة الحديث عن الأعمال الخبيثة، لابد أن أشير إلى الأعمال الطيبة الصالحة، فالأشياء تعرف بضدها، لذلك لابد من الحرص عليها ومداومتها لما لها من ثمرات كثيرة في الدنيا والآخرة، يقول تعالى ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: 97]. فلا سعادة للمرء إلا إذا حرص على أداء العبادة على الوجه الذي يرتضيه ربه، فالله تعالى بعظمته وحكمته ما خلقنا إلا لأجل عبادته، فالبدار البدار والمسارعة المسارعة إلى طلب رضا الله تعالى قبل أن يأتي أي عائق أو مانع يحول دون ذلك، وقد قال ﷺ **(اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ، شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)**[2]

المطلب الثالث: البلد الخبيث

الخبيث من الأراضي لا يخرج إلا نباتاً لا نفع فيه ولا بركة، في حين أن الطيب منها لا يخرج إلا نباتاً طيباً مباركاً ،وكانت الباحثة قد تناولت في المطلب الثامن من الفصل الثاني الحديث عن البلد الطيب وفي هذا المطلب ستتحدث عن البلد الخبيث، وقد ورد ذكره في آيات القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:﴿ **وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ** ﴾ [الأعراف: 58]

---

(1) صحيح مسلم،كتاب اللباس والزينة،باب النساء الكاسيات العاريات،(ج3/ص1680)، رقم الحديث(1218)

(2) مصنف ابن أبي شيبة،كتاب الزهد ،ماذكر عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الزهد،(ج7/ص77)،رقم الحديث(34319)،قال الألباني صحيح.

والبلد الذي خبث ترابه وأصله لا يخرج نباته إلا عسراً مبطئاً وهو مثل الكافر الذي يسمع القرآن ولا يؤثر فيه أثراً محموداً، كالبلد الخبيث لا يؤثر فيه المطر، كذلك نبين الآيات لقوم يشكرون نعم الله ويطيعونه. (1)

يقول العز بن عبدالسلام في تفسيره، قال بعض أرباب القلوب :الذي خبث من القلوب لا يخرج إلا نكداً بالكفر والمعاصي، والجمهور على أنه من بلاد الأرض الطيب التربة والرخيص السعر، أو الكثير من العلماء، أو العادل سلطانه.

ضرب الله تعالى الأرض الخبيثة مثلا للكافر، يخرج ثماره ونباته وزرعه بلا كد على قول التربة بأمر ربه، والذي خبث في تربته، أو بغلاء أسعاره، أو بجور سلطانه، أو قلة علمائه فلا ينتفع به، لشدة تعسره فلا خير فيه. (2)

أما الإمام البيضاوي فيقول: والبلد الذي خبث كالأرض الحرة والسبخة، لا يخرج إلا نكداً قليلاً لا منفعة فيه، كذلك نصرف الآيات نكررها ونرددها، لقوم يشكرون نعمة الله فيعتبرون بها ويتفكرون فيها، وتعتبر هذه الآية مثل لمن تدبر الآيات الكثيرة التي تملأ القرآن عبراً وأمثالاً حتى ينتفع بها قارؤها، ومن لم ينتفع بها ولم يتدبر ولم يتأثر بها فالخسران حليفه (3)

ويقول النسفي في تفسيره للآية: (والذي خبث) صفة للبلد، أي والبلد الخبيث لا يخرج نباته، إلا نكداً وهذا مثل للكافر، وهذه الآية تعتبر مثلاً واضحاً على تأثر الأرض حين نزول المطر عليها، فالبلد الميت لا يتأثر بنزول المطر عليه ولا يستفيد منه، وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد، ونكرر ونردد هذه الآيات ليتفكر بها المؤمنون ويعتبروا بها. (4)

وكذلك يقول ابن قيم الجوزية : "شبه سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء على القلوب بالماء الذي أنزله على الأرض، لحصول الحياة بهذا وهذا، وشبه القلوب بالأرض، إذ هي محل الأعمال، كما أن الأرض محل النبات، وأن القلب الذي لا ينتفع بالوحي، ولا يزكو عليه، ولا يؤمن به كالأرض التي لا تنتفع بالمطر، ولا تخرج نباتها به إلا قليلاً، لا ينفع، وأن القلب الذي آمن بالوحي وزكا عليه، وعمل بما فيه كالأرض التي أخرجت نباتها بالمطر، فالمؤمن إذا سمع القرآن وعقله، وتدبره بان أثره عليه، فشبه بالبلد الطيب الذي يمرح ويخصب، ويحسن أثر المطر عليه، فينبت من كل زوج كريم، والمعرض عن الوحي عكسه." (5)

---

(1) انظر (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، الواحدي، ج1/ص398
(2) انظر (تفسير القرآن)، ج1/ص487
(3) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ج3/ص17
(4) انظر: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ج1/ص575
(5) تفسير القرآن الكريم، ج1/ص287

ويقول البقاعي: عندما كان الموت موتتين حسياً ومعنوياً كما ذكر في سورة الأنعام ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنعام: 36] وكذلك قول الله: ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ...** ﴾ [الأنعام: 122] كان كأنه قيل: لا فرق في ذلك بين أموات الإيمان وأموات الأبدان، فكما أنا فاوتنا بين جواهر الأراضي بخلق بعضها جيداً وبعضها رديئاً كذلك فاوتنا بين عناصر الأناسي بجعل بعضها طيباً وبعضها خبيثاً، فالجيد العنصر يسهل إيمانه، والخبيث الأصل يعسر إذعانه وتبعد استقامته وإيقانه، والخبيث لا يخرج له نبات أصلاً بمنع ربه له {والذي خبث وحصلت له خباثة في جبلته بكون أرضه سبخة أو نحوها مما لا يهيئه الله تعالى للإنبات، لا يخرج نباته إلا نكداً قليلاً ضعيف المنفعة. [1]

وقد ذكر الشيخ علوان في تفسيره للآية: " البلد الَّذِي خَبُثَ طينته وقلت قابليته كالحرة والسبخة لا يَخْرُجُ نباته بعد اجراء المياه اللطيفة عليه إِلَّا نَكِداً قليلا غير نافع بل ضار مؤلم كالنفوس المنهمكة في الغي والضلال الى حيث لا يؤثر فيها مياه الحكم والمعارف الجارية على السنة الرسل لخباثة طينتها وقلة قابليتها كَذلِكَ نُصَرِّفُ نردد ونكرر الْآياتِ الدالة على استقلالنا في ملكنا وملكوتنا لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ بنعمائنا ويتفكرون في آلائنا ويعتبرون بها إلى إن يستغرقوا في مطالعة جمالنا ثم أشار سبحانه الى تفاوت الاستعدادات واختلاف القابليات بتفصيل الأمم الهالكة بموت الجهل والعناد وخبث طينتهم وردائة فطرتهم". [2]

المطلب الرابع: الكلمة الخبيثة والشجرة الخبيثة

الكلمة الخبيثة كلمة سيئة تسيئ إلى صاحبها، وتضر كل من يسمع لها، مسمومة خبيثة لا نفع فيها، فهي كالشجرة الخبيثة أصلها غير ثابت، ومذاقها مر كالحنظل، وشكلها لا يسر الناظرين إليها، وعن ذلك ضرب الله لنا الأمثال كي نتدبرها ونتأملها جيداً، ونعمل بمقتضاها وفي ذلك يقول رب الأرض والسماوات: ﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾[ابراهيم:26] الشجرة الخبيثة بمثابة الجهل بالله، وهو أول الآفات وعنوان المخافات ورأس الشقاوات، وقد شبهها الله تبارك وتعالى بشجرة موصوفة بثلاث صفات:

(1) انظر: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ج4/ص423
(2) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ج1/ص253

الصفة الأولى: أن هذه الشجرة خبيثة، وقيل إنها الكراث، وقيل إنها شجرة الحنظل لكثرة ما فيها من المضار، وقيل إنها شجرة الشوك، ولا بد أن نعلم ان هذه التفصيلات لا حاجة إليها، فإن الشجرة قد تكون خبيثة بحسب الرائحة، وقد تكون بحسب الصورة والمنظر، وقد تكون بحسب اشتمالها على المضار الكثيرة، وقد تكون بحسب طعمها، والشجرة الجامعة لكل هذه الأوصاف وإن لم تكن موجودة، إلا أنها كانت معلومة الصفات وكان التشبيه بها نافعاً يوضح المعنى المراد.

والصفة الثانية : تتمثل في قوله **(اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ)**، وهذه الصفة في مقابل قوله **(أَصْلُهَا ثَابِتٌ)**، ومعنى اجتثت استؤصلت، وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها، **(مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ)** أي ليس لها أصل ولا عرق، وكذلك الشرك بالله تعالى لا ثبات ولا قوة ولا حجة راسخة له.

والصفة الثالثة :تتمثل في قوله**(مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)** وهي متممة للصفة الثانية مؤكدة لها، والمعنى أنه ليس لها استقرار وثبات بل هي داحضة لا رسوخ لها.

ويعتبر هذا التمثيل في توصيف هذه الشجرة غاية في الكمال، وذلك لأن الله تعالى بين المضار الكثيرة لهذه الشجرة، وخلوها عن كل المنافع، أما كونها موصوفة بالمضار فإليه الإشارة بقوله (خبيثة)، وأما كونها خالية عن المنافع فإليه الإشارة بقوله **(اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)** .[1]

ويقول الإمام البيضاوي في تفسيره للآية :ومثل كلمة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت واستؤصلت، ونزعت جثتها بالكلية من فوق الأرض لان عروقها قريبة منه، مالها من مستقر في الأرض، واختلف في المراد من الكلمة والشجرة الخبيثة، فحينما فسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد والدعوة إلى الإسلام والقرآن، إذن فالكلمة الخبيثة هي الشرك بالله تعالى، والدعاء إلى الكفر وتكذيب الحق، ولعل المراد الحقيقي بهما ما يعم ذلك وأكثر، فالكلمة الطيبة ما أعربت عن حق ودعت إلى صلاح، بينما الكلمة الخبيثة ما كانت خلاف ذلك، ولما كانت الشجرة الطيبة هي النخلة او شجرة في الجنة، فإن الشجرة الخبيثة هي الحنظل والكشوت.[2]

وقال النيسابوري في معنى الآية: مادام أنه اتضح المراد من الكلمة الطيبة، فقد عرفت نقيضها وهي الكلمة الخبيثة، فالكلمة الخبيثة كلمة الشرك أو كل كلمة قبيحة أو كل نفس شريرة، والشجرة الخبيثة الباطل، أو كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والثوم ونحو ذلك، ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها، ما لَها مِنْ قَرارٍ أي من استقرار، وعن قتادة أنه

(1) انظر:(مفاتح الغيب)، الرازي، ج19/ص93

(2) انظر:(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ج3/ص198

قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة ؟ فقال: ما أعلم لها في الأرض مستقراً ولا في السماء مصعداً إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها القيامة، قلت: وذلك أن الباطل لا قائل به ولا يوافقه فيه من هو بصدد الاعتبار فهو مضمحل زائل، والحق نقيض ذلك بل الباطل لا يستقر صاحبه عليه ولا يحصل له منه برد اليقين، وكذا النفس الخبيثة لا تكون لها طمأنينة ولا وقار، تراها أبداً تسعى في الطرق المضلة والسبل المنحرفة كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران.[1]

وتميل **الباحثة** إلى ما ذهب إليه قتادة في المراد من الكلمة الخبيثة، وهي تلك الكلمة التى لا تنفك عن قائلها ويوصم بها، وتبقى ملازمة له، فهي عنوانه وهو عنوان لها، وكذلك النفس الخبيثة التي تعمل الخبائث لا سعادة ولا استقرار ولا طمأنينة تصاحبها، بل هي عنوان للشك والاضطراب والزعزعة وعدم الثقة واليقين.

وقد ذكر المظهري في تفسيره: إن الظاهر من المعنى المراد للكلمة الخبيثة هي النفاق بدليل قوله تعالى: **(كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ)** لا نفع منها ولا فائدة، وانتزعت واقتلعت من فوق الأرض لكونها غير مستقرة فعروقها قريبة من سطح الأرض، وعن المراد من الشجرة الخبيثة قال أنس بن مالك رضي الله عنه: هى الشربانة – قيل لأنس ما الشربانة قال الحنظلة، قلت الظاهر إن الشجرة الطيبة تعم النخلة وغيرها وكذا الخبيثة تعم الحنظلة وغيرها.[2]

وتؤيد الباحثة ما ذهب إليه المظهري في تفسيره بأن ما ورد في الحديث هو على سبيل التمثيل، فالشجرة الخبيثة تعم الحنظل وغيرها مما يترك طعماً وأثراً خبيثاً، لا خير فيه ولا نفع.

وقيل في تفسير هذه الآية كذلك: أن المراد بالشجرة الخبيثة هي الحنظل، وجملة **(اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ)** صفة لشجرة خبيثة لان الناس لايتركونها تلتف على الأشجار فتقتلها، ومن فوق الأرض تصوير لاجتثت، وهذا مقابل قوله في صفة الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، و**(مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)** تأكيد لمعنى الاجتثاث ،لأنه مستمد من انعدام القرار، والأظهر أن المراد بالكلمة الخبيثة أهل الشرك وعقائدهم الباطلة .[3]

ويقول الماوردي في تفسيره: وسبب نزول هذه الآية ما روي عن النبي ﷺ لما وصف مساءَلة منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر: يا رسول الله أيكون معي عقلي:؟ قال: (نعم) قال. كُفيت إذن، فأنزل الله تعالى هذه الآية، أما قوله عز وجل: {ومثل كلمة خبيثة } فيها قولان:

(1) انظر:(غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، ج4/ ص192
(2) انظر:(التفسير المظهري)، ج5/ص268.
(3) انظر:(التحرير والتنوير)، ابن عاشور، ج13/ص225.

أحدهما: أنها الكفر، الثاني: أنها الكافر نفسه، وترى **الباحثة** أن كلى المذكورين يؤديان إلى المعنى نفسه سواء الكفر أو صاحبه . من يقع في الكفر. فكلاهما معنيان متلازمان.

(كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) فيها ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها شجرة الحنظل ، قاله أنس بن مالك، الثاني: أنها شجرة لم تخلف ، قاله ابن عباس، الثالث: أنها الكشوت، وتؤكد **الباحثة** على ما تبنته سابقا فيما ذهب إليه المظهري من أن المراد ضرب المثل، فلا خلاف حول المراد من الشجرة سواء كانت الحنظل، أم الكشوت، أم غيرها، فالأهم من ذلك أن الأمر كان واضحاً لدى الصحابة رضوان الله عليهم حينما ذكر لهم الرسول ﷺ الآية.

(مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) فيه وجهان: أحدهما: ما لها من أصل، الثاني: ما لها من ثبات، وتقول **الباحثة إن** الذي ليس له قرار فلا أصل ولا ثبات ولا مستقر ولا مكان إقامة له، فكلها تؤدي إلى معنى واحد وهو أنه لا رسوخ ولا ثبات للباطل، فالباطل ينمو وينتفش لكن سرعان ما يزول.

(اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ) أي اقتلعت من أصلها ، وتشبيه الكلمة الخبيثة بهذه الشجرة التي ليس لها أصل يبقى، ولا ثمر يجتنى، فيه دليل على أن الكافر ليس له عمل في الأرض يبقى ، ولا ذكر في السماء يرقى.[1]

واستكمالاً للمعاني السابقة، تضيف الباحثة الحديث عن أثر الكلمة الخبيثة على جسم الإنسان وذلك من خلال نظرية لعالم روسي هو البروفيسور جينادي شورين، رئيس مركز سلامة البيئة والبقاء في موسكو، والدراسة أو النظرية التي خرج بها العالم الروسي تقول: إن الكلمات غير المؤدبة التي تستخدم في الحديث اليومي، كالشتائم والسباب والكلمات التي تنطوي على تحقير للآخرين تربك الكثير من العمليات الحيوية داخل الجسم، وتضر قائلها أكثر مما تضر الشخص الموجهة إليه، والكلمات الإباحية التي تحتوي على عبارات عاطفية مكشوفة تؤدي إلى العجز بالنسبة للرجال، أما بالنسبة للنساء فإنها تخفض نسبة الهرمونات الأنثوية في أجسامهن، وترفع نسبة الهرمونات الذكورية وتجعلهن أقرب شبهاً بالرجال، ولكن، كيف تؤثر الكلمات التي نستخدمها في حياتنا اليومية في أجسامنا وفي غددنا التي تفرز الهرمونات؟

يلاحظ البروفيسور أن كل الأديان، دون استثناء، تحث على استخدام الكلام الطيب والابتعاد عن الكلام البذيء الذي يخدش الحياء، وكل فلاسفة الأخلاق منذ فجر التاريخ يفعلون ذلك، وقد سمع البروفيسور من بعض المسلمين في إدارته أن القرآن الكريم شبه الكلمات الطيبة " كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها " وأن الكلمة الخبيثة " كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار" فخطر له أن الكلمات البذيئة، أو الخبيثة، تؤثر في النبات

(1) انظر:(النكت والعيون)، ج3/ ص134-135.

أيضاً وتجعله يؤتي أكله بإذن ربه، أو تجتثه من فوق الأرض، فأجرى تجربة عملية فريدة، بالتعاون مع عدد كبير من زملائه العلماء في إدارة البيئة، فقد وضع كمية من الماء (وأثبت العلماء الروس أن للماء ذاكرة) في دورق كبير، ثم بدأ العلماء جميعا يرددون الكلمات الخبيثة فوق الدورق، ثم سقوا مجموعة من البذور من الماء، وبعد ذلك أحضروا دورقا آخر، و رددوا فوقه كلمات أقل خبثا وأقل خدشا للحياء، وسقوا به مجموعة أخرى من البذور، وسقوا مجموعة ضابطة من البذور بماء عادي "لم يردد فيه" أي كلمات نابية، و فوجىء العلماء أن البذور التي سقيت بالماء الذي ردد عليه الكلام الخبيث أثمرت بنسبة 34% فقط، والبذور التي سقيت بالماء الذي ردد عليه كلمات أقل خبثا أثمرت بنسبة 56%، والبذور التي سقيت بالماء الذي لم يردد عليه شيئا أثمرت بنسبة 94% . وفي المقال الذي نشرته " البرافدا" قال البروفيسور جينادي شورين: يصعب تصور التحولات التي يخضع لها جسم الإنسان عندما نستخدم عبارات بذيئة وخبيثة في كلامنا .

ويقول البروفيسور جينادي: إن الكلمات التي نستخدمها تحتوي على خاصية تشبه السحر، ولذلك نشعر بالارتياح عندما نسمع كلمة "وردة " مثلاً، ونشعر بالضيق عندما نسمع كلمة "شوكة " هذا الإحساس الذي نحس به يطلق سلسلة من التفاعلات داخل أجسامنا ليس لها أول ولا آخر، ويضيف إن الكلمات الخبيثة هي الرصاصة الأخيرة في مسدساتنا، ولذلك ينبغي أن نستخدمها في وقت الأزمات فقط، كالحروب مثلا، حيث يشوش هذا النوع من الكلمات على الأعداء.[1]

وتخلص **الباحثة** إلى أن الكلمة أدب وفن وذوق، وأن ما ينطق به المرء قد يرفعه عالياً ويجعله يستحق كل احترام وتقدير أو يهوي به إلى أسفل سافلين، كما أن الكلمة الخبيثة تربي في داخل النفوس التنافر والحقد والتباغض والغل وزيادة الشحناء بين الناس، مما يتيح للشيطان الفرصة الكبيرة لإثارة الفتن ونشر العداء بين العباد، لذلك كان لزاماً على المسلمين أن يتوخوا الحذر في اختيار كلماتهم، وأن يضمنوا عبارتهم أرقى الكلمات وأطيبها فذلك يعبر عن فكر سامي مهذب وعن أمة شامة بين الأمم في أخلاقها ورقيها .

(1) انظر: الشبكة العنكبوتية http://www.bytocom.com/vb/showthread.php?t=39473

المبحث الثاني
نظرات قرآنية إلى الخبائث والطيبات

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول: التمييز بين الخبيث والطيب

المطلب الثاني: حل الطيبات وتحريم الخبائث

المطلب الثالث: النهي عن تبديل الخبيث بالطيب

المطلب الرابع: لا يستوي الخبيث والطيب

المطلب الخامس: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات

المطلب السادس: الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات

المبحث الثاني
نظرات قرآنية إلى الخبائث والطيبات

المطلب الأول: التمييز بين الخبيث والطيب

لما كانت نفوس المسلمين ترنو إلى الجنة، كان لزاماً أن يختبر الله المؤمنين حتى يميز الله الخبيث من الطيب وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ... ﴾ [آل عمران: 179]

لابد أن يعقد سبباً من المحنة، يظهر فيه وليه، ويفتضح فيه عدوه، يعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر، ويعني بذلك يوم أحد الذي امتحن الله تعالى به قلوب المؤمنين وكشف عن إيمانهم الصادق، فظهر جلياً إيمانهم وجلَدهم وصبرهم وثباتهم، وطاعتهم لله عزّ وجلّ ورسوله الكريم محمد ﷺ، وهتك ستر المنافقين، وكشف النقاب عن خيانتهم وخبثهم ومخالفتهم لله ولرسوله ﷺ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

قال مجاهد: [1] ميز بينهم يوم أحد، وقال قتادة [2] ميز بينهم بالجهاد والهجرة، وقال السدي قالوا: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا عمن يؤمن به منا ومن يكفر، فأنزل الله الآية. [3]

يقول أبو السعود في تفسيره للآية: غاية ما يفيده النفيُ المذكورُ، كأنَّه قيلَ ما يتركهم الله تعالى على ذلك الاختلاطِ بل يقدِّر الأمورَ ويرتب الأسبابَ، حتى يعزّلَ المنافقَ من المؤمن، وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيلٌ على كل منهما بما يليق به وإشعار بعلة الحكمِ، وإفراد الخبيث والطيب مع تعدد ما أريد بكل منهما وتكثره لا سيما بعد ذكرِ ما أريد بأحدهما، للإيذان بأن

---

(1) مجاهد: هو مجاهد بن جبر المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، أخذ تفسير القرآن عن ابن عباس وقال الذهبي في الميزان: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به، وهو من الطبقة الثانية من تابعي مكة وفقهائها وقرائها والمشهورين بها، وأحد الأعلام المعروفين،توفي عام104هـ (جامع الأصول في أحاديث الرسول) / 1- ابن الأثير 865/12 قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، 2- مناع القطان تاريخ الإسلامي ج315/1، موسوعة التفسير قبل عهد التدوين / محمد الحاجي (ج1/ص279) أصول في التفسير / محمد بن صالح العثيمين ج1/ص38.

(2) قتادة: أبو الخطاب بن دعانة بن قتادة بن عزيز بن عمر بن ربيعة بن الحارث بن سدوس، حافظ قال عنه الإمام أحمد: قتادة أحفظ أهل البصرة، مات بواسطة الطاعون سنة 118هـ (أهل الفترة ومن في حكمهم) موفق أحمد شكري ج1 / ص61 (الأسامي والكنى) أبو أحمد الحاكم ج4/ص291، ومن أسمائه قحافة وقتادة وقدامة، (لسان الميزان) أبو الفضل العسقلاني. (ج7/ص341)

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير، ج2/ص173.

مدارَ إفرازِ أحدِ الفريقين من الآخر هو اتصافُهما بوصفهما لا خصوصيةُ ذاتِهما وتعددُ آحادِهما، وتعليقُ المَيْزِ بالخبيث المعبَّرِ به عن المنافق مع أن المتبادرَ مما سبق من عدم تركِ المؤمنين على الاختلاطِ تعليقه بهم وإفرازُهم عن المنافقين لما أن المَيْزَ الواقع بين الفريقين إنما بالتصرف في المنافقين وتغييرِهم من حال إلى حال مغايرةٍ للأولى مع بقاء المؤمنين على ما كانُوا عليهِ من أصل الإيمانِ. (1)

أما الإمام السعدي فيقول: لم يكن في حكمة الله أن يترك المؤمنين على ما هم عليه من اللبس والاختلاط وعدم التميز حتى يميز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، ولم يكن في حكمته أيضاً أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده، فاقتضت حكمته الباهرة أن يبتلي عباده، ويفتنهم بما يتميز به الخبيث من الطيب، من أنواع الابتلاء والامتحان، فأرسل الله ﷻ رسله، وأمر بالتزام أوامرهم، واتباع شريعتهم، والانقياد لهم، والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم، فانقسم الناس بحسب اتباعهم للرسل إلى قسمين: مطيعين وعاصين، ومؤمنين ومنافقين، ومسلمين وكافرين، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله، وحكمته لخلقه. (2)

وقيل في تفسير هذه الآية: ما كان الله ليَدَعَكم أيها المصدقون بالله ورسوله، المؤمنون بما أنزل الله، السائرون على خطى الحبيب محمد ﷺ، العاملون بشرعه على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق، حتى يَمِيزَ الخبيث من الطيب، فيُعرف المنافق من المؤمن الصادق، وما كان مِن حكمة الله أن يطلعكم –أيها المؤمنون– على الغيب الذي يعلمه من عباده، فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق، ولكنه يميزهم ويمحصهم بالمحن والابتلاء. (3)

ومعنى هذه الآية عند الزحيلي: أن الله تعالى يبين من خلال المحن والشدائد أصناف الناس، فبها يظهر صدق الإيمان، ولذلك لابد أن يعقد شيئاً من الابتلاء والاختبار حتى يظهر فيه وليه، ويكشف الستار عن عدوه، فلا يترك الناس على مثل حالتهم يوم أحد، حتى يميز المؤمن من المنافق، ويعرف المؤمن الصابر والمنافق الفاجر، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد 31].

(1) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ج2/ص119
(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ج1/ص158.
(3) انظر: (التفسير الميسر)، نخبة من أساتذة التفسير، ج1/ص73

يقصد به أن يوم أحد كان اختباراً امتحن الله به المؤمنين، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلّدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ، وهتك به ستار المنافقين، فظهرت مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد، وخيانتهم لله ولرسوله ﷺ، وقد يفكر بعض الناس أن تمييز المؤمن الصادق من المنافق يحدث بالوحي وبأن يطلع الله المؤمنين على الغيب، فأجاب الله تعالى: لم يكن من شأنه تعالى أن يطلع عامة الناس على الغيب، وإنما خلق الإنسان وقدر له أن يصل إلى مراده بعمله الكسبي الذي ترشد إليه الفطرة ويهدي إليه الدين وتدل عليه النبوة، فهو تعالى يختار من رسله من يشاء، ويطلعه على بعض المغيبات، كما قال الله سبحانه :﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن :26- 27] ثم يخبر الرسول بعض الناس بنفاق رجل وإخلاص آخر، فيكون مصدر ذلك الخبر هو اطلاع الله على كفر أناس وإيمانهم، لا أنه يطلعه على ما في القلوب اطلاع الله، ثم يترك الناس لتمييز المؤمن منهم والمنافق بواسطة الأسباب الكاشفة عن ذلك. (1)

وأخيراً يقول مكي بن طالب القيسي في تفسيره:" معناها: إن الله تعالى ذكره أخبرهم أنه لم يكن ليدع المؤمن ملتبساً بالمنافق وما يعرف بعضهم بعضاً، ولكن ميزهم يوم أحد فعرف نفاق من رجع، وإيمان من ثبت فالخبيث المنافق والطيب المؤمن، وقيل المعنى: يميز المؤمن من الكافر، وقيل: يميزهم بالهجرة فيعلم المؤمن من الكافر، قال السدي: قالوا إن كان محمد صادقاً، فليخبرنا بمن يؤمن منا ممَن يكفر به، وقيل المعنى: حتى يميزهم بالفرائض ولا يدعهم على الإقرار فقط." (2)

وترى الباحثة أن المراد بقوله: ﴿**حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ أي حتى يميز الله المؤمن من المنافق، لأنه بالنظر إلى السيرة النبوية، والاطلاع على أحداث غزوة احد وتفاصيلها والتي يدور حولها سياق الآية، يتبين أن المراد بالخبيث هو المنافق الذي أبطن كفره ونفاقه وأظهر حبه واتباعه لشرع الله ولسنة نبينا المصطفى ﷺ، فجاءت هذه الغزوة لتكشف الستار عن هؤلاء المنافقين، وتفتضح أمرهم ونكولهم عن الجهاد في سبيل الله.

(1) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، ج4/ص178-179
(2) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، ج2/ص1187

لم ينته السياق القرآني في فضح المنافقين والتميز بينهم وبين المؤمنين، فتأمل معي قوله تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال: 37]

يحشر الله الذين كفروا بربهم من قريش وغيرها، وأنفقوا اموالهم لقتال رسول الله ﷺ، وللصدّ عن سبيل الله، إلى جهنم، حتى يفرق بينهم وهم أهل الخبث، كما قال وسماهم "الخبيث"، وبين المؤمنين بالله وبرسوله، وهم "الطيبون"، كما سماهم جل ثناؤه. فميَّز جل ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الإيمان به وبرسوله جناته، وأنزل أهل الكفر نارَه وبئس المصير. (1)

وفي هذه الآية ذهب الزمخشري في تفسيره إلى القول: بأن مصير الكافرين الذين كانت غايتهم ومقصدهم الصدّ عن اتباع محمد وهو سبيل الله، إلى جهنم يحشرون.

لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه، ليميز الله الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين، فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا حتى يتراكبوا، كقوله تعالى: ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ يعنى لفرط ازدحامهم، وقيل: ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله ﷺ، من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبى بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم من جملة ما يعذبون به، كقوله ﴿**فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ**﴾. (2)(التوبة:35)

وقال ابن الجوزي في تفسيره: "وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: ليميز أهل السعادة من أهل الشقاء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال السدي، ومقاتل: يميز المؤمن من الكافر، والثاني: ليميِّز العمل الطيب من العمل الخبيث، قاله ابن عباس، والثالث: ليميز الإنفاق الطيب في سبيله، من الانفاق الخبيث في سبيل الشيطان، قاله ابن زيد، والزجاج". (3)

أما البقاعي فيقول: إن الله ﷻ الذي له صفات الكمال والجلال، جعل للكفار داراً تخصهم ويخصونها، لإظهار العدل والفضل بأن ميز الكافر من المؤمن، فجعل لكل منهما مكاناً حتى يتميز به عن غيره، فجعل الطيب في مكان رحب واسع حسن، وجعل الخبيث أي الكافر في دار الضيق والغم والهم بعضهم فوق بعض. (4)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، الطبري، ج13/ص534
(2) انظر: (الكشاف)، ج2/ص218.
(3) زاد المسير في علم التفسير، ج2/ص210
(4) انظر: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، ج8/ص278-279.

ويقول أبو السعود في تفسيره: ليميز الله ﷻ الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح، أو ما أنفقه المشركون للصد عن دعوة محمد ﷺ ولأجل عدائه، مما أنفقه المسلمون لأجل نصرته ﷺ، ويضم الكافرين بعضهم إلى بعض، أو يضم ما أنفقوه حتى يزيد عذابهم في جهنم، أولئك هم الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم. (1)

أما الجزائري فقد ذكر في تفسيره: ليميز كل صنف من الصنف الأخر، أهل الخبائث الذين هم اهل الشرك والمعاصي، عن أهل التوحيد والأعمال الصالحة فسيعبرون الصراط إلى الجنة دار النعيم، وأما أهل الخبائث وهم فريق المشركين، فسيجعلهم الله بعضهم إلى بعض فيركمهم جميعاً كوماً واحداً فيجعلهم في جهنم، وقوله تعالى ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ**﴾ إشارة إلى الذين أنفقوا أموالهم للصد عن سبيل الله، وماتوا على كفرهم، فحشروا إلى جهنم، وجعل بعضهم إلى بعض، ثم صيروا كوماً واحداً، ثم جعلوا في نار جهنم هم الخاسرون، حيث خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم وكل شيء وأمسوا في قعر جهنم مبلسين والعياذ بالله من الخسران المبين. (2)

ويترجح لدى الباحثة أن المراد من قوله ﴿لِيَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، ليميز المؤمن السعيد في حياته، المنفق لماله في سبيل الله وفي سبيل ارضائه، من الكافر الشقي التعيس في حياته الذي ينفق أمواله ليصد عن سبيل الله.

وجملة القول: إن الإنسان الطيب هو ذاك المؤمن الذي لا يرجو إلا رضا الله عزّ وجلّ ويخشى عذابه، يحب للمسلمين مايحبه لنفسه، والخبيث من الناس من حرم لذة الإيمان وحلاوة التقرب من الله، لا يرجو ثواباً، قلبه ممتلئ بالحقد والغل والكفر خبيث الخلق والطباع، بهذا وغيره يتميز الطيب والخبيث من الناس.

المطلب الثاني: حل الطيبات وتحريم الخبائث

الأصل في الإنسان المسلم أن يأتمر بما أمره الله به، وينتهي عما نهاه الله عنه ومن كرم الله عزَّ وجل علينا أن أحل لنا كل ما كان طيباً وكان فيه النفع والخير، وحرم علينا كل ما يلحق بنا صنوف الأذى والمرض، فأحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: 157]

(1) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ج4/ص21.
(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير)، ج2/ص305-306

يقول الطبري في تفسيره : يأمر النبي الأمي محمد ﷺ أتباعه بالمعروف، وهو الإيمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى، وينهاهم عن المنكر وهو الشرك بالله، والانتهاء عما نهاهم عنه، ويحل لهم الطيبات التي كانت محرمة عليهم في الجاهلية من البحائر والسَّوائب والوصائل والحوامي، ويحرم عليهم الخَبَائث، وذلك لحم الخنزير والرِّبا وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرمها الله.[1]

"وفي الطيبات أربعة أقوال: أحدها: أنها الحلال، والمعنى: يُحل لهم الحلال. والثاني: أنها ما كانت العرب تستطيبه، والثالث: أنها الشحوم المحرَّمة على بني إسرائيل، والرابع: ما كانت العرب تحرِّمه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، وفي الخبائث ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحرام، فالمعنى: ويحرِّم عليهم الحرام، والثاني: أنها ما كانت العرب تستخبثه ولا تأكله، كالحيات، والحشرات، والثالث: ما كانوا يستحلُّونه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير."[2]

أما الرازي فيقول في تفسيره: اختلف الناس في المراد من الطيبات فمنهم من قال المراد بالطيبات هي الأشياء التي حكم الله بحلها وهذا بعيد حسب رأيه، لأن تقدير الآية يصبح ويحل لهم المحللات، وهذا محض تكرير، هذا سبب أما السبب الآخر لأننا لا ندري ماهي الأشياء التي أحلها الله وكم هي ؟ بل الواجب أن يكون المراد من الطيبات الأشياء المستطابة بحسب الطبع وذلك لأن تناولها يفيد اللذة، والأصل في المنافع الحل، فكانت هذه الآية دليلا على ان الأصل في كل ما تستلذه النفس وتستطيبه هو الحل إلا لدليل منفصل، وقوله: **﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾** يريد الميتة والدم وما ذكر في سورة المائدة إلى قوله **(ذَٰلِكُمْ فِسْق)**.

وكل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس كان تناوله سبباً للألم والمضار، فكان مقتضى ذلك أن كل ما يستخبثه الطبع فالأصل فيه الحرمة إلا لدليل منفصل واضح بين، وبناء عليه حرم الشافعي بيع الكلب لأنه روي عَنِ ابن عباس عن النَّبِي ﷺ فِي كتاب الصحيحين أَنه قال: **(الْكَلْبُ خَبِيثٌ، وَخَبِيثٌ ثَمَنُهُ)**.[3]

أما النسفي فيقول: ويحل لهم طيبات ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب في الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وغيرها، ويحرم عليهم الخبائث وهي ما

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن)، ج13/ص165.
(2) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج2/ص160-161
(3) انظر: (مفاتح الغيب)، ج15/ص381-382

يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة ونحوهما من المكاسب الخبيثة [1]

ويقول البقاعي في تفسيره للآية: "﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي التي كانت حرمت عليهم عقوبة لهم كالشحوم (ويحرم عليهم) وعبر بصيغة الجموع إشارة إلى أن الخبيث أكثر من الطيب في كل مائي الأصل فقال: {الخبائث} أي كل ما يستخبثه الطبع السليم أو يؤدي إلى الخبث كالخمر المؤدية إلى الإسكار والرشى المؤدية إلى النار بعد قبيح العار"[2]

"وقد ذكر أبو العباس المهدي في تفسيره: قال الحق جلّ جلاله في بقية أوصاف نبينا– عليه الصلاة والسلام–: يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات مما حرم على اليهود كالشحوم وغيرها، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ كالدم ولحم الخنزير وسائر الخبائث، أو كالربا والرشوة وغيرهما من المحرمات). قال ابن جزي: [3] مذهب مالك أن الطيبات هي الحلال، وأن الخبائث هي الحرام. ومذهب الشافعي: أن الطيبات هي المستلذات، إلا ما حرمه الشرع منها، كالخمر والخنزير، وأن الخبائث هي المستقذرات كالخنافس والعقارب" [4]

وقيل في تفسير الآية كذلك: يحل لهم الطيبات وهي ما تستطيبه الأذواق من الأطعمة وتتحصل به على التغذية النافعة، ومن الأموال ما أخذ بحق وتراض في المعاملة، أما الخبيث من الأطعمة ما تمجه الطباع السليمة وتستقذره كالميتة والدم المسفوح، أو تحجم عنه العقول الراجحة لضرره في البدن كالخنزير الذي تتولد من أكله الدودة الوحيدة، او لضرره في الدين كالذي يذبح على سبيل العبادة للتقرب إلى غير الله، والذي يحرم ذبحه أو أكله لأن التشريع لم يأذن به كالسائبة والوصيلة والحامي، والخبيث من الأموال ما يؤخذ بغير وجه حق كالربا والخيانة والرشوة والغلو والسرقة والغصب والسحت، وكان الله عزَّ وجل قد حرم بعض الطيبات على بني اسرائيل عقوبة لهم، كما ورد ذلك في قوله: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء: 160]. [5]

---

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1/ص610، بتصرف

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8/ص118

(3) ابن جزي: الإمام العلامة النحوي أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي من مشاهير العلماء بغرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، ألف شرحاً على ألفية ابن مالك وغيره، توفي سنة 785هـ، أنظر:مناهج المفسرين منيع محمود،ج1/ص209، الإحاطة في أخبار غرناطة/ محمد السلماني ج4/ص558، ديون الإسلام / شمس الدين أبو المعالي الغزي ج2 / ص102.

(4) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج2/ص268

(5) انظر: (تفسير المنار)محمد رضا ج9/ص197، (تفسير المراغي) المراغي ج9/ص77–78

وفسر هذه الآية ابن عاشور بقوله: والطيبات جمع طيبة، تنبيها على ان المراد الطيبات من المأكولات، كما دل عليه قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ... ﴾ [البقرة: 168] وَقَوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ ... ﴾ [المائدة : 4]، وليس المراد من ذلك الأفعال الحسنة لأن الافعال عرفت بوصف المعروف والمنكر، والمأكولات لا تدخل في المعروف والمنكر، إذ ليس للعقل حظ بين المقبول منها وبين المرفوض، ولما كان الإسلام دين الفطرة ولا اعتداد لأهواء البشر فيه، أسند حل المأكولات بالطيب وحرمتها بالخبث، فالطيب ما لا ضرر فيه والقذارة والخبيث ما كان ضاراً مستقذراً لا يقبلها العاقل من البشر كالنجاسة، فلا تدخل العادات إلا في اختيار ما شاء أهلها من المباح، فقد كانت قريش لا تأكل الضب، وقد وضع على مائدة رسول الله ﷺ فكره أن يأكل منه وقال: (مَا هُوَ بِحَرَامٍ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ طَعَامِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ).[1]، [2]

المطلب الثالث: النهي عن تبديل الخبيث بالطيب

يوضح الله عزَّ وجل لعباده المؤمنين طريقهم إلى الجنة، فبين لهم الحرام والحلال، واهتم بتفاصيل حياتهم، ووضع لهم القواعد التي إن طبقوها بحذافيرها فسينعمون وسيعيشون بعيش رغيد وعيشة رضية وأمن واستقرار، فنهاهم عن استبدال الخبيث بالطيب، لأن في ذلك خسراناً وظلماً كبيراً لأنفسهم في الدارين فقال تعالى:﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴾ [النساء:2]

يقول الثعالبي في تفسيره للآية :قيل هذه الآية جاءت تخاطب العرب الذين كانت عادتهم ألا يورثوا الصغير من الأولاد، وقيل هي خطاب للأوصياء، وقال ابن العربي ذلك عند الابتلاء والإرشاد، أما قوله ﴿**وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ**﴾، قال ابن المسيِّب وغيره: أن بعضهم كان يستبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالشاة الهزيلة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف، وقيل إن المراد لا تأكلوا أموالهم خبيثاً، وتَدَعُوا أموالكم طيبًا، وقيل غيرُ هذا، والخبيث هنا الحرام: والطيب هو الحلال.[3]

ويقول أبو السعود في تفسيره: "﴿**وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الخبيث بالطيب**﴾ نهيٌ عن أخذ مالِ اليتيمِ على الوجه المخصوصِ بعد النهي الضِّمني عن أخذه على الإطلاق، وتبدل الشيء بالشيء واستبدالُه به أخذُ الأول بدلَ الثاني بعد أن كان حاصلاً له، أو في شرف الحصولِ يُستعملان أبداً بإفضائهما إلى

(1) انظر: (التحرير والتنوير)، ج9/ص135-136
(2) سنن أبي داود، رقم الحديث (3794)، ج3/ص353، حكم الألباني: صحيح.
(3) انظر:(الجواهر الحسان في تفسير القرآن)،ج2/ص161

الحاصل بأنفسهما وإلى الزائل بالباء، كما في قوله تعالى ﴿**وَمَن يَتَبَدَّلِ الكفر بالإيمان** ﴾وقوله تعالى ﴿**أَتَسْتَبْدِلُونَ الذي هُوَ أدنى بالذي هُوَ خَيْرٌ**﴾ وأما التبديلُ فيستعمل تارة كذلك كما في قولِه تعالى ﴿ **وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِم جَنَّتَيْنِ** ﴾، وتارة أخرى بإفضائه إلى مفعوليه بنفسِه كما في قولِه تعالى ﴿**يُبَدّلُ الله سَيّئَاتِهِمْ حسنات** ﴾ والمراد بالخبيث والطيب إن كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال أنفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج، وقيل معناه لا تذروا أموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من أموالهم فالمنهي عنه أكل ماله مكان مالهم المحقق أو المقدر، وقيل هو اختزال ما له مكان حفظه، وأياً ما كان فإنما عبر عنهما بهما تنفيراً عما أخذوه، وترغيباً فيما أعطوه وتصويراً لمعاملتهم بصورة مالا يصدر عن العاقل، وإن كان هو الرديء والجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من أخذ الجيد من مال اليتيم، وإعطاء الرديء من مال أنفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لإباحة ما عداها وأما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع أنها تبديله به أو تبدل الطيب بالخبيث فللإيذان بأن الأولياء حقهم أن يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم، لا لأنفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب إليه مشترى كان أو ثمنا لا لسلب المسلوب عنه".[1]

وقال المولى أبو الفداء[2] في تفسيره: **(وَآتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ)** اليتامى جمع يتيم، وهو من الناس من فقد أباه بموته، ومن سائر الحيوانات من فقد أمه بموتها، ويشيع إطلاقه على الصغير لا الكبير لأن الكبير يكون متكفلاً بذاته مستغنٍ عن أبيه.

والمراد بإيتاء الأموال لليتامى هو قطع كل مطمع عن الوصول إلى أموال اليتامى وتركها على حالها وعدم المساس بها او التعرض لها بسوء، حتى تصلهم سالمة كاملة غير ناقصة ولا مبتورة حينما يصلوا إلى الرشد وإلى سن البلوغ، وإنما عبر عما ذكر بالإيتاء مجازاً للإيذان بأنه ينبغي أن يكون مرادهم بذلك إيصالها إليهم لا مجرد ترك التعرض لها والمعنى: أيها الأولياء والأوصياء احفظوا أموال اليتامى ولا تتعرضوا لها بسوء وسلموها إليهم وقت استحقاقهم تسليمها إليهم، **(وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ)** تبدل الشيء بالشيء واستبداله به، أي لا تستبدلوا الحلال المكتسب

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،ج2/ص140

(2) (المولى أبو الفداء) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء ، متصوف مفسر، تركي مستعرب.ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية وانتقل إلى بروسة وهناك كان يبحث عن مسائل غامضة تتعلق بالتصوف، أوشى به بعض العلماء فنفي إلى تكنود طاع وذاق هناك أذية من بعض جهلاء الأهالي ثم عاد إلى بروسة فلقي حتفه فيها سنة 1127م، (معجم المطبوعات العربية والمعربة) ج441/2 (الأعلام) للزركلي، ج1، 313

بالحرام المغتصب، يعنى لا تستبدلوا أموال اليتامى وهي حرام عليكم بالحلال، وهو ما لكم وما أبيح لكم من المكاسب، ومن رزق الله المنتشر في الأرض فتأكلوه مكانه.[1]

وقيل في تفسير هذه الآية كذلك:" **(وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ)** أي لا تستبدلوا الحرام الذي هو مال اليتامى بالحلال الذي هو مالكم الذي أبيح لكم من المكاسب بأن لا تتركوا أموالكم وتأكلوا أموالهم، **(وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ)**أي لا تأكلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم حتى لا تفرقوا بين أموالهم وأموالكم في حل الانتفاع بها، فلا يحل لكم من أموالهم ما زاد على قدر الأقل من أجرتكم ونفقتكم، إِنَّهُ أي أكل مال اليتيم كانَ حُوباً كَبِيراً، أي ذنباً عظيماً عند الله، (نزلت هذه الآية في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبيّ ﷺ. فنزلت هذه الآية. فلما سمعها العم قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول، نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع ماله إليه)."[2]

ويقول الأستاذ محمد رشيد رضا في معنى تبديل الخبيث بالطيب: والمعنى لا تأخذوا الخبيث فتجعلوه بدلاً من الطيب، كما في قوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ... ﴾ [البقرة:61]، والخبيث ما يُكره رداءة وخساسة محسوساً كان أو معقولاً، وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبيح من الأفعال، وأصل الطيب ما تستلذه الحواس وما تستطيبه النفس، ويمكن أن يوصف به الأشياء وذلك كقوله تعالى: ﴿... وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ... ﴾ [الأعراف: 157]، ومنه مثل الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة، وكذلك يوصف به الأشخاص كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور:26].[3]

وأختم بما قاله ابن عاشور في تفسيره، والمراد من الآية لا تأخذوا الخبيث وتعطوا الطيب، وأريد بهما الوصف المعنوي دون الحسي، وهما استعارتان فالخبيث المذموم أو الحرام، والطيب عكسه وهو الحلال، ومعنى الآية ولا تكسبوا المال الحرام وتتركوا الحلال، فلو اهتممتم بتحصيل أموالكم وتوفيرها بالعمل المشروع لكان لكم فيها غنىً عن الحرام، فالمنهي عنه هنا هو ضد المأمور به من قبل تأكيدا للأمر، وقد بين ما في النهي من الشناعة والفظاعة إذ لم يمتثل للأمر، ولا ينبغي حمل هذه الآية إلا على هذا المعنى.[1]

---

(1) انظر:(روح البيان)،ج2/ص161.

(2) انظر:(مراح لبيد لكشف معنى القران المجيد)، محمد الجاوي ج181/1

(3) أنظر: (تفسير المنار) ج4 / ص278، 279.

(1) انظر:(التحرير والتنوير)،ج4/ص220-221

المطلب الرابع: لا يستوي الخبيث والطيب

إن الخير والشر لا يمكن لهما أن يستويان أبداً، فكيف يستويان وكل منهما يؤدي إلى طريق مخالف كل الاختلاف عن الآخر ومغاير له، فالخبيث مآله الى جهنم والعياذ بالله، والطيب مصيره إلى الجنة بإذن الله، فالخير المحمود وإن كان قليلاً أفضل وأعلى رتبة ومنزلة من الذميم وإن كان كثيراً، هكذا اقتضت حكمة الله وعدله ألا يسوي بين الطيب والخبيث وفي ذلك يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: 100]

وسبب نزول هذه الآية: "**عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قال النبي ﷺ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَشُرْبَ الْخَمْرِ، وَالطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ، أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ لُعِنَ شَارِبُهَا وَعَاصِرُهَا وَسَاقِيهَا وَبَائِعُهَا وَآكِلُ ثَمَنِهَا، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رسول اللَّه، إني كُنْتُ رَجُلًا كَانَتْ هَذِهِ تِجَارَتِي فَاعْتَقَبْتُ مِنْ بَيْعِ الْخَمْرِ مَالًا، فَهَلْ يَنْفَعُنِي ذَلِكَ الْمَالُ إِنْ عَمِلْتُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ؟ فَقَالَ له النبي ﷺ: إِنْ أَنْفَقْتَهُ فِي حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صَدَقَةٍ لَمْ يَعْدِلْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى تصديقاً لقول رسول اللَّه ﷺ: (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ [فَالْخَبِيثُ: الْحَرَامُ].**"[1]

يخاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ ويقول له قل يا محمد **(لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ)** يا أيها الإنسان إن الحلال القليل النافع خير من الحرام الضار، كما جاء فِي الْحديث: "**مَا قَلَّ وكَفَى، خَيْرٌ مِمَّا كَثُر وألْهَى**". [2]

(فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ): أي يا ذوي العقول الصحيحة الراجحة، تجنبوا الحرام وابتعدوا عنه، واقنعوا بما لديكم من حلال واكتفوا به لعلكم تكونوا من أهل الفلاح في الدنيا والآخرة.[3]

ويقول الثعالبي في تفسيره: هذه الآية لفظ عام في جميع الأمور، فلا يستوي الخبيث والطيب في الأمور كلها في أصناف الناس وفي المكاسب، والمعارف وغيرها.

فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا يُنْجِبُ، ولا تحسن عاقبته، بينما الطيب وإن كان قليلاً فإنه مبارك، حسن العاقبة، ويَنْظُرُ إلى هذه الآيةِ قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ

(1) أسباب نزول القرآن، الواحدي، ج1/ص212-213

(2) مسند أحمد،(ج36/ص35)،حديث رقم:21721،قال شعيب إسناده حسن

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير، ج3/ص203

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾ [الأعراف: 58]، والخبث: هو الفساد الخفي في الأمور، والذي لا يظهر حتى يظن به أنه طيب صالح، وهو بخلاف الآية، وقوله **(فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ)**: تنبيهٌ على لزوم الطَّيِّب في المعتقَدِ والعملِ، وخُصَّ أولو الألباب بالذِّكْر لأنهم المتقدِّمون في تمَيْز هذه الأمور، والذين لا ينبغي لهم إهمالها مع ألبابهم وإدراكهم.[1]

ويذكر الإمام السيوطي عن السدي قوله في الآية قال: الخبيث هم المشركون والطيب هم المؤمنون، وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: لدرهم حلال أتصدق به أحب إلي من مائة ألف ومائة ألف حرام فإن شئتم فاقرأوا كتاب الله (قل لا يستوي الخبيث والطيب).

وعن يعقوب بن عبد الرحمن الإسكندراني[2] قال: كتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يذكر أن الخراج قد انكسر فكتب إليه عمر أن الله يقول **(لَا يَسْتَوِي الْخَبِيث وَالطّيب وَلَو أَعْجبك كَثْرَة الْخَبِيث)** فإن استطعت أن تكون في العدل والإصلاح والإحسان بمنزلة من كان قبلك في الظلم والفجور والعدوان فافعل ولا قوة إلا بالله"[3]

وقال عطاءٌ والحسن –رضي الله عنهما– الخبيث والطيب الحرامُ والحلال، **(وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ)** أي وإن أسعدك كثرته، وقوله **(فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُوْلِى الأَلْبَابِ)** أي في تحرِّي الخبيث وإن كثر، وآثِروا عليه الطيِّب وإن قلّ، فإن مدارَ الاعتبار هو الجُودة والرداءةُ لا الكثرةُ والقِلة، فالمحمودُ القليلُ خيرٌ من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيثُ كان أخبثَ، **(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** راجين أن تنالوا بذلك الفلاح في الدنيا والآخرة.[4]

أما الإمام الشوكاني فيقول: قيل المراد بالخبيث والطيب: الحرام والحلال، وقيل المؤمن والكافر، وقيل العاصي والمطيع، وقيل الرديء والجيد، والاولى عنده بالصواب أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيشمل معنى الطيب والخبيث لهذه المذكورات جميعها من أقوال وأفعال وأشخاص، فالخبيث لا يمكن أن يتساوى مع الطيب بأي حال من الأحوال، **وتؤيد الباحثة (ما ذهب إليه الإمام الشوكاني في قوله** من شمول معنى الطيب والخبيث لجميع المذكورات الآنفة الذكر).

---

(1) انظر: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، ج2/ص426

(2) يعقوب بن عبد الرحمن الاسكندراني يعقوب بن محمد بن عبد الله بن عبد الباري حليف بني زهرة أصله من المدينة سكن الإسكندرية ويقال له يعقوب الإسكندراني، توفي عام222هـ / الثقات لابن حيان ج7 /ص645.

(3) الدر المنثور، ج3/ص204

(4) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، ج3/ص83-84

(وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ) قيل أن الخطاب مختص بالنبي محمد ﷺ، وقيل لكل مخاطب يصلح أن يخاطب بهذا الخطاب، **(وترى الباحثة** من أنه لا مانع أن يكون الخطاب للنبي محمد ﷺ وقت نزول الآية ولأمته من بعده**)**، ويؤيد ذلك ماذهب إليه القاسمي في تفسيره من القول: " والخطاب عامّ لكل معتبر– أي: ناظر بعين الاعتبار– ولذلك قال فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ أي: فاتقوه في تحرّي الخبيث وإن كثر."[1]

والمراد من الآية كما يقول الشوكاني نفي الإستواء بين الطيب والخبيث في كل الأحوال، ولو كان الخبيث ينال على إعجاب الرائي له للكثرة التي تبدو عليه، فإن هذه الكثرة في حكم العدم في حكم اللاشيء، لأن خبث الشيئ وفساده يقلل من قيمته بل ويبطل فائدته، ويمحق بركته، ويذهب بمنفعته.[2]

وأما معنى الآية عند السعدي : قل يا محمد ﷺ للناس محذراً لهم من الشر ومرغباً لهم في الخير، (لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ) من كل شيء، فلا يستوي الإيمان والكفر، ولا أهل الجنة وأهل النار، ولا الطاعة والمعصية، ولا الأعمال الخبيثة والأعمال الطيبة، ولا المال الحرام بالمال الحلال، **(وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ)** فإنه لا ينفع صاحبه شيئاً، بل يضره في دينه ودنياه وآخرته من بعد، **(فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** وجه الله ﷻ الخطاب لأهل العقول الوافية، والآراء الكاملة، فإنهم أولو الألباب الذين يؤبه لهم، ويرجى أن يكون فيهم الخير الوافر، ثم أخبر تعالى أن الفلاح متوقف على التقوى التي هي التزام أمر الله فيما أمر به ونهى عنه، فمن اتقاه أفلح كل الفلاح، ومن ترك تقواه حصل له الخسران وفاتته الأرباح.[3]

ويحكي لنا الطاهر بن عاشور كلاماً راقياً في هذه الآية آثرت **الباحثة أن تنقله بلفظه كما ذكره:** "ومعنى لا يستوي نفي المساواة، وهي المماثلة والمقاربة والمشابهة. والمقصود منه إثبات المفاضلة بينهما بطريق الكناية، والمقام هو الّذي يعيّن الفاضل من المفضول، فإنّ جعل أحدهما خبيثًا والآخر طيّبًا يعيّن أنّ المراد تفضيل الطّيّب، وتقدّم عند قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾ [آل عمران:113] ولمّا كان من المعلوم أنّ الخبيث لا يساوي الطّيّب وأنّ البون بينهما بعيدٌ، علم السّامع من هذا أنّ المقصود استنزال فهمه إلى تمييز الخبيث من الطّيّب في كلّ ما يلتبس فيه أحدهما بالآخر، وهذا فتحٌ لبصائر الغافلين كيلا يقعوا في مهواة الالتباس ليعلموا أنّ ثمّة خبيثًا قد

(1) محاسن التأويل، ج4/ص258
(2) انظر: (فتح القدير)، ج2/ص92
(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ج1/ص245

التفّ في لباس الحسن فتموّه على النّاظرين، ولذلك قال ولو أعجبك كثرة الخبيث. فكان الخبيث المقصود في الآية شيئًا تلبّس بالكثرة فراق في أعين النّاظرين لكثرته، ففتح أعينهم للتّأمّل فيه ليعلموا خبثه ولا تعجبهم كثرته[1] ".

"فقوله: ولو أعجبك كثرة الخبيث من جملة المقول المأمور به النبيء ﷺ أي قل لهم هذا كلّه، فالكاف في قوله: أعجبك للخطاب، والمخاطب بها غير معيّنٍ بل كلّ من يصلح للخطاب، مثل: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: 27]، أي ولو أعجب معجبًا كثرة الخبيث، وقد علمت وجه الإعجاب بالكثرة في أوّل هذه الآية.

وليس قوله: ولو أعجبك كثرة الخبيث بمقتضٍ أنّ كلّ خبيثٍ يكون كثيرًا ولا أن يكون أكثر من الطّيّب من جنسه، فإنّ طيّب التّمر والبرّ والثّمار أكثر من خبيثها، وإنّما المراد أن لا تعجبكم من الخبيث كثرته إذا كان كثيرًا فتصرفكم عن التّأمّل من خبثه وتحدوكم إلى متابعته لكثرته، أي ولكن انظروا إلى الأشياء بصفاتها ومعانيها لا بأشكالها ومبانيها، أو كثرة الخبيث في ذلك الوقت بوفرة أهل الملل الضّالّة."[2]

وتعقب **الباحثة** على كلام الإمام ابن عاشور، أنه لما كان من دأب أهل الغفلة والفساد أنهم يغترون بالكثير ولو كان فاسداً خبيثاً، سواء كان عملاً أو أشخاصاً أو أموالاً أيا كان، فكان ديدن هؤلاء الفئة من الناس إظهار الإعجاب بالكثير ولو كان فاسداً، وإظهار الاستياء وعدم الرضا بالقليل ولو كان طيباً، لكن أنى لهم ذلك! فقد نبه الله عزّ وجلّ في الآية الكريمة أنهم لا يستويان أبداً، فالعبرة بصفة الشيء ومميزاته لا بكثرته.

أما الإمام أبو زهرة فيقول: " أمر الله تعالى نبيه أن يذكر لهم أن الخير والشر لَا يستويان، وأن الخبيث والطيب لَا يتساويان، فلا يمكن أن يكون معاملة أهل الخبيث كمعاملة أهل الطيب، وأمر الله تعالى نبيه أن يقول ذلك، ويبينه للناس على أنه جزء من رسالته يبينه للناس ويعرفهم به أو يذكرهم إياه وهو ما ترتضيه الفطر السليمة وتدركه العقول المستقيمة، وهو بيان لطبائع هذا الوجود، والخبيث هو الأمر المستقذر، إما لأنه في ذاته قذر تعافه النفوس والطبائع السليمة، وإما لأن سبب الحصول عليه خبيث، فجاءه الخبث من سببه، إذ انسحب السبب على المسبب فلوثه، وإما لأنه مخل بالمروءة، فالمستقذر هو الخبيث، وهو حسي، وأدبي، والطيب ما يكون حسنا في ذاته وفي

(1) التحرير والتنوير، ج7 / ص63
(2) أنظر المرجع السابق،ج7/ص63

طريق كسبه، وترضاه النفوس المستقيمة والعقول المدركة، وتأتي الشرائع بإباحته، وإذا كانت تلك هي القاعدة الإنسانية العالية، والعادلة، فإنه لَا بد من عقاب المسيء، وثواب المحسن، ولكن الباطل له لجاجة وفيه كثرة، لأنه مجاوبة للذائذ الشهوات، وما يستلذ يكثر، وما يطاوع الهوى يزيد، وما يكون فيه صبر وضبط نفس يقل، وإن كان طيباً، ومهما يكثر الشر لن يتساوى مع الخير، ولذا قال سبحانه: **(وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ)**. أي ولو أثار نفسك وعجبك واسترعى نظرك كون الخبيث كثيراً، إنّ الشر مهما يكثر لَا يمكن أن يستحسن شرعاً أو ترضى به الأخلاق، ولا يمكن أن ينقلب بالكثرة مساوياً للخير بل إنه كلما كثر، وجبت مقاومته، بشدة وبمقدار كثرته، تكون شدة المقاومة، وذلك فرق ما بين شريعة الله تعالى وقوانين العباد، فإن قوانين العباد، تستمد قوتها من الكثرة، وعرف الناس، ولو كان فاسداً، أما شريعة الله، فهي للخير المحض، وإذا كثر الشر لَا تتبعه، بل تقاومه، ولا ترضى به، لأنها جاءت لنشر الخير، ولا يمكن أن ترضى، وإلا ما كانت رسالات الرسل، ولا جهاد الأنبياء والصديقين والشهداء الصالحين، ولذلك أمر سبحانه بمقاومة الشر مهما كثر".[1]

وبعد أن **أبحرت الباحثة** في معاني هذه الكلمات الربانية الجليلة، تقول لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يستوي الخبيث في الأقوال أو الأفعال أو الذوات مع الطيب منهم، فالطيب في أعلى الدرجات والخبيث في أسفل الدركات، فكم من لذة في الخبيث إلا ووجد في الطيب ما هو أفضل وأحسن و أنفع منها، فالعاقل من يحكم شرع الله في حياته، ويستشعر الله عزّ وجلّ في كل اختياراته، والضال الخبيث من يمشي وراء هواه فيضل ويشقى، فالصبر الصبر على هذه الحياة القصيرة وملذاتها الفانية حتى يطيب المنقلب والمآل، أسأله تعالى أن يطيب أقوالنا وأفعالنا وذواتنا في الدنيا والآخرة.

المطلب الخامس: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن هناك قواعد وسنن لا تتبدل ولا تتحول ولا تتعطل، فالخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، هذا هو قمة التكافؤ والتوازن والانسجام الذي بمقتضاه يتم الاختيار والارتباط، وحول هذا المعنى ورد قوله تعالى: ﴿ **ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ [النور: 26]

(1) زهرة التفاسير، ج5، ص2368، 2370

يقول التستري في تفسيره: " الخبيثات القلوب من النساء للخبيثي القلوب من الرجال، والخبيثو القلوب من الرجال للخبيثات القلوب من النساء"[1].

وقيل في معنى الآية: تتعدد الخبائث وتتنوع فهناك خبائث من الأعمال وخبائث من الأحوال، والأموال والفعال، فالخبيثات من الأعمال وهي المحظورات للخبيثين من الرجال الذين يؤثرونها ويلهثون ورائها، ويجنحون إلى فعلها فهم لها وهي لهم، فكل مربوط بما يليق به، فالفعل لائق بفاعله، والفاعل بفعله فى الطهارة والقذارة، والنفاسة والخساسة، والشرف والسّرف، والخبيثات من الأحوال وهى الحظوظ والشهوات لأصحابها والساعين لها، غير ممنوع أحدهما من صاحبه، فالصفة للموصوف ملازمة، والموصوف لصفته ملازم، والخبيثات من الأشياء للخبيثين من الأشخاص، وهم الراضون بالمنازل السحيقة، والخبِيثات: من الأموال وهى التي ليست بحلال، وعليها ينصب كل جهده ووقته لأجل تحصيلها، فالخبيثون من الرجال لا يميلون إلّا لمثل تلك الأموال، وتلك الأموال لا تساعد إلا مثل أولئك الرجال.[2]

ويقول ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية الكريمة: (الخبيثات للخبيثين) فيه أربعة أقوال: أحدها الكلمات الخبيثات لا يتكلم بها إلا الخبيث من الرجال والنساء، والثاني: الكلمات الخبيثات إنما تلصق بالخبيثين من الرجال والنساء، والثالث: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والرابع: الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال.[3]

أما الإمام الرازي فيقول في تفسيره لهذه الآية: اعلم أن الخبيثات يقع على الكلمات التي هي القذف الواقع من أهل الإفك، ويقع أيضاً على الكلام الذي هو كالذم واللعن، ويكون المراد من ذلك لا نفس الكلمة التي هي من قبل الله تعالى، بل المراد مضمون الكلمة، ويقع أيضا على الزواني من النساء، وفي هذه الآية كل هذه الوجوه محتملة، فإن حملناها على القذف الواقع من أهل الإفك كان المعنى الخبيثات من قول أهل الإفك للخبيثين من الرجال، وإن حملناها على الكلام الذي هو كالذم واللعن، فالمعنى أن الذم واللعن معدان للخبيثين من الرجال، والخبيثون منهم معرضون للعن والذم، وإن حملناه حملناه على الزواني فالمعنى الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال.[4]

وذكر الشيخ علوان في تفسيره: "ومن جملة عدالته رعاية المناسبات بين المظاهر والمربوبات، كما بينهما سبحانه بقوله الْخَبِيثاتُ من النساء المطعونات بأنواع الرذائل المنحرفات عن

(1) تفسير التستري، ج1/ص111
(2) انظر: (لطائف الإشارات)، القشيري، ج2/ص604
(3) انظر: (زاد المسير في علم التفسير)، ج3/ص287
(4) مفاتح الغيب، ج23/ص355، بتصرف.

جادة السلامة والطهارة لِلْخَبِيثِينَ، كذلك من الرجال يعنى لا يتزوجهن غير الخبيثين لحكم الكفاءة والمناسبة، كذا الخبيثُون من الرجال للخبيثات من النساء كل لنظيرتها بحكم المصلحة الإلهية"[1]

ومعنى هذه الآية عند ابن عجيبة[2]: الخبيثات من القول تقال للخبيثين من الرجال والنساء، فهي لائقة بهم، ولا ينبغي ان تقال إلا لهم، والخبيثون من الفريقين أحقاء بأن يقال في حقهم خبائث القول، وهذه قاعدة السنة الإلهية التي ساقها لنا القرآن الكريم، وهي أن الله تعالى يسوق الأهل للأهل، فمن كان خبيثاً فاسقاً يُزوجه الله للخبيثة الفاسقة مثله، ومن كان طيباً عفيفاً رزقه الله طيبة.

فالأخلاق الخبيثة مثل الكبر، والسمعة والياء والحسد والحقد والعجب، وحب الجاه والمال للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، فهم متصفون بها، وهي لازمة لهم.[3]

ويقول المراغي في تفسيره: بعد أن برأ الله سبحانه وتعالى عائشة ـ رضى الله عنهاـ مما رميت به من الإفك، ذكر أن من يرمي المحصنات الغافلات مطرود من رحمة الله، وأردف ذلك دليلاً ينفي الريبة والشك عن عائشة بأجلى وضوح- ذاك أن السنة الجارية بين الخلق مبنية على مشاكلة الأخلاق والصفات بين الزوجين، فالطيبات للطيبين، والخبيثات للخبيثين، ورسول الله ﷺ من أطيب الطيبين، فيجب كون الصّدّيقة من أطيب الطيبات على مقتضى المنطق السليم، والعادة الشائعة بين الخلق، فذكر الله عزّ وجلّ أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال لا يتجاوزنهم إلى غيرهم **(وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ)** أي والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، لأن المجالسة من دواعي الألفة ودوام العشرة، وهذه الآية الكريمة تشرح الغرائز والطباع، وتبين أن الإنسان بل هذا الوجود لا تلاؤم بين أجزائه إلا بصفات متناسبة، فالكرة الأرضية متجاذبة الأجزاء وكرة الهواء مطيعة لمجموعها، لما بينها من تناسب وتشابه فى الصفات، وهكذا أخلاق الناس وصفاتهم إذا تشابهت اتفقوا، وهم يكونون يوم القيامة كذلك، لا يجتمعون إلا حيث يتفقون.[1]

---

(1) انظر: (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، ج4/ص26-27

(2) ابن عجيبة: العالم العارف أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة اللنجري التطواني، صاحب التفسير الشهير في أربع مجلدات ضخمة، وحاشية الجامع الصغير للسيوطي، وشرح البردة والهمزية، والأربعين حديثاً في الأصول والفروع، وطبقات الفقهاء المالكية إلى زمانه على ترتيب وجودهم، وشرح الحصن وتأليف في الأذكار النبوية، وغير ذلك، وهو مفسر صوفي مشارك، من أهل المغرب. دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)

انظر: فهرس الفهارس والأثبات، الإدريسي، ج2/ص854، الأعلام، للزركلي، ج1/ص245.

(3) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ج2/ص7-8.

(1) انظر: (تفسير المراغي)، ج18/ص92-93

ومعنى هذه الآية عند ابن عاشور: بعد أن برأ الله عائشة -رضي الله عنها- مما قال عصبة الإفك بفضحهم بأنهم ما جاءوا إلا بسيء الظن، واختلاق القذف فتوعدهم وهددهم ثم تاب على الذين تابوا، وببراءة رسول الله ﷺ من أن تكون له أزواج خبيثات لأن عصمته وكرامته على الله يأبى الله معها أن تكون أزواجه غير طيبات، فمكانة الرسول ﷺ كافية في الدلالة على براءة زوجه وطهارة أزواجه كلهن، وهذا من الاستدلال على حال الشيء بحال مقارنه ومماثله، وفي هذا تعريض بالذين اختلقوا الإفك بأن ما أفكوه لا يليق مثله إلا بأزواجهم، فقوله: (الخبيثات للخبيثين) تعريض بالمنافقين المختلقين للإفك، والابتداء بذكر الخبيثات لأن غرض الكلام الاستدلال على براءة عائشة وبقية أمهات المؤمنين، واللام في قوله: للخبيثين لام الاستحقاق، والخبيثات والخبيثون أوصاف جرت على موصوفات محذوفة يدل عليها السياق، والتقدير في الجميع: الأزواج، وعطف والخبيثون للخبيثات إطناب لمزيد العناية بتقرير هذا الحكم ولتكون الجملة بمنزلة المثل مستقلة بدلالتها على الحكم وليكون الاستدلال على حال القرين بحال مقارنه حاصلا من أي جانب ابتدأه السامع، والمراد بالخبث: خبث الصفات الإنسانية كالفواحش.[1]

ويقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: حتى الكفاءة تكون في الطيبة أوالخبث، فلا يأتي واحد بامرأة خبيثة ويزوجها لرجل طيب كي لا تتعبه، ولا يأتي واحد برجل خبيث ويزوجه بامرأة طيبة كي لا يتعبها؛ لأن الطيب عندما يتزوج طيبة تريحه وتقدره، وكذلك الخبيث عندما يتزوج خبيثة فإنهما يتوافقان في الطباع والسلوك، وفي هذا توازن، والخبيث إن لم يخجل من الفضيحة، فالخبيثة لا تخجل منها أيضاً، أما الطيب والطيبة فكلاهما يخشى على مشاعر الآخر ويحافظ على كرامته، فإن خافت امرأة من بعلها نشوزاً أي ارتفاعاً عن المستوى المفترض في المعاملة، في السكن والمودة والرحمة التي ينبغي أن تكون موجودة بين الزوجين، وهي قد أفضت إليه وأفضى إليها، فإن خافت أن يستعلي عليها بنفسه أو بالنفقة أو ينالها بالاحتقار، أو ضاعت منه مودته أو رحمته، هذا كله نشوز، وبل حدوث ذلك على الزوجة الذكية أن تنتبه لنفسها وترى ملامح ذلك النشوز في الزوج قبل أن يقع، فإن كانت الأسباب من جهتها فعليها أن تعالج هذه الأسباب، وترجع إلى نفسها وتصلح من الأمر.[2]

ويقول الزحيلي في تفسيره: تحدثت الآيات السابقة عن حادثة الإفك، فجاءت هذه الآية بمثابة دليل حسي مادي على براءة عائشة فقال: (**الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ...**)، أي النساء الزواني الخبيثات للخبيثين من الرجال، والخبيثون الزناة من الرجال للخبيثات من النساء لأن

(1) انظر:(التحرير والتنوير)، ج18/ص194-195

(2) انظر:(تفسير الشعراوي)، ج5/ص2683

اللائق بكل واحد ما يشابهه في الأقوال والأفعال، ولأن التشابه في الأخلاق والتجانس في الطبائع من مقومات الألفة ودوام العشرة، وذلك كقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:3]، وعلى هذا يكون المراد بالخبيثات من النساء، أي شأن الخبائث أن يتزوجن الخباث، أي الخبائث، ويجوز أن يكون المراد من الخبيثات الكلمات التي هي القذف الواقع من أهل الإفك، والمعنى: الخبيثات من قول أهل الإفك للخبيثين من الرجال.[1]

ويقول القرطبي خلال تفسيره لهذه الآية: "قال عطاء، ومجاهد: معناها الكلمات الخبيثات للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والطيبات من الكلام للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول، وتقديره: الكلمات الخبيثات لا يقولهن إلا الخبيث من الناس.

أما الأستاذ سيد قطب فيقول في تفسيره لهذه الآية: بعد أن ختمت الآيات التي تتحدث عن حادثة الإفك، جاءت هذه الآية لتبين عدل الله تعالى الذي ركبه في الفطرة، وحققه في واقع الناس، وهو أن تلتئم وترتبط النفس الخبيثة بالنفس الخبيثة، وأن تمتزج النفسان معاً، وعلى هذا تقوم العلاقات بين الأزواج، وما كان يمكن أن تكون عائشة- رضي الله عنها- كما رموها، وهي مقسومة لأطيب نفس على ظهر هذه الأرض، ولقد أحبت نفس رسول الله ﷺ عائشة حباً عظيماً، فما كان يمكن أن يحببها الله لنبيه المعصوم، إن لم تكن طاهرة تستحق هذا الحب العظيم.[2]

ولكي يحافظ الإسلام على بناء جيل قوي وأمة يُشهد لها بالخيرية، اعتنى بصناعة الفرد المسلم والعناية به عناية كاملة، فأعطى للزوجين أثناء الخطبة حق الاختيار، بأن يرضى كل منهما عن الآخر، وليس هذا الاختيار والرضا لذات الزوجين فحسب، بل لمراعاة نتاجهما من الأولاد الأصحَّاء الأقوياء الصالحين، قال النبي ﷺ: "**تخيَّروا لنطفكم** "[3]، فالزوجان اللذان يرجعان إلى أصل طيب ونسب طاهر، وخلق فاضل، يكون نتاجهما كذلك، يشرب من نفس النبع الصافي، وتترقرق في نفسه الأصالة العريقة، وإن كان غير ذلك فتكون الكارثة، قال تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: 26]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا

(1) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، ج18/ص195-196

(2) انظر: (في ظلال القرآن)، ج4/ص2505

(3) سنن ابن ماجة،كتاب النكاح،باب الأكفاء(633/1)،رقم الحديث(1968)،قال الألباني حديث حسن.

﴿ يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ﴾ [الأعراف: 58]، لذلك كان أساس الاختيار في الإسلام هو الدين والخلق فيما روى أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**"[1]؛ لأن ذات الدين تخشى الله تعالى، وتعرف حدود شريعته، والواجبات التي ينبغي أن تؤديها، ثم بعد الدين تكون المفاضلة في الصفات الأخرى من باب الأفضل والأولى.[2]

وعن حقوق المرأة في الإسلام يقول الباجوري: المرأة بين يدي الإسلام قسيمة الرجل، لها من الحق ما له، وعليها ما عليه ولا فضل إلا أن يقوم الرجل بماله من قوة الَجلْدَ، واتساع الحيلة، فيتولى أمرها ورياستها، فهو بذلك القائم على شئونها، يحوطها بقوّته، ويذود عنها بدمه، وينفق من كاسب يده، فأما فيما سوى ذلك، فهما في السراء والبأساء على سواء، وفي سبيل تلك التسوية الشاملة، جعل الله الخبيثات أكفاء الخبيثين، والطيبات أكفاء الطيبين، فإذا تم للناس أن يكونا كذلك فلا نزاع بين زوجين، لأن شر الخبيثين يدفع بعضه بعضا، ويطمس بعضه آثار بعض، فيكون كل على حَذَر من صاحبه، وكما قرن الله سبحانه وتعالى بينهما في شؤون الحياة كذلك قرن بينهما في حسن المثوبة وادَّخار الأجر، وارتقاء الدرجات العلى في الآخرة، فإذا احتمل الرجل نار الهجير، وتحمل عناء الحروب وعرض نفسه للمخاطر، وتناثرت أوصاله تحت ظلال السيوف، فليس ذلك بزائد مثقال حبة، فالمرأة في البيت تقوم على رعاية شئونه وإدارته بأفضل شكل، وتربي أولادها وتقوم بواجباتها على أتم شكل فكلٌ على قدم وساق[3].

وبهذا تظهر حكمة الله التي قضاها وقدرها، فيزداد المؤمنون الصادقون ثباتاً وإيماناً، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبيها بالإفقار إلى الله والذل له وحسن الظن به، ولهذا وفت المقام حقه لما قال لها أبوها قومي إليه، وقد أنزل الله براءتها، فقالت:والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي[4].

وبعد سبر غور[1] الآية الكريمة، بالإطلاع على مختلف كتب التفسير، القديم والحديث منها **تجد الباحثة** أن معظم هذه الكتب أكدت على أن معنى(الخبيثات للخبيثن) يدور حول الخبيثات من القول للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، ورجح هذا القول الإمام الطبري

(1) صحيح مسلم كتاب الرضاع ،باب استحباب نكاح ذات الدين(ج2/ص1086)،رقم الحديث(1466).
(2) انظر: (التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية)، علي صبح، ج1/ص213
(3) انظر: (المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها)، ج2/ص35.
(4) انظر: (زاد المعاد في هدي خير العباد)، ابن القيم، ج3/ص234.
(1) سبر غور الأمر: تحراه وقصده وتعرف على حقيقته وسره، (معجم اللغة العربية المعاصرة)، د. أحمد مختار، ج2/ص1650.

حيث قال: "وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية؛ لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات، وإخبارهم ما خصهم به على إفكهم، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامي والمرمي به، أشبه من الخبر عن غيرهم."[1]

وإن **الباحثة لتؤكد** ما ذهب إليه الطبري في قوله والعلماء من بعده، حيث تقول: إن المراد بالآية النساء الخبيثات السيئات الخلق والطباع للخبيثين من الرجال، وكذا الخبيثون من الرجال للخبيثات[2]، لأن الباحثة تعتقد أنَّ صفة الخبث إذا أضيفت إلى الذات أصبحت صفة ملازمة لصاحبها ويوصف بها على الدوام، ويوسم بها وتصبح ملاصقة له، وتصبح كل الافعال التي تصدر من هذا الشخص الخبيث الموصف بالخبث، بمقتضى هذه الصفة فقوله خبيث، وخلقه خبيث، ونعته خبيث، وعمله وفعله خبيث...إلخ.

المطلب السادس: الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات

لقد جرت سُنةُ الله في خلقه على مشاكلة الأخلاق والصفات بين الزوجين، وعلى مقتضى المنطق السليم، رسولنا الحبيب محمد ﷺ من أطيب الطيبين، وكذلك الصدّيقة عائشة يجب ان تكون من أطيب الطيبات، وفي ذلك يقول الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: 26] ومعنى هذه الآية أن الطيبات من النساء الطاهرات العفائف للطيبين من الرجال، وكذلك الطيبون المستقيمون على جادة العدالة للطيبات، ففطرة البشر هي أن يميل كل ذي طبع متشابه ميلاً معنوياً إلى شاكلته وهو ما يعرف بالكفاءة، أولئك العفائف المطهرون الطيبون مبرؤون منزهون من كل ما يلصق بهم من تهم ونقائص من قبل شرذمة من رماة وطغاة مفترون خبيثون منحرفون عن طريق الحق، ناكبون عن الصراط المستقيم ولأنهم على درجة عالية من النزاهة والبراءة لهم مغفرة وعفو من الله المطلع على براءتهم الشاهد عليها، ولهم رزق كريم منه تبارك وتعالى وهو النعيم الدائم المقيم في الجنة الذي لا انقطاع فيه ولا انتهاء، ففي الجنة تتكشف الحجب ويرى المؤمنون خالقهم ويتجلى لهم وهذا هو قمة النعيم وقمة الرضا.[1]

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، ج19/ص144
(2) انظر: (المنير للزحيلي)، ج18/ص198
(1) انظر: (الفواتح الالهية)، الشيخ علوان، ج2/ص8

وقيل في تفسير هذه الآية كذلك: "والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أي والنساء الطيبات للرجال الطيبين وبالعكس، أو المعنى: والكلمات الطيبات من قول منكري الإفك للطيبين من الرجال والنساء. ويقال: والطيبون من الفريقين لائقون بالكلمات الحسنة، وحيث كان رسول الله ﷺ أطيب الطيبين وأفضل الأولين والآخرين، تبين كون زوجاته أطيب الطيبات بالضرورة. أولئك أي أهل البيت مبرؤن مما يقولون أي مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلمات. فالله تعالى برأ أزواج النبي ﷺ من الأكاذيب الباطلة لكيلا يقدح فيهن أحد كما أقدموا على عائشة، ونزه رسول الله ﷺ عن أمثال هذا الأمر، فلا أحد أطهر منه فأزواجه إذا لا يجوز أن يكن إلا طيبات، لهم مغفرة أي براءة من الله ورزق كريم"[1]

وذكر الإمام السعدي في تفسيره لهذه الآية : وكل طيب من الرجال والنساء والأفعال والكلمات، مناسب للطيب، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، فهذه كلمة عامة تشمل كل طيب ومن أعظم ما تتضمنه من المعاني أن الأنبياء خصوصاً أولي العزم منهم، خاصة النبي محمد ﷺ الذي هو سيد الخلق وافضلهم على الإطلاق، لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة –رضي الله عنها– بهذا الأمر قدح في النبي ﷺ، وهو المقصود بهذا الإفك، من قصد المنافقين، فمجرد كونها زوجة للرسول ﷺ، يعلم أنها لا تكون إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح، كيف لا وهي حبيبة النبي محمد ﷺ وهي صديقة النساء وأعلمهن وأطيبهن وأفضلهن، والتي لم ينزل الوحي عليه وهو في لحاف زوجة من زوجاته غيرها، ثم صرح بذلك، بحيث لا يبقى لمبطل مقالا ولا لشك وشبهة مجالا فقال: **(أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ)** والإشارة إلى عائشة –رضي الله عنها– أصلاً وللمؤمنات المحصنات الغافلات لهم مغفرة تستغرق جميع ذنوبهم، ولهم رزق كريم في الجنة من الله تعالى.[2]

وتحدث الشيخ طنطاوي في تفسيره لهذه الآية حيث يقول: الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون منهم للطيبات منهن، وهكذا يألف الشكل شكله، والطيور على أشكالها تقع، وإذا كان النبي ﷺ هو أطيب الطيبين، فلا يمكن أن تكون زوجاته ﷺ وعلى رأسهن عائشة، إلا من أطيب الطيبات من النساء، وأطهر الطاهرات منهن، ثم تأتي شهادة رب البريات بعد ذلك لتثبت لعائشة – رضي الله عنها– برائتها وعفتها وطهرها ونقائها لتدحض كل شبهة وتنفي أي شك او ريبة مما

(1) مراح لبيد، محمد الجاوي، ج2/ص107

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ج1/ص563

أشاعه الفاسقون عن أم المؤمنين السيدة عائشة –رضي الله عنها–، حيث كان مقصد هؤلاء الفاسقين من إشاعة نبأ الإفك هو الطعن بالنبي محمد ﷺ، ولكن الله تعالى رد عليهم بما يكبتهم ويخرس السنتهم بإظهاره براءة عائشة –رضي الله عنها–، ويؤخذ من هذه الآية الكريمة جملة من الأحكام والآداب من أهمها ما يلي:

1- إن الله– تبارك وتعالى– يغار على حرمة نبيه ﷺ وفيه مزيد اعتناءٍ بشرف الرسول ﷺ وكرامته على الله، ويظهر فيها دفاع الله ﷻ عن أوليائه، ورده كيد المنافقين في نحورهم، حيث يقول ابن كثير في تفسيره للآية: هذه الآيات نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين– رضى الله عنها– حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين. بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله– تعالى– لها ولنبيه– صلوات الله وسلامه عليه– فأنزل الله ﷻ براءتها، صيانة لعرض الرسول ﷺ.

2- تسلية الله– تعالى– لعباده المؤمنين، عما أصابهم من هم وغم بسبب هذا الحديث المفترى على الصديقة بنت الصديق– رضى الله عنهما–، وقد ظل هذا الحديث يتردد في جنبات المدينة، حتى نزلت هذه الآيات الكريمة، لإحقاق الحق وإبطال الباطل. (1)

وورد كذلك في معنى هذه الآية: "وكذلك الطيبات من النساء يكن للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال يكونون للطيبات من النساء، فكيف يُتصور السوء في الطيبة المصونة زوج الأمين، والرسول الكريم ﷺ وهؤلاء الطيبون مبرَّأون من التهم التي يصفهم بها الخبيثون، ولهم مغفرة من الله على مما لا يخلو منه البشر من صغار الذنوب، وإكرام عظيم بنعيم الجنة وطيباتها". (2)

أما الإمام الزحيلي فيقول في تفسير هذه الآية: وشأن الطيبات أن يتزوجن الطيبين، وشأن الطيبين أن يتزوجن الطيبات، أولئك الطيبون والطيبات كصفوان بن معطّل المتهم البريء، وعائشة الصديقة التي هي أرقى وأسمى من ان يلصق بجانبها التهم والنقائص، بعيدون وبريئون عما يقوله أهل الإفك والبهتان، ممن تميزوا بالخبث والفحش والدنس والتلوث بالقبح والمنكرات، وهؤلاء المبرؤون من التهم الباطلة لهم مغفرة لذنوبهم بسبب ما قيل فيهم من الكذب، ولهم رزق كريم عند الله في جنات النعيم، وإن هذه النية لتضع حداً وفارقاً بعيداً بعد السماء عن الارض بين حكم عبد الله بن

(1) انظر: (التفسير الوسيط) ج10/ص104
(2) المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، ج1/ص521

أبي وأشباهه من المنافقين، وبين حكم النبي ﷺ وفضلاء الصحابة رضوان الله عليهم، وأمته، فالنبي ﷺ طيب، فلم يجعل الله له إلا كل طيّبة، وأولئك خبيثون، فهم أهل النساء الخبيثات. (1)

وقيل: " إن هذه الآية مبنية على قوله: **(الزاني لا ينكح إلا زانية)** فالخبيثات الزواني، والطيبات العفائف، وكذا الخبيثون والطيبون، وقيل إنها نزلت في عائشة حين رماها المنافقون بالبهتان، والفرية فبرأها الله من ذلك، وكان ابن أبيّ هو الخبيث؛ وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة، ويكون هو لها، وكان رسول الله ﷺ طيباً فكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، وكانت أولى بأن يكون لها الطيب"(2)

والمعنى: ما كان الله ليجعل عائشة زوجة للنبي محمد ﷺ إلا لأنها طيبة فإنه أطيب البشر وأطيب من كل طيب من البشر؛ فلا يليق به سوى الطيبات، ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا قدراً ولا شرعاً، ولا حسب سنة الله في خلقه، فإنه جعل الطيبات للطيبين، والطيبين للطيبات، والخبيثات للخبيثين والخبيثين للخبيثات، ففي الكلام استئناف مبني على سنة الله تعالى الجارية بين الخلق من أن شبيه الشيء منجذب إلى مثيله، وقال ابن عباس في تفسيرها ما معناه: الخبيثات من الأَقاويل للخبيثين من الرجال، فلا توجه إلى غيرهم، والخبيثون من الرجال للخبيثات من الأقاويل. فهم جديرون بها مستحقون لها، والطيبات من الأحاديث للطيبين من الرجال، فهي حق لهم، والطيبون من الرجال للطيبات من الأحاديث فلا يعدل بها عنهم، ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس، والكلام الطيب أَولى بالطيبين منهم ، فما نسبه أَهل النفاق إلى عائشة هم أولى به، وهي أولى بالبراءِة والنزاهة منهم، ولهذا قال: ﴿**أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ**﴾ ولهذا ختم الله الآية بما هو نتيجة لهذه المقدمة فقال : ﴿**أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ أي أَنَّ أهل هذا البيت الكريم بعَدَاءُ عما يقوله أَهل الإفك والعدوان لهم، بسبب ما قيل فيهم من الإفك ولهم مغفرة عظيمة من الله تبارك وتعالى، لأن البشر بطبعهم قد يقعون في الخطأ وهم ليسوا مبرؤون منه ففعل العوام مستنكر في اغلبهم عند اهل الله وخاصته ممن تعلقوا بالله وارتبطوا به لذلك استحقوا الأجر والمغفرة في جنة الله.(3)

(1) انظر: الوسيط، ج2/ص1742/1743

(2) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب القنوج، ج9/ص195

(3) انظر: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر1391/6

الخـاتمــة

الحمد لله متم كل خير، وميسر كل أمر، هادي السبيل، والمتفضل بالإنعام على خلقه، مسيِّر الكون بحكمته، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، نزّل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيراً، وهادياً لكل طريق قويم، به اتضحت السنن، وسيقت القصص تحقيقاً للعبر، وسلوى لكل يائس، ونوراً لكل ساع لطريق الهداية والرشاد، من التمس منه الهدى رشد، ومن بحث في ثناياه وتبحر غاص متحصلاً لؤلؤاً، به أعجز الله المنكرين، وثبت قلوب المؤمنين، جمع البيان والإتقان ليكون معجزاً صالحاً في كل زمان ومكان وبعد.

إنَّ من لطائف هذا القرآن العظيم أنك ما تفتأ تعالج موضوعاً من موضوعاته بالبحث والدراسة إلا وازداد يقينك بالقيمة المطلقة له، ولما كان محور الحديث في هذا البحث حول الطيبات والخبائث فإن المراد الذي أردت له أن يتحقق هو تبيان خيره العميم، وفوائده المترامية، وعطاءاته اللامتناهية.

وفيما يلي أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة في هذا البحث وهي ما يلي:

أولاً: أهم النتائج:

1. معنى الطيبات لغةً ينحصر في معنى الحلال والرضا، واليسر والتساهل، كما أن الطيبات ما كانت ضد الخبيث.
2. معنى الطيبات اصطلاحاً هو الحلال وهي المستلذات مما أحله الله لعباده،والطيبات من الطعام هي المتناولة بحكم العقل والشرع من حيثما يسوغ تناوله من غير إسراف.
3. معنى الخبائث لغةً ماكان ضد الطيبات وهو بمعنى الرديء والفاسد والحرام.
4. معنى الخبائث اصطلاحاً كل ما تأباه النفوس الكريمة السليمة وتستخبثه، وما كان مستقذراً لا يقبله العقلاء كالميتة والدم المسفوح .
5. إن لفظة الطيبات وردت في عدد من سور القرآن، حيث بلغ عدد ورودها في تسعة وأربعين موضعاً من كتاب الله، وقد وردت في السور المدنية في اثنين وعشرين موضعاً ،بينما في السور المكية وردت في واحد وعشرين موضعاً
6. كما أن لفظة الخبائث وردت في ثلاثة عشر موضعاً من كتاب الله تعالى،في خمسة مواضع في الآيات المكية، وثمانية مواضع في الآيات المدنية.
7. تقسم الطيبات في القرآن الكريم إلى طيبات دنيوية وطيبات أخروية، فالطيبات الدنيوية كالرزق والغنائم والذرية والحياة الطيبة، أما الأخروية فهي كمساكن أهل الجنة وشرابهم وطعامهم ومجالسهم.

8. أما الخبائث فقد اقترن ذكرها في كثير من آيات القرآن الكريم بالطيبات، وكما قيل فالأشياء تعرف بضدها، فلا يمكن للعقل أن يدرك المعنى الحقيقي للخبائث مالم يفهم المراد من الطيبات، وعليه فإن العقل البشري سيقف حائراً عاجزاً عن إدراك كل من الطيبات والخبائث إذا لم يقترن ذكر كل منهما بالآخر وبالتالي يصبح كلا المعنيين واضحاً جلياً.

9. إن من رحمة الله ﷻ علينا أن أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، ونهانا عن تبديل الخبيث بالطيب، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يستوي الخبيث والطيب.

10. اقتضت حكمة الله ﷻ أن جعل الطيبين للطيبات والطيبات للطيبين، والخبيثين للخبيثات والخبيثات للخبيثين، وهذا من كمال عدله وعلمه وعظيم حكمته وكمال قدرته ومشيئته.

ثانياً: التوصيات

1-إن علم التفسير من أجلِّ العلوم وأشرفها على الإطلاق، فشرف العلم من شرف المعلوم،ولما كان علم التفسير منبعه القرآن الكريم استحق هذا الشرف وهذا الفضل، وبذلك يصلح أن يكون منهج حياة، لذلك وجب على طالب العلم أن يعتني بتحصيله وفهمه، والإقبال على كتاب الله تبارك وتعالى وتدبره والعمل بمقتضاه، والوقوف على ما ظهر وخفي من معانيه .

2-أوصي نفسي أولاً وطلاب العلم ثانياً أن يعتنوا بالعلم الشرعي وبتحصيله وألا تتوقف دراستهم أبداً لمواضيع القرآن الكريم، فموضوعاته زاخرة لامتناهية، وأن يهتموا بدراسة علوم القرآن بشتى موضوعاتها للوقوف على أسرار وخبايا ومكنونات هذا الكتاب العظيم، كما وأوصي كل من يرنو إلى سعادة في الدارين إلى أن يقبل على القرآن الكريم.

3-أوصي القائمين على كلية أصول الدين أن ينقلوا طلاب العلم الشرعي من الدراسة النظرية إلى الدراسة التطبيقية الواقعية، لا تجعلوهم يخوضوا لجة الحياة الواقعية دون مجاديف لهذا القارب وسط هذه الأمواج من الفتن المتلاطمة، دربوهم على الدراسة النظرية والعملية، علموهم فقه إنزال النص على الواقع.

4-كما وأوصي القائمين على كلية أصول الدين على إعداد برامج لصناعة العلماء وإعدادهم وبنائهم، وأن يكون لبنة هذه البرامج هم المتميزون من طلاب العلم الشرعي، فنحن بأمس الحاجة إلى أن نعيد بناء العالم بأسره لنصنع حضارة رائدة شامخة تكون أنموذجاً يحتذى به بين الأمم.

أخيراً في ظل هذه الظروف التي تحياها أمتنا من فتن متلاحقة، وكروب عظيمة، وأحداث جسيمة، كان لزاماً علينا أن نعود لكتاب الله ﷻ ففيه النجاة من كل شر، وبه نرتقي لنصل إلى القمة السامقة الوضيئة نصل إلى الخيرية التي حدثنا عنها القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: 110] فحاجة الناس إلى العودة إلى كتاب الله أضحت ملحَّة لعلمنا الراسخ أن معظم القوانين التي تحكم البلاد في عصرنا هذا هي قوانين فاسدة مضلة، فلا بد من الإقبال على كتاب الله بكل جوارحنا لنبدد ظلمات التيه والغي، ونهتدي بإذنه وببركة كتابه ورحمته إلى الطريق المستقيم.

الفهارس العامة

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية .

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية .

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية الشريفة

طرف الآية	رقمها	الصفحة
البقرة		
﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى ... ﴾	25	76، 78، 90،
﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ ... ﴾	57	16، 31
﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ... ﴾	61	125
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ ... ﴾	168	16، 44، 123، 22
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن ... ﴾	172	17، 47
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾	267	17، 19، 35، 22، 26
آل عمران		
﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ ... ﴾	37	58
﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَب لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ... ﴾	38	17، 50، 52، 23
﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ... ﴾	54	65
﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾	92	27، 37، 105

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَيْسُوا سَوَآءً... ۗ﴾	113	128
﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ... ﴾	179	17، 19، 116، 26
﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾	185	89
النساء		
﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ ... ﴾	2	17، 20، 123، 23، 26
﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ ... ﴾	3	17
﴿... فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾	4	17
﴿... وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ... ﴾	43	17، 62
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ... ﴾	139	42
﴿... فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾	160	17 ، 122، 23، 23
المائدة		
﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ... ﴾	4	17، 123
﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ ... ﴾	5	17، 64

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ... فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ... ﴾	6	9 ، 17، 62، 22 ،63
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ... ﴾	87	17
﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ... ﴾	88	17
﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾	100	17 ، 20 ، 27، 126
الأنعام		
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ ... ﴾	27	129
﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾	36	110
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ... ﴾	122	110
الأعراف		
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ... ﴾	32	21 ،32
﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ... ﴾	58	19، 57، 63، 26، 127
﴿ ... وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ... ﴾	157	15، 32، 120، 125، 26
﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ... ﴾	160	21 ،31

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الأنفال		
﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ... ﴾	26	18، 33، 20، 119
﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ ... ﴾	37	18، 20، 20، 119
﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	69	18، 48
التوبة		
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ... ﴾	72	69، 23
يونس		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ ... ﴾	22	15، 65، 66
﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ... ﴾	93	15، 21
الرعد		
﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ... ﴾	23	38
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾	29	18
﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ... ﴾	35	76

طرف الآية	رقمها	الصفحة
إبراهيم		
﴿ ... كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾	24	15، 40، 37
﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ... ﴾	26	19، 19
الحجر		
﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾	47	95، 97
﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾	48	69
النحل		
﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ﴾	32	10، 15
﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾	72	15
﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ ... ﴾	94	53
﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم ... ﴾	96	53
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً ... ﴾	97	16، 52، 56، 21، 108
﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ... ﴾	114	16

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الإسراء		
﴿ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ... ﴾	70	16
الكهف		
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ... ﴾	31	97 ،99
﴿ ... فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾	40	63
مريم		
﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن ... ﴾	5	51
﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾	81	42
طه		
﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ ... ﴾	81	16
الأنبياء		
﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ... ﴾	74	19، 105
الحج		
﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾	24	18، 37

طرف الآية	رقمها	الصفحة
المؤمنون		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾	51	10، 16، 46، 21
النور		
﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ ... ﴾	3	134
﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ ... ﴾	26	9، 18، 22
﴿ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ طَيِّبَةٗ ... ﴾	61	18، 60، 23
الفرقان		
﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾	23	54
النمل		
﴿ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	19	107
السجدة		
﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	17	83، 95
الأحزاب		
﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ... ﴾	21	74

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سبأ		
﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ ... ﴾	15	9، 16، 58
فاطر		
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ ... ﴾	10	16، 37، 42، 22
﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ... ﴾	33	99
﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾	34	38
يس		
﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ ... ﴾	56-55	91
﴿ إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾	25	51
﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾	57	78
الصافات		
﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾	49-48	92
الزمر		
﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾	73	9، 16

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ... ﴾	74	38
غافر		
﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ ... ﴾	64	16، 32
الزخرف		
﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	72	79
الدخان		
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ ... ﴾	55-51	80
﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾	54	93
الجاثية		
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ... ﴾	16	16، 34
الأحقاف		
﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ... ﴾	20	16
محمد		
﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ ... ﴾	15	83
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾	31	117

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الحجرات		
﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	17	69
الرحمن		
﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾	29	77
﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴾	52	81
﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾	54	95
﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴾	76	97
الواقعة		
﴿ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦ ﴾	16-15	96
﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ... ﴾	19-17	85
﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ ﴾	37-35	94
الحشر		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ... ﴾	18	83
الصف		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾	4	74

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾	10	72، 73
﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ ... ﴾	11	73، 74
﴿ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ... ﴾	12	18، 73، 74
المنافقون		
﴿ ...وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	8	42
الحاقة		
﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴾	22	81
﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴾	23	81
﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾	24	82
الجن		
﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ... ﴾	26- 27	118
الإنسان		
﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ ﴾	5-6	86
﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴾	12	100

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾	18-17	87
﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ ... ﴾	21	99، 100
المرسلات		
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا ... ﴾	42-41	82
المطففين		
﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن ... ﴾	28-25	88
﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾	18	42
البروج		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ... ﴾	11	83
الغاشية		
﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾	16-13	97
الماعون		
﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾	7-4	43

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	طرف الحديث	الصفحة
1-	اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة	39
2-	أتى الرسول ﷺ بثوب من حرير، فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه	100
3-	أخبروني بشجرة كمثل الرجل المسلم، تُؤتي أكلها كل حين، لا يتحاتُّ ورقها؟	41
4-	إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تُفَجَّر ...	84
5-	إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، ...	95
6-	إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية	52
7-	اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ، شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، ...	108
8-	أفش السلام، وأطب الكلام، وصل الأرحام، وصلي بالليل والناس نيام ...	39
9-	إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَشُرْبَ الْخَمْرِ، وَالطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ	126
10-	أن عائشة –رضي الله عنها– كانت مع النبيّ ﷺ في بعض أسفاره، فانقطع ...	62
11-	أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون، ولا ...	90
12-	تخيَّروا لنطفكم فإن العرق دسَّاس	134
13-	التُّرَابُ طَهُورُ الْمُسْلِمِ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ	63
14-	تعرَّف إلى الله في الرخاء يَعْرِفْك في الشدة	67
15-	تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت ...	135
16-	جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَتُرَابُهَا طَهُورًا	63
17-	جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا	70
18-	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ في...	92

م	طرف الحديث	الصفحة
19-	الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ طَهُورُ الْمُسْلِمِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَشْرَ حِجَجٍ	63
20-	صنفان من أهل النار لم أرهما رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون ...	108
21-	فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ	63
22-	فِي الْجَنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ، وَبَحْرُ الْمَاءِ، وَبَحْرُ الْعَسَلِ، وَبَحْرُ الْخَمْرِ، ثُمَّ تَشَقَّقُ ...	84
23-	لاَ تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لاَ تُؤْذِيهِ، ...	94
24-	مَا هُوَ بِحَرَامٍ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ طَعَامِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ	123
25-	متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك	60
26-	مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا	58
27-	مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا...	56
28-	مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ، فَإِنَّه حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ ...	70
29-	مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ- وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طِيبًا- تَلَقَّاهَا ...	103
30-	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت	39
31-	ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ...	90
32-	ويعجبني الفأل، قيل وما الفأل؟ قال الكلمة الطيبة	39
33-	ويؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس في جهنم غمسة فيخرج كالفحمة السوداء	77
34-	يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ	46
35-	يَا سَعْدُ، أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ	45
36-	يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ كُلَّ مَا أمنحُه عِبَادِي فَهُوَ لَهُمْ حَلَالٌ" وَفِيهِ	45

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اسم العلم	الصفحة
.1	ابن جزي	**122**
.2	ابن فارس	**9**
.3	ابن قتيبة	**62**
.4	ابن منظور	**9**
.5	أبو الفداء	**124**
.6	الإسكندراني	**127**
.7	الأصبهاني	**10**
.8	التستري	**56**
.9	الخطابي	**104**
.10	الزجاج	**62**
.11	السدي	**116**
.12	سهل بن حنيف	**36**
.13	عياض بن حمار	**45**
.14	قتادة	**116**
.15	مجاهد	**116**
.16	مقاتل بن سليمان= البلخي	**72**
.17	المهايمي	**54**

رابعاً: قائمة المصادر والمراجع

1. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.

2. **الإحاطة في أخبار غرناطة**، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: 776هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ.

3. **إرشاد العقل** السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : تفسير أبي السعود المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

4. **أرشيف ملتقى** أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com

5. **الأساس في التفسير:سعيد حوى**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1991، الطبعة الثانية، القاهرة مصر.

6. **الأسامي والكنى**، أبو أحمد الحاكم، المتوفى: 378 هـ، المحقق: يوسق بن محمد الدخيل، دار الغرباء الأثرية بالمدينة، الطبعة: الأولى، 1994 م.

7. **أسباب النزول**:السيوطي، دراسة وتحيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث . القاهرة.

8. **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 هـ.

9. **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.

10. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)،المحقق:

علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود،دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولى،سنة النشر: 1415هـ – 1994 م.

11. **الإصابة في تمييز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى – 1415 هـ.

12. **أصول في التفسير**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م

13. **الأعلام: خير** الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، مايو2002م.

14. **الأنساب**، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: 562هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، 1382 هـ – 1962 م.

15. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ.

16. **أهل الفترة ومن في حكمهم**، موفق أحمد شكري، قدم له: د. عباس محجوب – محمد عبد الله الخطيب، اعتنى بتصحيحه: سمير أحمد العطار، أصل الكتاب: رسالة ماجستير (نوقشت في 1401هـ)، كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية في الرياض بإشراف د/ عبد العزيز الراجحي، مؤسسة علوم القرآن – عجمان، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، 1409 هـ – 1988 م.

17. **إيجاز البيان** عن معاني القرآن:محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو 550هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

18. **أيسر التفاسير** لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م.

19. **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني

20. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: 1419 هـ.

21. **بيان المعاني**، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ)، مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1965 م

22. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

23. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003 م.

24. **تاريخ التشريع الإسلامي**، مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة 1422هـ-2001م.

25. **تاريخ الثقات**، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى (المتوفى: 261هـ)، الناشر: دار الباز، الطبعة: الطبعة الأولى 1405هـ-1984م

26. **التاريخ الكبير**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، الطبعة: دائرة ، المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

27. **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م.

28. **التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس.

29. **تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين،** علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار (المتوفى: 724هـ)، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، عمان – الأردن، الطبعة: الأولى، 1428 هـ – 2007 م.

30. **التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف،** علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة: الأولى: 1423 هـ– 2002م

31. **تطريز رياض الصالحين،** فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2002 م.

32. **تفسير التستري،** أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ)، جمعها:
أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1423 هـ.

33. **التفسير الحديث،** دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: 1383هـ

34. **تفسير الراغب الأصفهاني:**أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ).

35. **تفسير الشعراوي** – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم.

36. **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.

37. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

38. **تفسير القرآن الكريم**، محمد أحمد إسماعيل المقدم، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

39. **تفسير القرآن**، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى **السمعاني** التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م.

40. **تفسير القرآن، أبو المظفر**، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م.

41. **تفسير الماوردي** = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

42. **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

43. **التفسير المظهري**، المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: 1412 هـ.

44. **التفسير المنير** في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية، 1418 هـ.

45. **التفسير الميسر**:عائض القرني، مكتبة العبيكان الرياض - السعودية، 2010،

46. **التفسير الميسر**، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، 1430هـ - 2009 م.

47. **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

48. **التفسير الواضح، الحجازي**، محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - 1413 هـ.

49. **التفسير الوسيط للزحيلي**:د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

50. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى: يناير 1997.

51. **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري** ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: 488هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، 1415 - 1995.

52. **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت.

53. **تكملة المعاجم العربية**، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: 1300هـ) نقله إلى العربية وعلق عليه: ج1 - 8: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ 9، 10: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.

54. **تهذيب التهذيب**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند،الطبعة الأولى، 1326هـ.

55. **تهذيب اللغة**:محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

56. **توفيق الرحمن في دروس القرآن**، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: 1376هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد

الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية – الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ – 1996 م.

57. **تيسير التفسير**، إبراهيم القطان (المتوفى: 1404هـ).

58. **تيسير الكريم الرحمن** في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

59. **الثقات**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، 1393 هـ = 1973.

60. **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : 606هـ)، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة : الأولى.

61. **جامع البيان في** تأويل القرآن:محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ – 2000 م.

62. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، عدد الأجزاء: 9،

63. **الجامع لأحكام القرآن**، تفسير القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاريالخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق:أحمد البردوني وإبراهيم طفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ -1964م.

64. **الجرح والتعديل**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت

65. **جمهرة اللغة:**أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت.

66. **الجنة والنار**، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السابعة، 1418 هـ - 1998 م.

67. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ

68. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة 1409هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: 10

69. **الحيوان**، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1424 هـ.

70. **خصائص التعبير القرآني** وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ)، مكتبة وهبةالطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992 م.

71. **الدر المصون في علوم الكتاب** المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

72. **الدر المنثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر – بيروت.

73. **دروس للشيخ سلمان العودة**، سلمان بن فهد بن عبد الله العودة، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

74. **دستور العلماء** = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.

75. **دعوة الرسل عليهم السلام**، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1423هـ-2002م.

76. **ديوان الإسلام**، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: 1167هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م.

77. **ديوان امرئ القيس**، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: 545 م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1425 هـ - 2004 م.

78. **روح البيان**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، دار الفكر – بيروت.

79. **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

80. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م

81. **زكاة الخارج من** الأرض الحبوب، والثمار، والمعدن، والركاز في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، وشروط، وضوابط، وأحكام، ومسائل، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

82. **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار الفكر العربي.

83. **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: 1285 هـ.

84. **سلسلة الدار الآخر**ة، د. عمر عبد الكافي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

85. **سنن ابن ماجه**، ت الأرنؤوط، ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009م، عدد الأجزاء: 5

86. **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975 م، عدد الأجزاء: 5 أجزاء

87. **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، دار الحديث– القاهرة، الطبعة: 1427هـ–2006م.

88. **الشبكة العنكبوتية**، الكلمة الخبيثة وأثرها على جسم الإنسان، http://www.bytocom.com/vb/showthread.php?t=39473

89. **شرح السنة، محيي السنة**، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت.

90. **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح** المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م.

91. **شرح رياض الصالحين**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض.

92. **شرح سنن أبي داود**، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر

93. **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م.

94. **طبقات الشافعيين**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: 1413 هـ – 1993 م.

95. **الطبقات الكبرى**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور/ عبد العزيز عبد الله السلومي، الناشر: مكتبة الصديق – الطائف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416 هـ.

96. **طرح التثريب في شرح التقريب** (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: 806هـ)، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (المتوفى: 826هـ)، الناشر: الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

97. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – 1416 هـ.

98. **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: 1412 هـ – 1992 م.

99. **فتح القدير**:محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ.

100. **فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب**، محمد نصر الدين محمد عويضة.

101. **فقه اللغة وسر العربية**، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: إحياء التراث العربي، الطبعة: الطبعة الأولى 1422هـ – 2002م.

102. **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، المؤلف: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: 1382هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي– بيروت ص. ب: 5787/113، الطبعة: 2، 1982، عدد الأجزاء: 2.

103. **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية** والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ)، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1999 م.

104. **في ظلال القرآن**:سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ.

105. **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، الدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية 1408 هـ = 1988 م.

106. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)

107. **كتاب العين**:أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

108. **الكشاف** عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – 1407 هـ.

109. **الكنز اللغوي في اللَسَن العربي**، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: 244هـ)، المحقق: أوغست هفنر، الناشر: مكتبة المتنبي – القاهرة.

110. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1415 هـ.

111. **لسان العرب**:محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر–بيروت، الطبعة الثالثة–1414هـ.

112. **لسان الميزان**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، 2002 م.

113. **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

114. **مجلة الجامعة الإسلامية** بالمدينة النبوية.

115. **مجمل اللغة لابن فارس:**أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة الثانية – 1406 هـ – 1986 م.

116. **مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.**

117. **محاسن التأويل:**محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت.

118. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

119. **المحيط في اللغة**، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: 385هـ).

120. **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.

121. **المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها**، عبد الله بن عفيفي الباجوري (المتوفى: 1364) مكتبة الثقافة، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، 1350 هـ – 1932 م

122. **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1417 هـ.

123. **المسالك والممالك**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ)، دار الغرب الإسلامي، عام النشر: 1992 م

124. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990، عدد الأجزاء: 4

125. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م

126. **المسند الصحيح المختصر** بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: 5

127. **مشارق الأنوار على صحاح** الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

128. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.

129. مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

130. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى، 1420 هـ.

131. **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

132. **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، عدد الأجزاء: 10

133. **المعجم الفهرس** لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المصحف الشريف، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

134. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، أحمد مختار عمر.

135. **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: 1351هـ)، مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ – 1928 م.

136. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1403 هـ

137. **معجم مقاييس** اللغة:أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ -1979م.

138. **مفاتيح الغيب**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ.

139. **مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار**، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: 1422هـ).

140. **مفردات ألفاظ** القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، ت نحو 425 هـ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط 1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1412 هـ- 1992 م.

141. **مناهج المفسرين**، منيع بن عبد الحليم محمود (المتوفى: 1430هـ)، دار الكتاب المصرى – القاهرة، دار الكتاب اللبنانى – بيروت، عام النشر: 1421 هـ – 2000 م.

142. **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، 1416 هـ – 1995 م.

143. **موارد الظمآن لدروس الزمان**، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: 1422هـ).

144. **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي – سورية – دمشق – الحلبوني – جادة ابن سينا، الطبعة: الثانية 1426 هـ – 2005 م.

145. **موسوعة التفسير قبل عهد التدوين**، محمد عمر الحاجى، دار المكتبى – دمشق، الطبعة: الأولى، 1427 هـ – 2007 م.

146. **الموسوعة العقدية**، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت www.dorar.net

147. **الموسوعة القرآنية**، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: 1414هـ)، مؤسسة سجل العرب، الطبعة: 1405 هـ.

148. **موسوعة فقه القلوب**، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية.

149. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

150. **النكت الدالة على البيان في أنواع** العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو 360هـ)، دار القيم – دار ابن عفان، الطبعة: الأولى 1424 هـ – 2003م.

151. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

152. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.

153. الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة.

154. **الوجيز في تفسير الكتاب** العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت الطبعة الأولى، 1415 هـ.

155. **الوسطية في القرآن الكريم**، الدكتور عَلي مَحَّمد محمد الصَّلاَّبي، مكتبة الصحابة، الشارقة – الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م.

156. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

خامساً : قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
آية قرآنية	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ث
المقدمة	1
أولاً: أهمية الدراسة	1
ثانيا: أسباب اختيار الموضوع	2
ثالثا: أهداف البحث وغاياته	2
رابعا: الدراسات السابقة	2
خامسا: منهج البحث	3
سادساً: خطة الدراسة	4
التمهيد **الطيبات والخبائث بين المعاني اللغوية والاصطلاحية**	
أولاً: معنى الطيبات لغةً واصطلاحاً.	9
ثانيا: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية.	11
ثالثا: معنى الخبائث لغةً واصطلاحاً.	11
رابعا: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية.	13

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول **الطيبات والخبائث في السياق القرآني**	
المبحث الأول: الطيبات ومشتقاتها في السياق القرآني	**15**
أولاً: الطيبات ومشتقاتها في الآيات المكية:	**15**
ثانياً: الطيبات ومشتقاتها في الآيات المدنية:	**16**
المبحث الثاني: الخبائث ومشتقاتها في السياق القرآني	**19**
أولاً: الخبائث ومشتقاتها في الآيات المكية	**19**
ثانيا: الخبائث ومشتقاتها في الآيات المدنية	**19**
المبحث الثالث: دراسة موضوعات الطيبات والخبائث في الآيات المكية والمدنية	**21**
أولاً: دراسة حول ورود لفظة الطيبات في سياق القراني	**21**
ثانياً: دراسة حول ورود لفظة الخبائث في السياق القرآني	**26**
"الفصل الثاني **أقسام الطيبات في القرآن الكريم**	
المبحث الأول: الطيبات الدنيوية	**31**
المطلب الأول: الرزق الطيب والنفقة الطيبة	**31**
المطلب الثاني: القول الطيب	**37**
المطلب الثالث: الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة	**40**

الموضوع	الصفحة
المطلب الرابع: الأكل الطيب	44
المطلب الخامس: الغنائم الطيبة	48
المطلب السادس: الذرية الطيبة	50
المطلب السابع: الحياة الطيبة	52
المطلب الثامن: البلد الطيب	56
المطلب التاسع: التحية الطيبة	59
المطلب العاشر: الصعيد الطيب	62
المطلب الحادي عشر: الريح الطيبة	64
المبحث الثاني: الطيبات الأخروية.	69
المطلب الأول: المساكن الطيبة	69
المطلب الثاني: طعام أهل الجنة	75
المطلب الثالث: شراب أهل الجنة	83
المطلب الرابع: نساء أهل الجنة	90
المطلب الخامس: مجالس أهل الجنة.	95
المطلب السادس: لباس أهل الجنة	97
"الفصل الثالث **الخبائث في السياق القرآني واقترانها بالطيبات**	
المبحث الأول: أنواع الخبائث في السياق القرآني.	103

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: النفقة الخبيثة	103
المطلب الثاني: الأعمال الخبيثة	105
المطلب الثالث: البلد الخبيث	108
المطلب الرابع: الكلمة الخبيثة والشجرة الخبيثة	110
المبحث الثاني: نظرات قرآنية إلى الخبائث والطيبات	116
المطلب الأول: التمييز بين الخبيث والطيب	116
المطلب الثاني: حل الطيبات وتحريم الخبائث	120
المطلب الثالث: النهي عن تبديل الخبيث بالطيب	123
المطلب الرابع: لا يستوي الخبيث والطيب	126
المطلب الخامس: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات	130
المطلب السادس: الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات	136
الخاتمة	140
أولاً: النتائج	140
ثانياً: التوصيات	141
الفهارس العامة	
أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة.	143
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.	156

الموضوع	الصفحة
ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.	**158**
رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.	**159**
خامساً: فهرس المحتويات.	**175**
ملخص الدراسة باللغة العربية	**180**
Abstract	**181**

ملخص الدراسة باللغة العربية

الطيبات والخبائث في السياق القرآني

هذه الدراسة تبحث في التفسير الموضوعي لموضوع قرآني بعنوان الطيبات والخبائث في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية حيث تتكون هذه الدراسة من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، حيث تحدثت الباحثة في **التمهيد** عن الطيبات والخبائث بين المعاني اللغوية والاصطلاحية.

الفصل الأول: فقد تناولت فيه الباحثة الطيبات والخبائث في السياق القرآني، وتشمل الطيبات في السياق القرآني، والخبائث في السياق القرآني، ودراسة موضوعات الطيبات والخبائث في الآيات المكية والمدنية.

الفصل الثاني: وفيه أقسام الطيبات في القرآن الكريم، وتشمل الطيبات الدنيوية ، والطيبات الأخروية.

الفصل الثالث: الخبائث في السياق القرآني واقترانها بالطيبات، ويشمل أنواع الخبائث في السياق القرآني، ونظرات قرآنية إلى الخبائث والطيبات.

وقد ضمنت بحثي **بخاتمة** اشتملت على أهم النتائج والتوصيات وقد حرصت على عمل مجموعة من الفهارس وهي فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الاحاديث النبوية، وفهرس الاعلام المترجم لهم، وفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات حيث إن هذه الفهارس تخدم البحث خدمة جيدة، وقد قمت بعمل **ملخص** للرسالة باللغة العربية وآخر باللغة الانجليزية.

Abstract

The goodness and the evil/ filthy in the context of Quran al-Kareem

This study investigates the objective interpretation of a topic in Quran al-Kareem entitled "the goodness and the filthy in the light of Quran al- Kareem". It's an objective study that includes a preliminary, three chapters as well as a summary.

In the preliminary, the researcher talked about the goodness and the filthy as concepts and also as terminologies. In the first chapter, the researcher discussed the goodness and the filthy through the context including the goodness in the Quranic context and the filthy in the Quranic context too and the topics of the goodness and the filthy in madinan and Mekkan surahs (study and analysis).

The second chapter discussed the types of the goodness in Quran Kareem which includes the goodness in the first life and the goodness in the everlasting life. The third chapter discussed the filthy in the Quranic context and its connection and relation to the goodness and the types of filthy in Quran Kareem.

The study included a summary that discussed the most important findings and recommendations. The study presented a group of indexes such as an index for Quranic surahs and another index for Hadith Sharif. The study also presented resources as well as references which all serve the study well. The study includes an abstract in Arabic and another in English.